(١٤١)

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

خبايا القلب

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

الكتاب	خبايا القلب
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	٢٤ يناير ٢٠٢٣م، الموافق غرة رجب ١٤٤٤هـ
كتاب رقم	١٤١
سلسلة	الطريق إلى الله، الكتاب الثالث عشر
الداخلى	٢٨٨ ص*٨٠جم /١٧سم*٢٤سم ، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠جم*٤ لون*هارد كفر*سلوفان مط
إيداع محلى	٢٠٢٣/٣١٤٩
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٤-٤٦٢-٤٠
بار كود	9 789779 446240 03149
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

GET IT ON Google Play

https://qrgo.page.link/FKDJS

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين شافي العلل ومفرج الكروب ...

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الحبيب المحبوب والمقرب لنوره وأخلاقه وشرعه إلى حضرة علام الغيوب .... وبعد

فإن القلب هو الحقيقة الإنسانية التي بها الاتصال بالعوالم العلوية والقرب المعنوي من الحضرة القدسية، ولذلك قال فيه ﷺ:

{ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ }[1]

ولذلك ركَّز الصالحون أجمعون بعد جهادهم لأنفسهم على الجهاد في تصفية القلب وتنقيته من الأوزار والأغيار، وتعرضوا بعد ذلك لفضل الله ﷻ ليملأه بالأنوار ويتنزل فيه بالأسرار، ويجعله مرآة صافية تظهر فيها العوالم العلوية وتُشرق فيها أنوار الحضرة المحمدية.

وقد احتار الفلاسفة والحكماء والعلماء قديماً وحديثاً في معرفة حقيقة القلب وموضعه من الإنسان، وكلٌ أدلى بدلوه على حسب فكره ودراسته، إلا أن السادة الصوفية وقعوا على هذه الحقيقة بفيض فضل من الله ونور إمداد من سيدنا رسول الله فقالوا: إن قلب الشيء هو حقيقته، وقلب الإنسان هو حقيقته الباقية التي تهيمن على هذا الجسم في حياته الدنيا، ولكن هذا الجسم محدود وله في ظهوره زمن محدود، أما القلب فهو الحقيقة الممتدة من أنوار البداية إلى آخر النهاية بسر العناية.

وقد وضحنا هذه الحقيقة وأسرارها في هذا الكتاب الذي أسميناه (خبايا القلب) ووضحنا فيه كذلك مجالات القلب وأسراره وأنواره للواصلين، وأمراضه التي تحتاج إلى الجهاد للتخلص منها إن كان للعلماء أو للسالكين أو للواصلين وغيرهم، مما يجعل هذا الكتاب لا غِنى عنه لأي سالك أو واصل أوعارف في طريق الله ﷻ.

وقد ذكرنا ذلك بأسلوب سهل وواضح مؤيدين حديثنا بالقرآن الكريم والسُنَّة النبوية وأقوال الصالحين الصادقين.

---

١ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا به في الدنيا والآخرة، وأن ينفع به كل من قرأه وتدبر معانيه، وأن يجازي كل من شاركنا في كتابته أو إعداده أو طبعه عنا وعن المسلمين خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨ آل عمران)

وصلى الله على سيدنا محمد صاحب القلب الأواب وآله وأصحابه وكل من تبعهم من الأولياء والصالحين والأنجاب والأقطاب.

الجميزة – السنطة – الغربية

ليلة الجمعة الثالث والعشرون من ربيع الآخر ١٤٤٤هـ

الموافق ١٧من نوفمبر ٢٠٢٢م

فوزي محمد أبوزيد

البريد: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الشـيخ على الإنترنت

WWW.fawzyabuzeid.com

تطبيق موقع الشيخ على جوجل بلاى للموبايل

https://qrgo.page.link/FKDJS

البريد الإليكترونى

fawzy@fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid٤٨@gmail.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

للمتابعة ولحضور مجالس ودروس وخطب العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد على الهواء مباشرةً وللبثِّ الحىِّ؛ تابعوا صفحات مواقع التواصل الإجتماعى التاليةويمكنك مسح الكود المربع QR بالموبايل لدخول الصفحات مباشرة

الموقع الرسمى لفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد بالعربية والإنجليزية
https://www.fawzyabuzeid.com

صفحة الفيس بوك الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid

صفحة الفيس الإنجليزية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid٢

مكتبة كتب ومؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library

صفحة الخطب الإلهامية العصرية
https://www.facebook.com/khotab

صفحة قضايا الشباب المعاصر
https://www.facebook.com/shbabmoaser

صفحة المؤمنات القانتات
https://www.facebook.com/qanetat

صفحة التربية الصوفية فى القرآن والسنة
https://www.facebook.com/alsoufia

صفحة إشارات العارفين
https://www.facebook.com/esharatelaarfeen

قناة اليوتيوب ١
https://www.youtube.com/c/fawzyabuzeid١

قناة اليوتيوب ٢
https://www.youtube.com/user/eadase

إنستجرام الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.instagram.com/fawzyabuzeid٤٨/

البنترست
https://www.pinterest.com/fawzyabuzeid/

تويتر الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://twitter.com/fawzyabuzeid

المدونة الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.fawzyabuzeid.blogspot.com/

قال الصادق

المصدوق ﷺ:

إِذَا أَرَادَ اللهُ

بَعَبدٍ خَيرًا

فَتَحَ لَهُ قُفْلَ قَلبِه

أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير

عن أبى ذر رضي الله عنه

الفصل الأول

حقيقة القلب

منهج الصالحين في الوصول إلى الله تعالى

أبو الحسن الشاذلى السيد أحمد البدوي

السيد إبراهيم الدسوقى السيد عبد القادر الجيلانى

الأئمة الأربعة الإمام الدردير

علماء الأزهر والتصوف

تجهيز العالم لنفسه

تطهير القلب

القلب الحقيقى القلب النورانى

وظيفة النفس حقيقة الصدور

جهاد القلب

حقيقة القلب

صور الإنسان الغيوب فى الإنسان

سر الروح العقل

قلب المؤمن قلب المحسن

سعة القلب وأهميته

مراتب القلب

١ - الفؤاد ٢ - الحِجر

٣ - الحِجى ٤ - اللُب

٥ - العقل ٦ - الجَنان

علامة استنارة القلب شعب القلب

حياة القلب أدوات تحصيل المعرفة

الطريق إلى علوم الإلهام

الفصل الأول

حقيقة القلب

منهج الصالحين في الوصول إلى الله تعالى[٢]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

لو رجعنا إلى السادة الأقطاب أئمة الصوفية أجمعين، نجد أن لهم منهجاً يكاد يكون منهجاً مشتركاً في جهادهم للوصول إلى الله ﷻ.

يبدأ المنهج بحفظ القرآن الكريم وتجويده بالقراءات، ثم التبحر في علوم الشريعة المطهرة، وعلوم اللغة والأدب لإتقان النطق باللغة العربية الصحيحة، وبعد ذلك يتجه إلى مشايخ الصوفية ليتربى على أيديهم التربية الصوفية الإلهية، وكلهم على هذا المنوال.

أبو الحسن الشاذلي

على سبيل المثال شيخنا أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه وُلد في سبتة في بلاد المغرب، فحصَّل العلوم الشرعية بعد حفظه للقرآن ببلاد المغرب، ثم وجد أنه لم يشبع منها، وكان في ذاك الوقت الأكثر علماً من بلاد المغرب تونس، فهاجر إلى تونس لاستكمال العلوم الشرعية كالفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من العلوم الشرعية، حتى أصبح يُشار إليه بالبنان، ويستفتيه العلماء في هذه الفنون فيما عجزوا في الإجابة عنه.

بعد ذلك اتجه إلى التصوف، وراح يبحث عن الشيخ الذي يدله على الله، وكانت همته عالية، فكان يطلب أن يتربى على يد قطب الزمان، فأخذ يبحث عنه في بلاد المغرب، وفي ليبيا، وجاء إلى مصر، ثم ذهب إلى الحجاز، ثم ذهب إلى بلاد الشام ماشياً يبحث عن قطب الزمان، لأنه يعلم علم اليقين أنه لا وصول إلى الله إلا بعارف بالله، فلا اجتهاد في هذه الأمور، فذهب إلى العراق أخيراً وقابل أحد تلاميذ سيدي أحمد الرفاعي، وكان اسمه

---

٢ الجميزة – السنطة –الغربية ٩ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/١٣م

الشيخ أبو الفتح الواسطي والذي جاء إلى مصر لينشر الطريقة الرفاعية وضريحه في الإسكندرية، فقال له: جئت تبحث عن القطب هنا والقطب عندكم في بلاد المغرب.

فذهب إلى سيدي عبد السلام بن بشيش ﷺ، وكان في هذه الآنات يسكن على رأس جبل، وفي أسفل الجبل عين ماء يتوضأ منها ويشرب منها، ثم يصعد إلى الجبل ليقيم في خلوته، وبعد أن صعد إلى الجبل قال له: أهلاً بك يا علي بن فلان بن فلان حتى ذكر نَسَبه إلى النبي ﷺ، ثم قال له: جئت تطلب الفتح الإلهي؟ قال له: نعم، قال: انزل فاغتسل، فظن أنه يريد أن يغتسل الغسل العادي بالمياه، فنزل إلى العين واغتسل، ثم صعد إليه فقال: انزل فاغتسل، فنزل واغتسل مرة ثانية، ثم صعد، فقال له: انزل فاغتسل، فعرف أنه يريد أن يغسل نفسه من العلوم التي حصَّلها، حتى لا يرى نفسه أنه عالم، قال: فخرجت من علمي كله، ومكث معه فترة يربيه بنظراته ويلاحظه بإمداداته، ويوجهه بإشاراته.

وبعد ذلك قال له: اذهب إلى تونس وهناك تذهب إلى بلدة تُسمى شاذله، فلم يكن اسمه أبو الحسن الشاذلي، ولكن كان اسمه علي بن عبد الجبار، وأبو الحسن لأن ابنه اسمه الحسن والشاذلي نسبة إلى شاذلة، وهي جبل، وقال له: خلوتك تكون فيه، ومكث في خلوته سبع سنين، وقد ذكر له شيخه كل ما سيحدث له إلى أن يصبح القطب، وإلى أن يتوفاه رب البرية ﷻ، فذكر كل ما يحدث له، وقال: في تونس سيحدث لك كذا مع قاضي القضاة، وفي مصر سيحدث لك كذا، وذكر له كل شيء سيحدث له.

فالبداية لا بد أن تكون شرعية أي الشريعة المطهرة.

السيد أحمد البدوي

ونذهب لسيدي أحمد البدوي، فقد حفظ القرآن أولاً بالقراءات السبع، وتبحَّر في علم الفقه حتى وضع كتاباً في علم الفقه على مذهب الإمام الشافعي، يعني هو نفسه ألَّف كتاباً في الفقه، يعني ليست دراسة عادية، ولكنه عالم، وهذا الكتاب اسمه (الجوهرة).

وبعد ذلك بحث عن الشيخ، فوجد شيخاً من المشايخ الذين أنعم الله عليهم برضاه، اسمه الشيخ بري تلميذ سيدي أحمد الرفاعي، فتربَّى على يديه، وبعد أن تربى على يديه ذهب إلى خلوة سيدنا رسول الله وهي غار جبل حراء، ومكث في خلوته سبع سنين، ولماذا هذه الخلوة؟ ليطهر القلب بالكلية من الأغيار، ويمتلئ بالأنوار، ويحظى بالتربية على يدي النبي المختار ﷺ، فكانوا يذهبون لهذه الأماكن من أجل ذلك.

ومن الأعاجيب أن سيدي أحمد البدوي وهو في غار حراء، ومن الإكرامات التي أكرمه الله بها أنه كان يصلي الفرائض في جماعة في بيت الله الحرام مع أن الغار بينه وبين مكة حوالي سبعة كيلومترات، والغار لتصعد إليه يحتاج إلى ساعتين، فكم يستغرق في الصعود والهبوط والذهاب والعودة؟!! لكنها عناية الله ﷻ لأولياء الله الصالحين رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين.

السيد إبراهيم الدسوقي

وسيدي إبراهيم الدسوقي أيضاً نفس الأمر، فقد حفظ القرآن الكريم برواياته، وتبحر في علم الفقه وعلوم اللغة العربية كلها، ودخل خلوة وهو ابن واحد وعشرين سنة، وفي رواية وهو ابن سبع عشرة سنة، فكيف تكون همة هؤلاء القوم؟!!

وظل على هذا الحال إلى أن خلع عليه السلطان المملوك الموجود في زمانه لقب شيخ الإسلام، أخذ مشيخة الإسلام، وكل هذه الإنجازات وانتقل إلى جوار الله وكان عنده واحد وأربعين سنة، فانظر إلى الهمة العالية.

السيد عبد القادر الجيلاني

وسيدي عبد القادر الجيلاني كان أيضاً على هذه الشاكلة، وهو عربي ولكن أبوه كان قد هاجر إلى بلاد أفغانستان، وحصَّل العلم في بلده والبلاد المحيطة به، ولكن كان لا يزال عنده طموح شديد في طلب العلم، فقالوا له: إن كنت تريد زيادة فاذهب إلى بغداد، وكانت بغداد حاضرة العالم الإسلامي في ذاك الوقت وهي عاصمة الخلافة العباسية، فاستأذن أمه، وكان أبوه قد توفى وتركه هو وأخاه، فحاولت أمه أن تثنيه لكنها وجدت عنده إصرار شديد، فأذنت له، وقالت له: قد ترك أباك تسعين ديناراً ذهباً، فخذ نصيبك.

والطرق كانت في ذاك الزمان مليئة بقطاع الطريق، فلا يسافر أحدٌ إلا مع قافلة، ويمشي معهم لأن معهم حراس، وزيادة في الإحتياط خاطت له أمه الدنانير التي معه داخل الثوب حتى لا يراه أحد، وقالت له: عاهدني أنك لا تكذب قط، فعاهدها، لأنه لا يصح لمريد أن يكذب ويطمع في ولاية الله، فالولاية تكون بالصدق:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (التوبة ١١٩)

حتى في المزاح لا يقول إلا الحق، فقد قال ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[3]

وأثناء مسيرهم خرج عليهم قطاع طريق وأخذوا ما مع القافلة، وذهبوا له فلم يجدوا معه شيء، فسألوه: ماذا معك؟ قال: خمسة وأربعون ديناراً، ولكنهم عندما فتشوه لم يجدوا شيئاً معه، فأخذوا الأمر بسخرية وقالوا ربما هذا الولد غير عاقل، وأخذوه لزعيم العصابة، فسأله: ماذا معك؟ قال: خمسة وأربعون ديناراً، قال: أين هم؟ قال: هاهم وأشار إلى جيبه، قال له: ولِمَ لم تكذب؟ قال: لأن أمي أخذت عليَّ العهد أن لا أكذب قط، فشاءت إرادة الله أن صدقه يجر هذا الرجل إلى التوبة النصوح، فقال لرفقائه: أرأيتم هذا الغلام لأن أمه عاهدته أن لا يكذب فلم يكذب، وكيف بنا وقد أخذ الله علينا العهد أن لا نعصاه، فماذا نفعل؟ إني تائب على يد هذا الغلام، فقالوا: ونحن معك.

لم يكن شيخاً وقتها، ولكنها كانت مجاهداته، فحصَّل العلوم كلها بهمة شديدة، لدرجة أنه كان بعد ذلك مجلس علمه تحضره كل الطوائف، يحضر فيه المحدثون لكتابة الأحاديث التي يستمعون إليها منه، ولا يستمعون إليها من غيره، ويحضر النحويون لينظروا النطق الصحيح للألفاظ العربية والأسانيد اللغوية، ويحضر الصوفية حتى يسمعوا العلوم التي لم يقرأونها في كتاب ولم يسمعونها من أحد.

وكلهم كانوا على هذه الشاكلة، وراجع سيرة أي عالم من هؤلاء العلماء، أو سيرة أي وليٍّ من هؤلاء الأولياء تجده كذلك.

الأئمة الأربعة

ولذلك علماء الأزهر إلى زمن قريب، ماذا كانوا يفعلون؟

بعد أن يُنهي الدراسة الأزهرية لا بد أن يبحث عن شيخ من المشايخ الصوفية الصادقين ويتربَّى عليه يديه، حتى يكتمل، لماذا؟ كما فعل الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب الأربعة في الفقه.

فسيدنا الإمام أبو حنيفة ﷺ بعد أن جمع مذهبه الفقهي وقننه، ذهب إلى سيدنا جعفر الصادق ومشى معه وصحبه سنتين، وبعدها قال:

(لولا السنتان لهلك النعمان).

---

[3] معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما

وسيدنا الإمام الشافعي قال:

صحبت الصوفية سنتين فاكتسبت منهما كلمتين، الأولى:

(الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

والحكمة الثانية:

(نفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل).

ولذلك إذا أردت أن تشاهد روائع شعر الحكمة، شاهد ديوان الإمام الشافعي ﵁، شعر في منتهى الروعة وكله حِكَمٌ رائعة، لماذا؟ لأنه صحب الصوفية سنتين، وعندما ذهب إلى بغداد وتتلمذ على يديه الإمام أحمد بن جنبل، وكان أحمد بن حنبل بعيد قليلاً عن السادة الصوفية، قال له : نحن لا نسلك من غيرهم، لماذا؟ لأن السادة الصوفية في المسائل الشرعية التي يعجز عنها علماء الفقه، يأتيهم فيها حلول من الإلهامات الإلهية من الله ﷻ.

والإمام مالك ﵁ وأرضاه، كان كذلك، ولذلك كان يقول: ما بتُّ ليلة إلا ورأيت رسول الله ﷺ في المنام.

فما هذا؟ ألا يكون إمام في الصوفية، ولِمَ قيل فيه: لا يُفتى ومالك في المدينة؟ لأنه عندما كان شاباً صغيراً حدث أن امرأة كانت تُغسِّل ميتة، وأثناء الغسل التصقت يديها بفرج الميتة، فاحتار العلماء، ماذا يصنعون؟! لو قطعوا يدها سيكون جسد الميتة فيه شيء ليس منه، ولو قطعوا جزءاً من الميتة يكون جرماً كما في الحديث الصحيح: **{ كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ، كَكَسْرِهِ حَيًّا }**[٤]، فاحتاروا، والإمام مالك كان لا يزال شاباً، ولكنه كان شاباً نشأ في طاعة الله، ولذلك عندما ذهب إليه الإمام الشافعي ﵁ وقال له: أريد أن أقرأ عليك الموطأ، فجاء له بالموطأ، فقال له: أنا أحفظه، فقرأ، فقال له:

(إن الله ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية).

ولذلك عندما يقول لي أي واحد من الأحباب في أي مكان: عندما أحاول حفظ القرآن أنساه، أقول له: انظر إلى موعظة الإمام الشافعي، فأنت عينيك لا تستطيع الحفظ:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ﴾ (٣٠النور).

---

٤ سنن أبي داود وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

لأن الشافعي كان كل ما يشاهده يحفظه، وفي يوم أراد أن يقرأ عند سيدنا وكيع ما حفظه فنسي، فقال له: ماذا حدث لك اليوم؟ فراجع نفسه وقال له: وأنا قادم في الطريق كانت امرأة تسير أمامي وجاءت نسمة هواء فكشفت عن ساقها، فنظرت إلى ساقها، فقال له: هذا هو سبب نسيانك القرآن، فقال:

شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ونورالله لا يُهدى لعاصي

فما بالنا في هذه الأيام بالذين لا تنقطع عيونهم عن النظر هنا وهناك، وإن لم ينظر في الطرق ينظر في الهاتف المحمول، ويفتح المواقع الممنوعة ويشاهدها، فكيف يحفظ بعد ذلك؟!!، قال ﷺ

{ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ }[٥]

فقال لهم الإمام مالك: لا بد أن هذه المرأة المغسلة قذفتها بلفظ يستوجب حد القذف، فذهبوا ليسألوا المغسلة ويدها لا زالت ملتصقة بالميتة: ماذا قلت؟ فقالت لهم: قلت يا فرج طالما عصيت الله ﷻ، وهذا قذف مباشر، فقالوا: وما الحل؟ قال: تجلدوها ثمانين جلدة، ومع الجلدة الثمانين فكَّت يدها، فمن وقتها قالوا: لا يُفتى ومالك في المدينة.

من أين أتته هذه الفتوى؟

هل من نور البصيرة أم من العلم الذي حصله؟

من نور البصيرة؟

وعلماء الأزهر كلهم عرفوا أنه لا بد أن يكون مع الطالب علم البصيرة بعد أن يحصل علوم الشريعة تحصيلاً جيداً بحيث لا يُعجزه شيء في العلوم الشرعية، فلو سُئل أي سؤال في الفقه، أو في التفسير، أو في السيرة، أو في الحديث لا يقف ولا يتخبط، ولا يأتي بجواب من عند نفسه قد يوافق الحق وقد لا يوافقه، بل لا بد أن تكون عنده الإجابات حاضرة على الفور بالدراسة الجيدة !!

وبعد ذلك لا بد له من نور البصيرة عن طريق سلوك طريق الصالحين.

---

٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

الإمام الدردير

سيدنا الإمام الدردير ﷺ، صاحب منظومة الأسماء الحسنى المشهورة، وله كتب كثيرة.

صحب الشيخ مصطفى البكري وكان قطباً في زمانه، وكان يسكن القدس في هذه الفترة، فذهب ليزور شيخه بعد فترة، فسلَّم عليه وجلس معه ومع المريدين، وكان مشدداً على نفسه الأوراد التعبدية كقيام الليل وقدر من تلاوة القرآن والأذكار وغير ذلك، فقام يستأذن من الشيخ ليؤدي أوراده هذه، فقال له شيخه:

(أنت هنا ليس لك إلا فريضة واحدة وهي مجالستنا).

يعني الجلوس معنا فريضة، فهل تترك الفريضة وتذهب للسنن؟!! هذه السنن في حالة غيابك عن الشيخ، لكنك مع الشيخ هل تترك الشيخ وتذهب لتصلي السُنَّة؟!!.

فجاء بالمنهج الخلوتي، لأن سيدي مصطفى البكري كان خلوتياً في الأزهر فتربى على يديه الشيخ الحفني، وكان أيضاً من مشايخ الأزهر ومشى الأمر على هذه الشاكلة.

حتى وصلنا إلى عصرنا الحديث فرأينا الدكتور عبد الحليم محمود رحمة الله عليه وكان من كبار العارفين، وهذا الشيخ الطيب من كبار الصالحين.

علماء الأزهر والتصوف

حتى أنهم في منهج الأزهر القديم عندما كانت الدراسة في الجامع الأزهر فقط، ولم تكن قد انشئت الكليات بعد، كانت الدراسة حلقات حول أعمدة المسجد وكل عامود له شيخ.

لو قرأت سيرة الشيخ صالح الجعفري، ستجد أن المشايخ الذين كانوا بجوار هذه الأعمدة كلهم من أرباب الكشف، يعني الشيخ صالح عندما جاء إلى مصر، وكان قادم من السودان لأن عائلته أصلاً مصريين، ولكنهم ذهبوا للسودان في وادي حلفا، فلما جاء للأزهر رأى أنه لا قيود على خروج النساء كما كان هناك في السودان، ففكر أن يترك مصر ويرجع مرة أخرى حتى لا يرى هذه المناظر، وأثناء جلوسه مع شيخه في الدرس، فإذا بالشيخ يفاتحه في القضية، ويخلصه منها فوراً.

وكان بعضهم – كما كان يحكي – يقف أحياناً في أثناء الدرس، وكان هذا الدرس في سيدنا الحسين، فيسألوه: لماذا وقفت؟ فيقول: سيدنا رسول الله قادم حالاً ليزور سيدنا الحسين، فيقف حتى تنتهي الزيارة.

وصنعوا في ساحة الأزهر خلوات وموجودة إلى الآن، فبعد أن ينهي الطالب الدراسة الشرعية واللغوية يدخل الخلوة ويجلس فيها حتى يُفتح عليه، ويعطوه الأوراد والأذكار، ويتابعوه بأنفسهم حتى يُفتح عليه، فيأذنوا له ويعطوه العالمية، ويذهب عالم إلى بلده، ولذلك كان الناس ينتفعوا بعلمه.

وكان امتحان العالمية امتحاناً شديداً، سيدي أحمد حجاب ﷺ وأرضاه يقول: كنت خائفاً من امتحان العالمية خوفاً شديداً، مع أنه كان متمكناً ومتفرغاً للدراسة، وكان كذلك مع شيخه، وشيخه كان اسمه الشيخ محمد الشريف، يقول: حدثت شيخي فقال لي: لا تخف، فيقول: ذهبت فوجدت نوراً أمامي ولمبة منيرة أمامي، وكلما سألوني تأتيني الإجابة، حتى أصبحت أنا الذي أسألهم، فذهبت للشيخ فقال لي: كان معك الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه.

تجهيز العالِم لنفسه

هذه كانت الأحوال في هذا المجال، فلا بد للإنسان في فترة الفتوة وهي فترة الشباب أن يكون عنده عزيمة صادقة، فيحيط بكل هذه الحاجات، وخاصة الأحباب الذين يتعرضون للمنابر وللدروس وللناس، حتى يبلغوهم دعوة الله ﷻ، فلا بد أن يحيطوا بالفقه إحاطة كاملة، ولا يكتفوا بالدراسة التي في الكلية أو المعاهد، فهي دراسة خاطفة ليست كدراسة الزمان الماضي.

أنا كل كتب الفتاوى العصرية قرأتها، كفتاوي الدكتور علي جمعة وهي في خمس مجلدات، وفتاوي الشيخ يوسف القرضاوي وهي في ثلاثة مجلدات، وفتاوى الشيخ عطية صقر وهي في ست مجلدات، وغيرهم، وإلى الآن أُحضر المجلات الشهرية لأنظر للفتاوي الجديدة لما يستجد، ففي كل يوم في هذا العصر قضايا جديدة ليست موجودة في كتب الفقه، وأنا لا يجوز أن أجيب من ذهني، بل لا بد أن أستند إلى أقوال السادة العلماء الأجلاء وآراؤهم وأدلتهم التي يستندوا عليها.

لا بد للإنسان أن يقرأ تفسيراً على الأقل كاملاً للقرآن الكريم، ويكون شاملاً، فلو سألني أحد في معنى آية، أو في لفظة من كلمات القرآن، فلا أقول له: انتظر حتى أبحث ثم أرد عليك، بل لا بد أن يكون لي دراسة، يعني أقرأ التفسير كدراسة، ولا أقرأه كقراءة الصحف.

ولا بد أن أقرأ السيرة المحمدية في أكثر من مرجع حتى أكون محيطاً بها وملماً بها، لأن حياة رسول الله نُسأل فيها، والمستشرقين كل فترة يخوضوا فيها، فأعرف كيف أرد عليهم، وحتى أُثَبِت المسلمين المستضعفين، لأنهم أحياناً يتأثروا بكلام هؤلاء، فوظيفتي أن أُثَبِّتهم، وكيف أُثَبِّتهم؟ لا بد أن أعرف الحجة والدليل الذي أثَبِّت به أخي المسلم، فلا بد أن أطالع سيرة الرسول ﷺ.

الشيخ علي جمعة بارك الله فيه، عنده مكتبة بها أربعون ألف كتاب، وقرأها كلها، ولذلك هو عالم موصول، فسألوه: كيف رأيت حضرة النبي ﷺ؟ قال: جئت بمراجع السيرة التي تتحدث عن حضرة النبي وعشتُ فيها، فقرأت ثلاثين مرجعاً، وعندما عشت معهم رأيت حضرة النبي ﷺ، فلم يقرأها قراءة عابرة، ولكنه عاش في هذه الكتب، فرأى رسول الله ﷺ من عشقه لمقاماته وأحواله صلوات ربي وتسليماته عليه.

لا بد للإنسان أن يكون أيضاً عنده دراية ولو بسيطة ببعض أحوال الصالحين وتاريخ حياتهم، وكيف كانوا يربون أنفسهم ويربون المريدن؟ حتى أرد على المعترضين والمنتقدين، لأنني أصبحت منسوباً للصوفية، ولا تنفع الردود العشوائية، أنا أريد الردود العلمية بالدليل من القرآن والسنة وأحوال النبي وأحوال الصحابة وأحوال الصالحين.

فلا بد للإنسان أن يحيط بهذه الأمور قدر الاستطاعة، لأنه لا يستطيع أن يُلم بها جميعاً، ونحن رأينا كثير من العلماء الذين يُقبل عليهم الناس، ولِمَ يقبلون عليهم؟ لأنه يُطعِّم دروسه بكلمات في أحوال الصالحين، وأقوال الصالحين يكون فيها نور من الله، فتشد القلوب بهذه الأحوال.

محمد حسان نفسه لما أرد أن يشد الناس، أتى بكلام الصوفية، فعندما ينطق بكلام الصالحين في وسط كلامه يشد الناس، لأنه كلام فيه نورانية.

والعبرة ليست بالكلام، ولكن العبرة بالقبول، والقبول من الله ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه في حِكَمه عن الصالحين: **(تسبق أنوارهم أقوالهم، فتجذب القلوب وتُهيؤها لسماع العلم الموهوب)**.

قبل أن يتكلم يكون قد سلَّط الأنوار على قلوب الحاضرين ليشدهم، ولذلك الناس مشدودين لهم، لماذا؟ لأن النور قد سُلط عليهم، والنور أصلاً من عند النور الأعظم؛ من عند الله ﷻ، والحال من رسوله ﷺ.

هذه الأمور إن لم يكن يتلمسها الإنسان في فترة الشباب، فمتى يتلمسها؟! لا بد للإنسان في فترة الشباب أن يجعلها لتحصيل العلم، والإمام أبو العزائم قال:

حصِّـــل العلم بعزمٍ صـــادق لا تكن في العلم كسـلانًـا ملول

ومعذرة سأتكلم عن نفسي، فقد كنت في فترة التحصيل أحصِّل في اليوم خمسمائة صفحة من كل ضروب العلم، غير الأوراد، وهذه وهذه وهذه، وأنا الذي كنت أحدد البرنامج، فالشيخ لم يُلزمني ببرنامج، بل كنت أُكمِّل نفسي، أُكَمِّل نفسي في نواحي الفقه مثلاً، فلو سُئلت في أي ناحية من نواحي الفقه لا بد أن أجيب إجابة صحيحة تستند على الأدلة الصريحة، لأنه يوجد الآن أئمة كثيرون للمساجد لا يعرف الإجابة ويجتهد ويجيب، فهذا قد دخل في الحديث:

{ مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ، وَمَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ كَانَ إِثْمُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ }[٦]

لا يجوز للإنسان أن يفتي بغير علم، بل لا بد أن يكون عن علم، ومع العلم يكون معه نور، حتى يعرف ما يريده من يسأله فيريحه بالإجابة، لأن الذي أمامي يسأل، فما غايته من السؤال؟ يريد إجابة تريحه، فأعطيه الإجابة التي تريح باله، فلا يكون عندي شريط مسجل من هذا السؤال هنا أو هنا أو هنا فتكون الإجابة واحدة.

ولذلك تجد إجابات العلماء العاملين للسؤال الواحد متعددة، هذا يريد إجابة يعطيها له، والآخر يريد إجابة يعطيها له، وكلها صحيحة، من أين ذلك؟

إلهام من الله، ﷻ بدون تحضير.

فلا بد أن نمشي على نفس البداية التي بدأ بها الصالحون السابقون والمعاصرون واللاحقون أجمعون، لأن هذا جهادنا الموصل إلى رضوان الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن يهدينا صراطاً مستقيماً، وأن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٦ مسند أحمد والسنن الكبرى عن أبي هريرة ﷺ

تطهير القلب[٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قرَّبنا به إليه، وأخذ بأيدينا ليوصلنا بين يديه، ونكون من أهل الزُلفى والقرب لديه ﷻ، والصلاة والسلام على سيد الأنام، ومصباح الظلام، ومفتاح كل بابٍ للقرب من الملك العلام، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سنتناول أمراً هاماً يخص كل سالك ومريد في طريق الله ﷻ، بل ويخص أيضاً عوام المؤمنين والمسلمين أجمعين، هذا الأمر يدخل في قوله ﷺ:

{ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ }[٨]

والقلب هو بيت الرب ﷻ الذي يتنزل فيه بإنعامه وإكرامه من الإلهامات، ومن أنواع التجليات الإلهية، والعلوم اللدنية الوهبية، وما يأتي للعبد ليكون من أهل الفراسة النورانية، وغيرها من العطاءات التي ليس لها عدٌّ وليس لها حد، فكلها تتنزل على القلب السليم.

ولذلك يُثني الله ﷻ في قرآنه دوماً على القلب السليم، فيقول الله ﷻ في شأن من يريد وصال حضرته، أو يكون جالساً على أرائك قربه ومودته:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء)

لا بد أن يكون قلبه سليماً.

ويُثني على من وصل إلى هذه المرتبة الإلهية، وارتفع إلى درجة عليَّه هي درجة الخُلة وهو سيدنا إبراهيم إذ يقول ﷻ في شأنه:

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات)

فوصل مقام الخُلة نتيجة القلب السليم الذي سلم من العلل والأهواء والحظوظ والشهوات الدنية، والرغبات الدنيوية، وأصبح كله مملوءاً بالقرب والإخلاص والخشوع والحضور لرب البرية ﷻ.

---

٧ الجميزة – السنطة –الغربية ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/٢٧م

٨ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

القلب الحقيقي

والقلب كثيرٌ من الناس يظن أنه هو المضغة الصنوبرية التي هي موجودة في الجانب الأيسر من الإنسان، والتي تستقبل الدم من أعضاء الجسم وتنقيه وتصبُّه مرة أخرى إلى كل ذرات جسم الإنسان، وهذا القلب الذي هو موجود في الجهة اليسرى في جسم الإنسان موجود في كل كائن من كائنات الله ﷻ.

وربما يكون في صورة أضخم في الحيوانات كبيرة الحجم، وحتى الطيور وكل كائن فيه قلبٌ يقوم بهذه العملية الفسيولوجية.

وهذا صورة للقلب، ولكن ليس هو القلب الذي يتحدث عنه الرحمن ﷻ في القرآن، فإن قلب الشيء يعني حقيقته، فقلب الإنسان هو حقيقة الإنسان الباطنية التي تقوم على جميع العمليات الظاهرية التي يقوم بها هيكل أو جسم الإنسان.

ولذلك لو استمعنا إلى حديث النبي ﷺ برويّة ونظر ثاقب، نجد أنه يقول ﷺ: ((إن في الجسد)) لم يقُل في الجسم، والجسد غير الجسم، فالجسد هو الصورة الحقيقية للإنسان التي لا تراها العينان طالما الإنسان في الدنيا، ولكن يراها الإنسان لنفسه في المنام، إذا رأى نفسه تتحرك هنا وهناك، فيزور البلد الفلانية، أو يزور حضرة النبي، أو يؤدي الطواف بالبيت الحرام، وجسمه نائمٌ على فراشه لم يتحرك، من الذي ذهب ورجع وأتى بهذه البشريات وهذه العلوم والإلهامات؟

حقيقة الإنسان، وهو القلب الذي جعله الله ﷻ صورة الإنسان الكلية الحقيقية.

(إن في الجسد) لم يقل في الجسم.

لأن جسد الإنسان هو صورته الحقيقية، ولذلك يقول الله ﷻ عن قومٍ:

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ (٨الأنبياء)

أي أن الصورة الجسدية للإنسان لا تأكل ولا تشرب ولا تنام، لأنها حقيقة الإنسان، فإذا نام الجسم الظاهر ظهرت الحقيقة الباطنة :

- إن كان الإنسان من أهل الصفاء والنقاء، وتذهب به إلى عالم الطُهر والنقاء والصفاء، أو تذهب به في الدنيا إلى روضات الأتقياء، أو إلى روضة خير الأنبياء، أو إلى الأماكن التي قدستها السماء، لأنها في حالة رُقي.

- وإذا كان هذا الإنسان طوال يومه في الشهوات والأهواء والملذات والغفلات، إذا نام لا يرى إلا ما يشبه ما كان في يقظته، يرى أحلاماً مزعجات، ويرى كذا وكذا من الأشياء التي تُرعبه، والتي تجعله يقوم من نومه خائفاً مرتعباً مما قد رآه في منامه.

فحالة الإنسان في صفائه ونقائه تظهر عند نومه، وحالة الإنسان من جفائه وبعده تظهر أيضاً عند نومه.

فعندما ينام يكون إما في روضة من رياض الجنة إذا كان من أهل الصفاء والنقاء، فيرى الرؤيات الطيبة والمنامات الحسنة، وقد يزوره بعض الملائكة الكرام، وقد يزوره بعض الأولياء العظام، ويقذفون في قلبه من علوم الإلهام بعلوم وهبية وحِكَم ربانية، وعندما يستيقظ من نومه أحياناً يكون قد وعاها إذا كان مؤهلاً لبثها فيمن حوله بدون إثارة فتنة، وأحياناً يقوم من نومه وقد تناساها، لأنه ربما يكون عنده شيء من العجلة، فإذا أظهر ما لا يطاق أوقع غيره في النفاق، فتبقى هذه العلوم وديعة لديه، حتى يبلغ أشده في الطريق إلى الله ﷻ فتأتيه: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ (٢٢يوسف) بلغ أشده في طريق الله وفي السير إلى الله، وليس البلوغ في الجسم، وإنما البلوغ في المقام الكريم الأمين: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ (٦٠الأنبياء) وهو مقام الفُتُوة.

القلب النوراني

هذا القلب النوراني الإلهي هو من نور الله، وأُفيض علينا فيضاً من لدن حبيب الله ومصطفاه ﷺ، ولذلك هذا القلب لا يوجد إلا عند المؤمنين، أما غير المؤمنين فلديهم نفوس وليس لديهم هذه القلوب، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ (٣٧ق).

إذاً هناك من ليس له قلب، أين قلبه؟ يقول الله فيه: ﴿ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا ﴾ (١٧٩الأعراف) طمث الله على بصره الباطن وبصيرته النورانية فأصبح يعيش في ظلام الكفر والطغيان، والجهل بحضرة الرحمن، والجهل بمقام النبي العدنان ﷺ، فهؤلاء ليس لهم قلوب.

والقلب وهو حقيقة الإنسان لا ينام ولا يأكل ولا يشرب ولا يموت ولا يفنى، ولذلك عندما تحدَّث الله ﷻ عن الفناء والموت قال: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ (٣٥الأنبياء) لأن النفس موجودة عند الجميع، وهي الدرجة الدنيا من النفس، أما النفس اللوامة والنفس المطمئنة والنفس الملهمة، فهذه عطاءات من الله وترقيات لعباده المؤمنين.

وظيفة النفس

لكن النفس عموماً:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ (الشمس)

هذه النفس تُسيِّر الجسم.

وهي موجودة عند الجميع للإشراف على تسيير الجسم ظاهراً من غذائه وشرابه ونومه ونموه وعلاجه، وكل شيء له في حياة الجسم تُشرف عليه النفس.

هذه النفس هي التي تموت، ولم يقُل الله ﷻ: كل نفس ذائقة الحب، أو كل نفس ذائقة القرب، أو كل نفس ذائقة الوُد، ولكن الوُد والقرب لأناس معدودين يقول الله تعالى فيهم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (٩٦مريم).

هؤلاء هم الذين لهم وُدٌّ، والوُد سيجعله الله في المستقبل عطاءًا نتيجة جهادهم وجدِّهم في طاعة ربهم، والاقتداء بهدي نبيهم صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالقلب الحقيقي:

الذي فيه الإيمان، والذي فيه الحب لحضرة الرحمن، والذي فيه الحب لمن تحبه من بني الإنسان، والذي فيه البُغض، والذي فيه الكره والغل والحقد والحسد وما شابه ذلك.

وليس الشكل الصنوبري الموجود في الجانب الأيسر من جسم الإنسان:

وإلا فلو نقلنا قلباً – كما يحدث الآن في بلاد الغرب – من رجل مؤمن إلى رجل غير مؤمن لانتقل معه الإيمان، لكن هل هذ يحدث؟ أبداً !!!.

وكذلك لو نقلنا قلباً من رجل قلبه مملوء بالحب لفلان وفلان إلى إنسان آخر هل يظل الآخر متعلقاً بحب هؤلاء؟ لا !!

لأن هذا دليلٌ على أن هذا القلب آلة جسمانية لضخ الدم في هذه الأعضاء البشرية.

أما القلب الحقيقي فهو الذي فيه الإيمان، ... وهو الذي فيه الحب، ... وهو الذي به القرب .... ، وهو الذي يُملأ بالزهد ....، ويُملأ بالورع ....، ويُملأ بالخشوع...، ويُملأ بالحضور ومراقبة الرقيب ﷻ:

.... هذا هو القلب السليم ....

حقيقة الصدور

ولذلك يقول الله ﷻ عن المؤمنين:

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)

لم يقُل: ونزعنا ما في قلوبهم، أي أن الغل والبغض والكره والحقد وغيرها تكون في الصدور، لأن القلب لا يقبلها، فإذا امتلأ الإنسان بالغل على إنسان، وحاول أن يُدخل ذلك في قلبه، لا يقبلها القلب فترجع إلى الصدر مرة أخرى.

والصدر هو الذي يُصدر الأوامر لكل مملكة الإنسان، فهو كالحكومة أو مجلس الوزراء الذي يُصدر الأوامر لكل إنسان في مملكته التي خصَّه بها الرحمن ﷻ.

ولذلك عندما ذكر الله ﷻ أيضاً وسوسة الشيطان، قال ﷻ:

﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس)

لم يقُل في القلب، لأن قلب المؤمن مملوء بالأنوار، والشيطان حريص على نفسه، فلو ذهب إلى هذه الأنوار يحترق فوراً من نور الواحد القهار ﷻ.

وهذه الأنوار يعبِّر عنها سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ فيقول:

((لو كشف عن نور المؤمن العاصي لملأ ما بين السماء والأرض، فما بالك بالمؤمن المطيع؟!))

فإذا كان نور قلب المؤمن العاصي يملأ ما بين السماء والأرض، ... فكيف يحمله هذا الجسم الضعيف النحيف؟!

إذاً الإنسان له جسدٌ قوي البنيان شامخ الأركان جعله الله ﷻ هو حقيقة الإنسان:

وهو صورة الحي الذي لا يموت:

{ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ }[٩]

يعني خلق آدم على صورته سميعاً بصيراً ...

فيه كل الأسماء الحُسنى الإلهية التي تجلت عليه تجلياً يقينياً من رب البرية ﷻ.

---

٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

جهاد القلب

هذا القلب ...

يحتاج إلى جهاد حتى تنزل هذه العطايا التي ذكرناها فيه، والتي أشرنا إلى بعضها.

ولكن جهاد القلب:

يكون بعد مخالفة النفس مخالفة تامة في كل أمر نهى الله عنه، وتُحاول أن تجرنا إليه.

فيبدأ الإنسان الجهاد:

- أولاً بجهاد النفس:
  - وجهاد النفس بمخالفتها في كل أمر تحاول أن تجرُّ الإنسان إليه لأنه كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

هي النفس للداني تحن وترغب وللعاجل الفاني تميل وتطلب

تميل دائماً للدناءات !!!

لأنها تميل للشهوات والحظوظ والأهواء !!!

فلا بد من جهادها جهاداً تاماً.

- ثم بعد ذلك يبدأ يجاهد قلبه.

ولذلك أكرمنا الكريم سبحانه ووضعنا عن النفس كتاباً لمن يريد جهادها، هو كتاب (النفس وصفها وتزكيتها) [١٠] فعليكم بالإطلاع عليه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتولانا ويتولاكم بولايته ....

ويجعلنا وإياكم من أهل قربه وعنايته ...

وأن يعيننا على أنفسنا ...

وينصرنا عليها نصراً عزيزاً.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠ ومن أراد المزيد من العلم عن جهاد النفس فعليه بكتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) الطبعة الثانية.

حقيقة القلب[11]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله على فضله ونوره وهُداه، والصلاة والسلام على بيان القرآن، وسر أسرار حضرة الرحمن، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين .. آمين آمين يا رب العالمين.

صور الإنسان

الحقيقة أن حقيقة القلب توقَّف عن الحديث عنها حتى كبار علماء المسلمين، فالإمام الغزالي على سبيل المثال عندما ذكر في كتابه (إحياء علوم الدين) فصلاً طويلاً سماه (عجائب القلب) تحدَّث فيه عن وظائف القلب وعن صفاته، وعن كيفية جهاده في هذه الصفات والتخلق بالأخلاق الكريمة، ولم يتحدث عن حقيقة القلب، لأن هذا أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ﷻ، وأشار إليه الله ﷻ في القرآن الكريم إشارات خفيفة تحتاج إلى الأنفس اللطيفة التي تستمد روحانيتها وإلهاميتها وعلومها من الله ﷻ.

ونوجز الكلام في هذا الأمر باختصار شديد، فالإنسان له صورتان، صورة مادية ظاهرة وهي التي بها الجسم ومعه الجوارح، ومعه الأعضاء الحسية الظاهرة.

وصورة غير مادية، أو صورة باطنية، أو صورةٌ معنوية، وهي حقيقة القلب الذي يُشرف على إدارة هذا الجسم كله بأمر الله ﷻ.

وأشار الله ﷻ إلى ذلك إشارات لطيفة، فهذا الجسم من عالم المُلك، أي العالم الذي نعيش فيه الآن، ولذلك قال الله ﷻ:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ (١الملك).

وعالم الملكوت الأعلى عالمٌ معنوي نوراني يقول فيه الله ﷻ:

﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٨٣المؤمنون).

والمخلوق الوحيد الذي خلقه الله ﷻ وجعل فيه عالم المُلك وعالم الملكوت هو الذي خلقه بيديه وهو الإنسان، ولذلك عاتب الله ﷻ إبليس عندما امتنع عن السجود لآدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، عندما قال:

---

١١ الجميزة – السنطة –الغربية ٣٠ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/٣م

﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ (٧٥ص)

فالإنسان هو الوحيد الذي خُلق باليدين، ظاهره من عالم الملك وباطنه من عالم الملكوت، ظاهره من عالم الشهادة الذي نراه بالأعين الحسية وباطنه من عالم الغيب، ظاهره من نور حضرة الظاهر وباطنه من أسرار حضرة الباطن، ففيه كل هذه الأشياء.

المعاني الغيبية في الإنسان

فالأشياء غير المادية المعنوية التي تُسير هذا الجسم هي التي يُطلق عليها القلب، وهي التي تشرق على هذا الجسم فيتحرك ويمشي، وهي التي تُشرق على الجسم فيشتهي ويطلب الغذاء والشراب والنكاح، وهي التي تُشرق على الجسم إذا أراد أن يتلقَّى علماً إن كان من العلماء بالسمع أو ببصره أو بحسه أو بخبرته في الحياة، فيحتكم إلى العقل، والعقل ليس في الجسم، ولكنه في المعاني الغيبية.

هذه المعاني الغيبية هي القلب والعقل والروح والنفس لا توجد في أي مكان في جسم الإنسان، لأنها معاني غيبية، وإن كانت هي التي تدير هذا الكيان، وهذا أمرٌ عجيبٌ لأنه صُنع الله الذي أتقن كل شيء.

سر الروح

فأولها الروح، والروح هي النفخة القدسية النورانية التي واجهت في يوم الميثاق؛ يوم ألست بربكم وجه رب البرية، هذه الروح هي التي تُشرق على الجسم بسر الحي، وتُشرق عليه كإشراق الشمس على عالم الكون، ويقول الله ﷻ فيها:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ والظل هو الجسم، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ﴾ يعني بالموت، ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ ﴾ أي الروح ﴿ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴾ (٤٥الفرقان).

هذه الروح طالما تُشرق على الإنسان يحيا ويتحرك ويذهب ويجيئ ويتحدث ويعمل كل الأعمال التي يقوم بها بواسطة جسمه، فإذا نام ساحت الروح في عالم الملكوت لتأتي له بغرائب العلم، وغرائب الحكمة والرؤيا الصالحة إن كان من الصالحين.

وإذا أشرق على قلبه اليقين، تسوح الروح في عوالم أخرى من عوالم رب العالمين، قد تسوح في عالم الجبروت، وقد تسوح في عالم العظموت، وهي عوالم إلهية يعجز العقل حتى عن الإشارة إليها لأنها غيوبٌ إلهية لا يعلمها إلا رب البرية ﷻ.

ولأن هذه الروح واجهت رب البرية فكان لها على الإنسان مزية، فهي التي جعلت الله ﷻ يُسخر كل شيء في الكون لحضرة الإنسان:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ (١٣الجاثية)

لماذا؟ ... لأن فيه الروح والتي هي من حضرة الله ﷻ.

هذه الروح غذاؤها تفريد الله ﷻ، لا تريد شيئاً من الدنيا ولا الآخرة غير رضاه، وغير النظر إلى وجهه ﷻ، فغذاؤها تفريد الله بالقصد، ومشاهد الروح – كما قلنا – مشاهد في حضرة الملكوت، أو مشاهد في حضرة العزة، أو مشاهد في حضرة الجبروت.

وهذه الروح لها عيون، ولكن هذه العيون لا تظهر للإنسان إلا إذا فنى عن نفسه بالكلية، وكان كما قال الله في حديثه القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[١٢]

أي أنه لا ينظر بنور الله، وإنما ينظر بالله ﷻ، لأن الله تجلى بذاته على هذه الروح.

العقل

أما العقل، فإن الله ﷻ جعله نورًا موهوبًا في قلب الإنسان يتلقى عن حضرة الرحمن العلوم الإلهية، والإلهامات الربانية.

وجعل هناك عقلًا كسبيًا هو الذي به يُحصِّل الإنسان العلوم الكسبية، ويتحدث فيمن حوله ويفكر، والعقل معه عالم الفكر وعالم الوهم وعالم الخيال وعالم الذاكرة وعالم الحافظة، وكلها عوالم داخل العقل، لكن هذا العقل بذاته يعجز عن معرفة ربه ﷻ.

أما الذي يعرف الله فالعقل الموهوب الذي جعله الله في القلب، وفيه نورٌ من حضرة علام الغيوب، يقول الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: **((رأيتُ العقل عقلين فمطبوعٌ ومسموع))** عقل مطبوع وعقل يسمع، وهو العقل الحسي الذي معنا، وهذا يُشرق عليه نور العقل الموهوب فيعقل ما يسمعه ويتدبر فيه، ويتخيل الأمور ويُفكر إذا أشرق عليه نور العقل الموهوب، لكنه لا يستطيع أن يصل إلى حقيقة الإيمان.

---

١٢ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

فالإيمان منحة وفضلٌ من حضرة الرحمن، ولذلك قال فيه الله ﷻ:

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٧الحجرات) وقال تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة).

ليس القلب الجسماني، ولكنه القلب الحقيقي للإنسان.

ولذلك الإيمان فطرة من الله ومنحة من الله وهبة من الله !!

أما العقل العادي الحسي فهو عاجز عن معرفة نفسه، فكيف يعرف ربه ﷻ؟!.

وكل جامعات العالم إلى وقتنا هذا لم تكتشف أين يُوجد العقل، ولا أين تُوجد النفس في الإنسان، ولا أين تُوجد الروح التي هي حقيقة الإنسان، ونسوا أن هناك أمور غيبية إلهية هي حقيقة الإنسان التي تسير هذا الجسم في هذه الأكوان.

وما الجسم إلا آله للقلب يستخدمها القلب في مرحلة وجوده في هذه الأكوان.

والقلب هو الإنسان !!!

والإنسان هو القلب لأنه هو الحقيقة النورانية الإلهية التي بها الإنسان إنسان.

قلب المؤمن

أما القلب فهو حقيقة الإنسان العُليا، وهو صورة الرحمن التي خلقها ﷻ، قال الله ﷺ:

{ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ }[١٣]

- وهو الذي به الإتصال بين الإنسان وبين العوالم العلوية.
- وهو الذي يتلقى المواهب من الله، ويتلقى العلوم من العوالم العلوية.
- وهو الذي يتنزل الله فيه بالسكينة، وهو الذي يتنزل الله فيه بالطمأنينة:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨الرعد)

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح).

كل هذه المواصفات تُوجد في قلب الإنسان الذي جعله الله ﷻ هو حقيقة الإنسان.

---

١٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

ولذلك فإن الله ذكر لنا في القرآن أن هناك أُناس لهم قلوب تعقل الغيوب، وهناك أُناسٌ ليس لهم قلوب:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق)

وقال الله تعالى:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٦الحج).

فهي التي لا تستطيع أن تتحرك ولو أنملة من الكفر إلى الإيمان إلا إذا شاء وأراد حضرة الرحمن ﷻ، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ }[١٤]

فإذا كان الإنسان في دائرة الإيمان فقلبه هو اللوح المحفوظ الذي حفظ الله ﷻ فيه ما كتبه له من الإيمان ومن العمل الصالح ومن كل ما يحتاجه من حضرة الله ﷻ، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذلك عَلَقَةً مِثْلَ ذلك ثُمَّ يَكُونُ فِي ذلك مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وان أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا}[١٥]

وهذا يتحقق في قول الله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (٩٦الصافات) لأن الإنسان لا يعمل إلا بحول وطول وقوة ومعونة من الله ﷻ، فإذا تخلى الله عنه بحوله وقوته ومعونته وتوفيقه، ماذا يصنع؟! فتتصرف النفس من تلقاء نفسها فتهوي به في ظلمات لا يعلم قعرها ولا بُعدها إلا الله ﷻ.

---

١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
١٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

قلب المحسن

فإذا كان الإنسان يُحسن الأعمال الصالحة، ويُحسن ما بينه وبين الخلق في الآداب والمعاملات، ويُحسن بينه وبين ربه بالصدق والإخلاص والخشوع والحضور، كان هذا الإنسان من المحسنين، وقلب هذا المحسن هو البيت المعمور، لأنه معمورٌ بالأعمال الخيرة والأعمال الصالحة التي يعملها لله، ولا نقول أنه معمورٌ بالله، فإن القلب الوحيد المعمور بالله هو قلب سيدنا رسول الله (اللهم صل وسلم على بيت الله المعمور بالله، ونور الله الدال على الله) لكن المحسن يكون قلبه معموراً بالأنوار الربانية والعطاءات الإلهية، نتيجة أعماله الصالحة التي يتجه بها إلى رب البرية ﷻ.

سعة القلب وأهميته

فإذا زاد الإنسان في اجتهاده، وزاد الله ﷻ له في توفيقه، فينتقل من مقام الإحسان إلى مقام الإيقان، وهنا يكون قلبه بيتٌ للرب ﷻ – وانتبهوا لدقة الألفاظ – لا أقول بيتاً لله، ولكن بيتاً للرب ﷻ: **(القلب بيت الرب فطهره له بالحب)** فيكون قلبه بيتاً للرب ﷻ، وإليه الإشارة بالأثر الوارد عن الله: **((ما وسعتني سماواتي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن))**، لتعلم على قدرك مدى سعة هذا القلب، إذا كان هذا القلب يسع أسماء الله وصفات الله وعطاءات الله، وليس ذات الله، فإن ذات الله ليس لها حدٌّ ولا قدرٌ ولا مقدار، فما بالك بشأن هذا القلب؟! يشير إلى بعض ذلك الإمام أبو اليزيد البسطامي فيقول:

((ا لعرش وما يحويه سبعمائة ألف مرة؛ لا يملأ زاوية واحدة من زوايا القلب؛ وعددها ثلاثمائة وستون زاوية)).

وسعة هذا القلب لا يعلمها إلا من يقول للشيء كن فيكون، فالقلب بيت التجلي، والقلب بيت التحلي، والقلب بيت التملي، كل الخيرات والعطاءات المعنوية يختص بها القلب من الله ﷻ، والقلب هو مركز الوحي للأنبياء:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الشعراء).

والقلب كذلك هو مركز الإلهام للصديقين والأولياء، فإن الله يُلهمهم في قلوبهم:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (﴿٢٨٢﴾البقرة) أين ينزل هذا العلم؟

في ساحة القلب النوراني:

﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (٦٥الكهف).

والقلب كذلك – كما ذكرنا مقر الإيمان – ولا يستطيع الشيطان الوصول إليه، فإن الذي يوسوس به الشيطان هو الصدر: ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس) لكنه لا يستطيع أن يذهب إلى القلب، وإلا احترق من أنوار التوحيد التي جعلها الله ﷻ في قلب العبد المؤمن.

والقلب كذلك جعله الله مركزاً للمشاعر والأحاسيس، فهو الذي تُحب به، وهو الذي تبغض به، وهو الذي جعل الله فيه الرحمة والحنان والعطف، وهو الذي جعل الله فيه الغلظة والقسوة، وهذه الأحاسيس والمشاعر كلها أين تكون؟ في قلب العبد المؤمن الذي جعله فيه الله ﷻ، وقال الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (١٥٩آل عمران) والرحمة والفظاظة والغلظة صفاتٌ معنوية، ولذلك قال ﷺ عندما شُق صدره وغُسل قلبه وقد تكرر هذا الأمر مرات، قال:

{ فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً }[١٦]

وهل الإيمان والحكمة يوضع في طست؟! وهل هو شيء منظور تراه عين الحس؟ لا، وإنما هو شيء معنوي يضعه الله ﷻ في هذا الإنسان.

فقلب الإنسان هو حقيقة الإنسان الغيبية التي تُشرف على كل الأعضاء الجسمانية، والنفس هي التي تُشرف على شهوات الإنسان، تجعله يشعر بالحاجة إلى الطعام، والحاجة إلى النكاح، والحاجة إلى النوم، فهي التي تتولى هذه الأمور.

إذاً هذه الحقائق كلها في القلب، ولكن كل حقيقة لها خصائصٌ خاصة بها، لكن مجموعها هو قلب الإنسان هو حقيقة الإنسان، هو الإنسان نفسه الذي جعله الله ﷻ صورة الرحمن ﷻ.

أسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يوفقنا لصالح العمل وللعمل الصالح، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٦ سنن الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ

مراتب القلب[١٧]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

قلنا أن قلب الإنسان هو حقيقة الإنسان التي تحمل المعاني الغيبية التي لا تظهر في جسم الإنسان، والمعاني الغيبية كالعقل والروح والسر والخفى والأخفى وغيرها من هذه الحقائق الغيبية لا يُوجد لها أي مكان في جسم الإنسان، ولكنها تقع في حقيقة الإنسان وهي قلب الإنسان.

وقلب الإنسان من عالم الملكوت وجسم الإنسان من عالم المُلك، أي العالم الأرضي الذي نحن فيه، فكل الحقائق التي من عالم الملكوت لا تُرى بعين الحس، وإنما تُرى بعين البصيرة لمن فتح الله له بصيرته ونوَّر سريرته، كل هذه الأشياء الملكوتية تقع في مملكة القلب.

أما الأشياء المادية فهي كلها تقع في جسم الإنسان، والله ﷻ رتَّب الوجود كله درجات ومراتب، فهناك مراتب للوجود كله، لكن هذا العلم من علوم المكاشفات لا يُوجد في كتب ولا في مؤلفات، ولا يستطيع أن يتحدث عنه حتى العارفين ولو بالإشارات، وإنما يكون إلهاماً، والإلهام يتلقاه القلب من الله ﷻ مباشرة.

والقلب وهو الحقيقة الملكوتية النورانية في الإنسان جعل له الإمام أبو العزائم ﵁ مراتب سبعة، فيقول: مراتب القلب سبعة: الفؤاد والعقل والحِجر والحِجى واللُّب والجنان والسويداء، وهي أعلى مراتب القلب، والحقيقة أن الإمام أبو العزائم ﵁ ذكر هذه المراتب كما ذكرناها الآن ولم يفسرها، لأنها أشياءٌ لا تدركها العقول الجسمانية، ولكن تحتاج إلى العقول الوهبية.

١ ـ الفؤاد

الفؤاد هو الجزء الرفيع من القلب، وهو برزخٌ بين القلب والجسم.

فالقلب يتلقى من عوالم الملكوت ومن عالم الغيب ما يرد إليه من العلوم والفوائد والمعارف، ويُنزلها على الفؤاد والفؤاد يُنزلها على عالم الجسم، والجسم بما فيه من الحواس، وما فيه من الآلات يتلقى المعارف من عالم الكون، هذه المعارف ينقلها الفؤاد أيضاً إلى عالم القلب: فالفؤاد هو البرزخ يعني المعبر بين الجسم وبين القلب.

---

١٧ الجميزة – السنطة –الغربية ٧ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ١٠/١/٢٠٢٢م

٢ ـ الحِجر

أما الحِجر فهو المقام الذي يمنع الإنسان من تعاطي ما يليق به من الأفعال والأقوال، ومن الوقوع في الشرك والضلال، وهذا مقام اسمه الحجا أو الحِجر، وهذا مذكورٌ في سورة الفجر: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ ﴾ (الفجر) يعني الإنسان الذي له حِجر وهو المُكَوِّن النوراني في قلبه، هذا المُكَوِّن هو الذي يمنعه من المعاصي، ويمنعه من المخالفات، ويمنعه من الوقوع في الضلال فضلاً من الله ﷻ.

٣ ـ الحِجى

أما الحِجى فهو جانب الفطنة الذي يكون في جانب الإنسان، ويظهر أثره على جسم الإنسان، فهو يمنع الإنسان من السقوط عند المجادلة مع أي شخص آخر، لأنه يُورد عليه من الفطنة ومن الذكاء ما يجعله يستطيع أن يجادل بذكاء ودهاء فلا يسقط، وهو أيضاً الذي يميز به الإنسان بين الأشياء المتماثلة، شيئين يماثلوا بعض ويضاهوا بعض، ما الذي يفرق بينهما؟ يحتاج هذا إلى فرط الذكاء وشدة الذكاء، وهذا الذكاء وهذه الفطنة له مقامٌ مخصوصٌ في قلب الإنسان.

٤ ـ اللُّبُّ

أما الْلُبُّ فهو جوهر القلب وحقيقته الباطنة، أو حقيقة القلب التي يتم بها الإدراك والتمييز، يُدرك بها الأشياء ويميز بها بين صور الأشياء.

٥ ـ العقل

العقل شرحناه قبل ذلك، وقلنا أن العقل جوهرة نورانية جعلها الله ﷻ في القلب، تتلقى من الله العلوم الإلهية، وتنزلها إلى العقل المطبوع الموجود صورةٌ له أو مقرٌ له في رأس الإنسان، وليس هو المخ ولا المخيخ، ولكنها أجهزة ربانية نورانية تتصل بأنوار قدسية ربانية، لا تطلع عليها الأجهزة الطبية، ولا حتى الأجهزة الكشفية الحديثة، لأنها أمورٌ إلهية.

٦ ـ الجَنان

أما الجَنان فهو جوف القلب الذي يتسم بالإرادة، وهو الذي يُعطي الإنسان الجرأة عند اتخاذ القرار، والجُرأة عند المنازلة والصراع والحروب، والثبات في المواقف المختلفة، كل ذلك يأتي من الجنان الذي هو لُب وقلب الإنسان.

علامة استنارة القلب

متى يعلم الإنسان صاحب هذا القلب أن قلبه قد استنار بنور الرحمن؟ إذا كان صاحب هذا القلب همه الأكثر في عبادة الله وطاعة الله، وأكثر كلامه في الثناء على الله والاستغفار لله، إذا كان على هذه الحالة نعلم أن قلبه استنار بنور الله ﷻ.

فالإنسان قد تغلب عليه الحياة الملكوتية من طاعة الله وذكر الله والاستغفار لله، وهذا يكون علامة على رضا الله عنه وقربه منه، أما إذا غلبت عليه الحياة الحيوانية، وليس له همٌّ إلا في الطعام والشراب والنكاح والشهوات وما شابه ذلك، دلَّ ذلك على أنه ساقطٌ من عين الله ﷻ: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤الفرقان).

وإذا غلبت عليه الحياة الشيطانية، يعني كان كل همه في الكيد والتفرقة بين الناس، والمشي بينهم بالغيبة والنميمة، والسعي لعدم الإصلاح بين المتآخين، بل إيقاظ نار الفتنة والخصومة بينهم ويتلذذ بذلك، فيتلذذ إذا وجد الأحباب أعداء، ويتلذذ إذا وجد بين الإخوة خصومة شديدة ويُلدُّون في هذه الخصومة، إذا كان على هذه الحالة فهو والعياذ بالله شيطانٌ وأضل: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ ﴾ (١١٢الأنعام) بدأ الله بشياطين الإنس.

أيضاً للإنسان علامة في نفسه يعلم بها أن قلبه قد طهُر لله، وأن الله ﷻ راض عنه، إذا ترك العيوب وبعدها ترك الذنوب، وكانت دائماً طاعاته وأعماله في مرضاة علام الغيوب، وهذا الذي يكون في هذا الحال ينظر بعين القلب، والذي ينظر بعين القلب، علامته في نفسه أن ينظر إلى عيوب نفسه، فمن نظر بعين قلبه ينظر إلى عيوب نفسه.

ومن لم يكن قلبه أُضيئ بنور الرحمن ينظر إلى عيوب غيره، ومن ينظر إلى عيوب غيره فاعلم أنه في هذا المقام بعيد عن حضرة الرحمن ﷻ، لأنه لو كان قريب من الله يكون دائماً نظره إلى عيوب نفسه فيُصلحها، ويُجملها ليكون مقبولاً عند ربه، لأن الله جميلٌ يحب الجمال، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

((عيون الرأس إن فُتحت رأت عيوب الغير، وعيون القلب إن فُتحت ؛ رأت عيوب النفس فداوتها، فرأت الجمال الإلهي))

وهذه علامة يجدها السالك في نفسه ليتأكد أنه على وفق مراد الله ﷻ.

شعب القلب

ومن هنا نجد أن للقلب ثلاث شعب، شعبة توصله إلى الله، وشعبه توصله إلى رسول الله، وشعبة توصله إلى عمل دنياه.

والقلب يقوم بالجميع في وقت واحد، ولا يطغى واحد على واحد، فما كان لله يواليه على الدوام، وما كان نحو رسول الله صلى الله وسلَّم يسعى فيه أبداً حتى يكون على ما يرام، وما يحتاجه من أمور الدنيا يسعى فيه كما أمر الله في قرآنه، وكما كان الحبيب ﷺ في هديه، وكما كان الصحابة الهادين المهديين رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين في كل أحوالهم، فقد كانوا كما قيل في شأنهم:

في الليل رهبان بذكر إلههم سكارى حيارى في شهود وفي ذكر
تراهم نهاراً كالسباع شهامة كما أمر الرحمن في طلب البر

في النهار يسعون في السعي على معاشهم والأحوال التي بها تتم حياتهم، وفي الليل يجعلون ولو وقتاً منه مخصصاً لطاعة ربهم.

كان سيدنا عمر رضي الله عنه – وهو من أقطابهم – لا ينام ليلاً ولا نهاراً إلا قليلاً، يغفو غفوة بعد الظهر إلى قبل العصر، فقيل له: يا أمير المؤمنين لِمَ لا تُعطي جسمك حظه من النوم، فقال رضي الله ﷻ عنه: ((إذا نمت نهاراً ضيعت رعيتي، وإذا نمت ليلاً ضيعتُ نفسي، فجعلتُ النهار لرعيتي، وجعلتُ الليل لربي ﷻ)).

فالنهار للسعي على المعاش تماماً بتمام، وهم في هذا السعي كالأسود التي تجالد بصراع وبقوة في سبيل نيل لقمة حلال التي هي أساس صلاح العبادات، وقبول الدعاء عند رب البريات ﷻ.

وفي الليل يجعلون منه ولو وقتاً يكونون فيه في حال قرب من الله للمناجاة، إن كان في تلاوة كتاب الله، أو في ذكر الله، أو في الاستغفار لله، أو في تلاوة بعض فصول العلم النافع الذي به يتعرف على دينه، ومن يفعل ذلك يكون داخلاً في قوله ﷺ:

{ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ }[١٨]

علامة حب الله للعبد أن يجد عنده في نفسه رغبة في زيادة المعرفة بدين الله ﷻ، لا ليقول، ولكن ليعمل به ليكون من العلماء العاملين.

---

١٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

حياة القلب

وما أجمل هذه الحكمة جليلة القدر التي ساقها لنا الإمام أبو العزائم ﷺ حيث يقول:

((قلب المؤمن زينة الرحمن، فهو كالبستان غرسه الملك المنان، حفظه من الشيطان، ومن زَرع زرعاً سقاه، ومن صنع معروفاً أبقاه، ومن زَيَّن موقعاً وقاه)).

إذا أراد الإنسان أن يُحيي قلبه، فماذا يفعل؟

حياة القلب لا تكون إلا بمجالسة أهل الذكر وأهل الفكر وأهل الشكر، واستجلاب نور القلب يكون بخلوة ولو قليلة مع مجاهدة النفس، فإذا صاحب الإنسان الصالحين وجالسهم على الدوام، وجعل لنفسه خلوة ولو قليلة يناجي فيها الله ﷻ، وجاهد نفسه في ترك المعاصي بالكلية، هناك يحتيي القلب، وإذا احتيا القلب، فإن صاحبه قلبه لا يموت أبداً، كان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه إذا نام يسمع كل من حوله قلبه وهو يقول الله الله الله، كأنه ورث رسول الله ﷺ في قوله:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[19]

وكان لا ينام إلا إذا حضر عنده قارئٌ يقرأ في كتاب لله حتى يستغرق في النوم، وكان أحياناً يستغرق في النوم فيتوقف القارئ، فيقول له: أكمل، وكان أحياناً يُخطئ القارئ في لفظة أو حرف فيُصحح له وهو نائم، وهذا دليلٌ على أن قلبه قد احتيا، ومن احتيا قلبه يكون حتى وهو نائم في ذكر دائم لله ﷻ على الدوام.

أدوات تحصيل المعرفة في الإنسان

الأمر الآخر الذي نحتاجه هو أن الله ﷻ جعل أدوات المعرفة في كتاب الله ثلاث، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (٣٦الإسراء).

أي أن الإنسان يجمع المعارف من الأكوان:

إما بالحواس الخمس التي جعلها الله ﷻ فيه، وهي الذوق واللمس والسمع والبصر والشم، وهي تجمع للإنسان معارف عن طريق هذه الحواس.

---

١٩ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وإما أن يسمع الإنسان أو يقرأ وتنتقل هذه المعارف إلى عقله، فتكون المعارف عن طريق العقل، وإما أن يصل للإنسان إلهامٌ من الله إذا صفا إلى قلبه.

فالمعرفة إما حسية وإما عقلية وإما قلبية إلهامية، فالمعرفة الحسية كما قلنا تعتمد على الحواس، ويشترك فيها جميع الناس.

والمعرفة العقلية هي التي تنقلها الحواس إلى العقل، ويفكر فيها العقل، قد يشترك فيها جميع الأنام، ولكن يختلفون بينهم بحسب العقائد التي تكون في قلوبهم، فإنهم يشكلون هذه المعارف العقلية بحسب فِطرتهم ودينهم ومذاهبهم التي يخضعون لها.

أما المعرفة القلبية فتكون معرفةٌ إلهامية .. والمعرفة الإلهامية لها طريقان:

أولاً: إذا صفا الإنسان وتعبد لله فإن الله ﷻ قد يُلهمه بأسرار العبادات التي يعبدها لله، فإن الشريعة جاءت بطريقة العبادات، ولكن الحقيقة تأتي بأسرار هذه العبادات، يعني كمثال: لماذا جعل الله الصلوات خمس؟ ولماذا سمى هذا الصبح؟ وهذا الظهر؟ وهذا العصر؟ وهذا المغرب؟ وهذا العشاء؟ ولِمَ اختلفت الركعات فكان الصبح ركعتين والمغرب ثلاث والباقي أربع؟ هذه تحتاج إلى إلهام من الله يقذفه في قلب العبد ليعلم حكمة هذه الأحكام التي من أجلها فرضها علينا الله ﷻ.

كذلك إذا حجَّ بيت الله، يعلم لماذا كان الطواف سبعاً؟ وكان السعي سبعاً؟ وكان رمي الجمرات سبعاً؟ ولِمَ كان الطواف بهذه الكيفية؟ ولِمَ كان السعي بهذه الكيفية؟ وكيفية الأعمال الشرعية في الحج يُظهر الله ﷻ له أسرارها، وهذا علمٌ اسمه (حكمة الأحكام).

ولا يصل الإنسان إلى القرب من الحاكم ﷻ إلا بمعرفة حكمة الأحكام، ثم يعمل بهذه الأحكام بإخلاص وصدق وصفاء نية، فيهب الله له من عنده عطاءاً لدُنيّاً يعلمه حكمة هذه الأحكام ليزيد في عبادته، ويتلذذ بها ويجد لها أثراً طيباً في نفسه على الدوام.

ثانياً: يُلقي الله ﷻ عليه إذا زكت نفسه ونمى فؤاده وصفا قلبه قبساً من علوم المكاشفة، وعلوم المكاشفة يعني علوم الحقائق العالية كحقائق عالم الملكوت التي لا يراها إلا الإنسان الذي صفت مرآة قلبه، وفتح الله عين قلبه:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لايراه الناظرون
وأجنحةٌ تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمين

الطريق إلى علوم الإلهام

ما الذي يوصل الإنسان لعلوم الإلهام؟

يحتاج إلى عدة أمور إذا سار عليها يفتح الله له علوم الإلهام في قلبه

الأمر الأول:

يكون له – كما قلنا – خلوة مع الله، هذه الخلوة شرطها أن تكون الحواس والجوارح غير حاضرة معه أثناء خلوته بالله.

ولكن إذا جلس الإنسان في مكان بمفرده، وحواسه تقلب له ما جنته قبل ذلك من العلوم والمعارف فليست هذه خلوة، فالخلوة شرطها أن يكون هناك عُزلة بينه وبين حواسه إذا انفرد بمولاه.

الأمر الثاني:

أن يكون عاملاً بقول مولاه:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ (٣٠النور)

لأن البصر هو أكثر الحواس ايراداً للمعلومات إلى الإنسان، فيتطلع هنا وهنا، وينظر هنا وهنا، وهذه الصور المرئية تنتقش على لوح القلب فلا تنزل فيه العلوم الإلهية.

الأمر الثالث:

بعد ذلك يحتاج إلى بعض المجاهدات في الطاعات، وأهم هذه المجاهدات الإعراض عن الشهوات، واتباع الورع هو اتقاء الوقوع في الحرام، فإذا فعل ذلك ظهرت له العلوم الإلهامية التي يقول فيها الله:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

ويقول فيها ﷻ:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

ويقول أيضاً:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق)

ويقول فيها ﷺ:{ مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَمْ }[٢٠]

ويقول أيضاً ﷺ: { مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا؛
إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ}[٢١]

وكان عمر رضي الله عنه يكتب إلى أمراء جُنده الذين يفتتحون الأقاليم الأخرى قائلاً:

((احفظوا ما تسمعون من المطيعين، فإنهم تنجلي لهم حقائق صادقة))

ومن الشواهد أيضاً على العلوم الإلهية الإلهامية:

ما حدث من الصحابة الأجلاء، ومن الصالحين في كل زمان ومكان ..

على سبيل المثال سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه دخل على سيدنا عثمان، وكان أميراً للمؤمنين، فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه موجهاً الخطاب له: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال له: أوحيٌ بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟ قال:

لا، ولكنها فراسة المؤمن الصادقة، أما سمعت رسول الله ﷺ حين يقول:

{ فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ }[٢٢]

قال: صدقت، وكان أنس وهو في طريقه قد قلَّب عينيه في جسد امرأة وكرَّر النظر إليها، فهذا الذي كشفه العلم الإلهي النازل على قلب سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وحكايات الصالحين في هذا الباب كثيرة وكثيرة، وفيها يقول ﷺ:

{ لولا أنَّ الشَياطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوب بَنِي آدَمِ؛
لنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَمَاء }[٢٣]

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا علماً إلهامياً ربانياً ...

وأن يحققنا بحقائق القرب من حضرته، وأن يرزقنا الزهد في الدنيا والورع في المتشابهات فيها، وأن يجعلنا دائماً من عباده الشاكرين الفاكرين الحاضرين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٠ حلية الأولياء لأبي نعيم وأحمد عن أنس رضي الله عنه
٢١ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
٢٢ مسند أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٣ ورد ذكره في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي

الفصل الثاني

الفتح القلبي

تجهيز القلب لتلقي الفتوحات الإلهية

خطوات التعرض لفضل الله ١- تحصيل العلوم الشرعية
٢- تصفيـــة القلـــب ٣- تجميل القلب بما يحبه الله
٤- حفظ القلب من الأغيار ٥- الذكـــر الخالص لله
٦- التسليم لله في فتحه ٧- دوام شكـــر الله

اكرامـــات ذوي القلوب السليمة

١- فتح عين البصيرة ٢- علم الإلهـــام
٣ – السكينـــــة ٤- الحفظ الإلهـــى
٥- كنوز الحكمة الإلهيـــة ٦- الاطلاع على أسرار الله الذاتية
٧- مقـــام المكاشـــــفة غيب الإنسان وغيب حضرة الله
مراد الله من الأفراد المرادين الكشـــف العرفـــانى

القلب الســـليم

الخليل إبراهيم عليه السلام طهارة قلب خاتم النبيين
الطهارة الأولى: ترك الصفات الإبليسية
التخلـــى والتحلـــى
الطهارة الثانية: الصفـــاء لجميع الخلق
الطهارة الثالثة: التفكر والذكـــر
الطهارة الرابعة: التأهل للعطايا الإلهية
التجمل بجمال الحبيب الرؤيا المباركة للقنائى

أصـــول الفتح القلبي

تصحيح النيـــة النية في الفرائض
النيـــة في النوافل التحدث بالعمـــل
الإخـــلاص تصفية الطوية

الفصل الثاني

الفتح القلبي

تجهيز القلب لتلقي الفتوحات الإلهية[٢٤]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله المنزه في عُلاه عن الشبيه والمثيل والنظير والوزير والمشير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب الله ومصطفاه، ونور الله الدال بالله على حضرة الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اقتدى بهُداه، وصار على دربه إلى يوم الدين .. آمين.

قلنا أن الإنسان له ظاهر وله باطن، له ظاهر في عالم الملك الذي نعيش فيه الآن وهو الجسم، وهو من عناصر هذا الكون الذي نحن فيه.

وله باطن من عالم النور، وفيه المعاني الغيبية والأشياء الإلهية التي تُمارس ما كلَّفها به رب البرية من خلال الجسم، ولكنها لا تُرى، بينما يُرى أثر فعلها، ويُرى نتائج عملها، ولكن لا يستطيع الأولون ولا الآخرون أن يروا ما فيها أو يروا حقيقتها لأنها حقيقة نورانية إلهية لا تُرى بالعين المجردة الإنسانية.

وقلنا أن الإنسان هو المخلوق الأكرم والأعظم والأعزُّ عند الله، لأن الله ﷻ خلق كل ما في عالم السموات من الملائكة الكرام والكروبيين وغيرهم بيد واحدة:

﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٨٣المؤمنون)

وخلق كل ما في عالم الأرض وعالم الملك وعالم الشهادة بيدٍ واحدة:

﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١الملك) .

وخلق الإنسان بيديه: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (٧٥ص).

والبعض وجد حيرة في كلمة (يد) ونسبتها إلى حضرة الله، لكن اليد هنا ليست كيدنا

٢٤ الجميزة – السنطة –الغربية ١٤ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/١٧م

فإن الله ليس كمثله شيء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى).

فخلق الملكوت بالجمال، ولذلك كل ما فيه نورٌ وجمال، ليس هناك معصية ولا مخالفة:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم).

وخلق عالم المُلك بالجلال في الاختبارات والابتلاءات، فالأرض كلها ومن عليها في بلاء وابتلاء شديد:

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك)

أي ليختبركم، وقال للإنسان:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ (٦الإنشقاق)

فالحياة كلها في عالم الدنيا بالنسبة لجسم الإنسان كدحٌ وهم وغم ومرض وتعب وشقاء، وما على هذه الشاكلة.

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله بالجمال والجلال:

فما فيه من عالم المُلك يتعرض للجلال وللقهر وللشدات التي نحن فيها الآن.

وما فيه من عالم الملكوت إذا ارتضاهم ولجأ إليهم وأكرمهم سيعيش في جمال ما بعده جمال، لأنهم من عالم الجمال.

فيه من معاني الغيب أو عالم الملكوت العقل والنفس والقلب والروح، وكل هذه العوالم التي لا تُرى بالعين المجردة، ولا تصل إليها الحواس، ولم يصل إليها العلم العقلي المنطقي الذي هو الأساس فيما بين الناس الآن.

فهذا القلب هو الوُصلى بين عطاءات الله التي يرسلها إلى هذا الجسم لينفذ مراد الله في شرع الله الذي أنزله على رسول الله:

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (٢٠الرحمن).

كيف نُعد هذا القلب للفتوحات الإلهية حتى يفتح الله على العبد بما فتح به على العارفين والمخلصين والصديقين وغيرهم من الصالحين أجمعين؟

خطوات التعرض لفضل الله

خطوات لا بد منها يجاهد فيها المرء حتى يتعرض لفضل رب العالمين ﷻ:

١ـ تحصيل العلوم الشرعية:

العلوم الشرعية إذا حصَّلها السالك تحمي القلب من هجمات الشك والضلال والوهم والخيال الذي قد يُسيطر عليه فيُبعده عن الله ﷻ بعداً كلياً.

وتحميه كذلك مما يتعرض له بعض السالكين من الشطح – كما نسمع عنهم – وإهمال شرع الله، وادعاء أنهم مقربون إلى حضرة الله، تنزه الله ﷻ عن ذلك.

وكلما زاد علم الإنسان بشرع الله وعمل به، كلما عجز الشيطان عن الوسوسة له وإغوائه، وكلما زاد جهل الإنسان بشرع الله كان أكثر عُرضة لتزيين الشيطان ووسوسته وإغوائه لأنه يزين للإنسان فيما يجهله، ولكنه لا يستطيع أن يُزين له فيما يعلمه، إلا إذا كان والعياذ بالله يمشي وفق حظه وهواه، وترك العمل بما أمره به مولاه ﷻ، نسأل الله الحفظ والسلامة.

ولذلك نجد في أحوال العارفين أحوال تصدق ذلك، فهذا سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه عندما كان في خلوته، ورأى نوراً من الأرض إلى السماء، فوسوس له خياله أن هذا نور الله، فسمع من يقول: عبدي عبد القادر، قال: لبيك سيدي، قال: إني أبحتُ لك المحرمات، قال: اخسأ يا ملعون، فإذا بالنور يتحول إلى دخان، قال: كيف عرفتني يا عبد القادر؟ قال: لأن الله لم يحرم شيئاً على لسان نبي ثم يبيحه لوَليّ.

التحريم والتحليل انتهى عند حضرة النبي، وبعد النبي لا تحليل ولا تحريم، فقال الشيطان: نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك، ولقد أخرجت قبلك سبعين رجلاً بهذه الطريقة، لماذا؟ لجهلهم، دخل الشيطان عليهم وأخرجهم من عالم النور والحقيقة للخيالات والضلالات والوساوس والهواجس التي تسيطر على قلوبهم وعقولهم، ولا يمنع هذه الوساوس إلا العلم الشرعي:

{ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ }[٢٥]

ولذلك كان أهم ما يبدأ به المريد هو العلم الشرعي، ولو نظرنا نظرة بتأني إلى كبار الصالحين نجد أنهم جميعاً بلا استثناء تبحروا في البداية في العلوم الشرعية، حتى أن أغلبهم ألَّف كتباً في الفقه، فهذا سيدي أحمد البدوي ﷺ بعد أن حفظ القرآن برواياته السبع،

---

٢٥ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

تبحَّر في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وله كتاب في الفقه سماه (الجوهرة) وكذلك سيدي إبراهيم الدسوقي، وكذلك سيدي عبد القادر الجيلاني عمل كتاباً سماه (الغُنية لطالبي طريق الحق ﷻ) بثَّ فيه كل ما يحتاج إليه السالك من العلوم الشرعية.

وكذلك سيدي أحمد الرفاعي ﷺ فقد درس الفقه أيضاً على المذهب الشافعي، وكان يشتهر في عصره كتاباً يُسمى (التنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي، شرحه سيدي عبد القادر ﷺ في ست مجلدات، مما يدل على التبحر في علوم الشريعة.

وكانوا يأمرون بذلك مريديهم وأحبابهم؛ أنه لا بد للسالك أولاً أن يحيط بالشريعة المطهرة، بالكيفية التي يعمل بها، لا نطالبه بأن يكون مفتياً يفتي، أو فيلسوفاً يتكلم مع هذا وذاك، ولكنه يتعلم من الشريعة ما يحتاجه في أعماله التي يتقرب بها إلى مولاه ﷻ.

فمثلاً إذا لم يكن عنده شيء يستوجب الزكاة فهو ليس في حاجة إلى أن تتسع معرفته في أمور الزكاة، إلا إذا وُجد عنده ما يستحق الزكاة، وليس في حاجة إلى أن يتوسع في مناسك الحج إلا إذا عزم فعلياً على أداء فريضة الحج، وهكذا.

فيتعلم من الفقه ما يحتاج إليه في حياته العملية، التي تكون على قدم صدق في التعامل مع رب البرية ﷻ.

٢ـ تصفية القلب:

بعد أن يتعلم ما لا بد له منه من العلوم الشرعية، يُقبل على القلب، وعليه نحو القلب أمرٌ هامٌ أولاً ووهو أن ينقي هذا القلب مما يبعده عن القرب من الله ونوال رضا الله ﷻ.

ونضرب هنا مثالاً: أنت تريد أن تزرع الأرض وتأتي بمحصول جيد، فلا بد أن تجهز هذه الأرض أولاً، وتنقيها من الحشائش وغيرها التي تشارك النبات الذي تريد أن تزرعها فيه لتأتي بالمحصول الوفير.

كذلك لا بد أن ننقي القلب أولاً من الأشياء التي لا يحب أن يراها فيه الله، وخاصة أنه موضع نظر الله:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٢٦]

٢٦ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

ماذا يريد من القلوب؟ ... القلب السليم:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء)، ... والإمام أبو العزائم رضي الله عنه يقول:

نَفَس بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كلحظات

أهم شيء أن يتنفس الإنسان نَفَسه والقلب سليم، فينقيه من الأحقاد والأحساد والغل والبُغض والكُره، ويقول فيها الله ﷻ لنا في القرآن:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر).

وإذا نظرنا بعين يقين إلى ألفاظ الآية نجد فيها العناية، (ونزعنا) والنزع يحتاج إلى الشدة، لأن هذه الأشياء لا تخرج بسهولة ويُسر، فتحتاج إلى الشدة في انتزاعها، وهذه واحدة.

والثانية: يريد الله منا أن نخلعها بجذورها، حتى لا تظهر مرةً أخرى بعد ذلك، فالنبات الذي نقطعه من على سطح الأرض يخرج مرة أخرى كالبرسيم وغيره، لكن إذا قلعناه بجذوره لا يخرج مرة أخرى.

إذاً هذه الأمراض لا بد أن تخرج بالكلية، ولا تعود أبداً إلى أرض القلب لتظل تقية نقية لرب البرية ﷻ، وهذا جهاد الإنسان، ولا يستطيع أحدٌ مهما أوتي أن يخلع داء الحقد أو الحسد أو الغل أو الكُره من قلب إنسان إلا إذا أراد هذا الإنسان ذلك.

هل يستطيع أحدٌ مهما كان مقامه أن يخلع هذه الأشياء من قلب إنسان بدون إرادته؟ أبداً، لا بد أن يكون له إرادة فيها أولاً، وقد قال ﷺ لسيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }[٢٧]

إن شئت قلت:

كان معه في الجنة العاجلة:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح)، جنة الشهود، وجنة الطاعة، وجنة الإقبال على الله ﷻ، وجنة مجالس العلم، قال ﷺ:

---

٢٧ جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ... وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[٢٨]، فقد جعل الله ﷻ كل شيء من أعمال البر والخير جنة، نمشي فيها ونرتع فيها كما بيَّن رسولنا الكريم ﷺ، والذي معه هنا في هذه الجنان، بالطبع سيكون معه يوم لقاء حضرة الرحمن، وسيكون معه إن شاء الله يوم القيامة في الجنة العالية، لقوله ﷺ: **{ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ }**[٢٩]

وقول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء) فيكون مع سيدنا رسول الله الذي يحبه، وأصحابه من النبيين والمرسلين، والصديقين والصالحين، وغيرهم من أهل المعية المباركين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

إذاً لا بد أن يعالج القلب ويخرج منه هذه الأشياء، والإمام أبو العزائم رضي الله عنه عدَّد لنا هذه الأشياء في قصيدة طويلة، بدأها بقوله:

أيا رفقتي يا خلتي يا أحبتي على العُروة الوُثقى فسيروا ورافقوا

يقول من جملتها:

دعوا الكبروالحسد القبيحين سادتي دعوا طمعاً فيما يزول ورافقوا
وإياكموا أخلاق إبليس إنها لقد أبعدته وهو طاووس رامقُ

لا بد من التخلِّي عن هذه الأخلاق بالكلية ليتحلى (التَّحلِّي بالتَّخلِّي).

٣ـ تجميل القلب بما يحبه الله:

إذا تخلى عن هذه الأخلاق التي لا يحبها الخلاق، جمَّل القلب بما يحبه الله من المحبة والمودة والشفقة والرحمة والعطف والحنان، وغيرها من صفات النبي العدنان ﷺ.

والنبي ﷺ وسَّع الأمر أيضاً في أحاديثه الشريفة، فقال ﷺ:

{ لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا }[٣٠]

---

٢٨ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢٩ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عائشة رضي الله عنها
٣٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فهنا قد تحققت الأُخوة في طريق الله، كما قال الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر) إذا نزعوا الغل فقد أصبحوا إخواناً، إذاً كل من فيه علةٌ من هذه العلل التي أشرنا إليها وذكرناها لم يصل إلى درجة الأُخُوة، وطبعاً هذه الصفات كثيرة، منها الطمع ومنها الجشع ومنها الأثرة ومنها الأنانية، ولا نستطيع حصرها كلها، لكن أشرنا إليها في دروسنا وكتبنا والحمد لله رب العالمين، لا بد أن يُفرّغ القلب مما لا يحبه الله، ويملأه بما يحبه الله ويرضاه، ولنا مشهد عال في هذا الأمر، فقد قال ﷺ:

{ بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ - بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذَا أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ وَمُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا }[31]

فقد ذكر كتاب السير والأحاديث أن رسول الله ﷺ جاءته الملائكة الكرام عندما كان نائماً في الحِجر في الليلة التي اصطفاه الله فيها ليُعرج به إلى قاب قوسين أو أدنى، كيف جهزوه؟ أضجعوه وشقوا صدره وأخرجوا قلبه ووضعوه في طست، وأخرجوا منه مضغة سوداء، وهذه التي نريد أن نُخرجها، فهو ﷺ ليس عنده مضغة سوداء، ... لكنها إشارة لنا نحن، وقالوا: هذا حظ الشيطان، ثم جاءوا بطست مملوءاً إيماناً وحكمة، والإيمان والحكمة أشياءٌ معنوية وليست أشياء حسية، لكن لنعرف أنه يجب أن نفعل هذا، ونرفع حظ الشيطان من هذه الأخلاق التي توافقه ثم نأتي ببضاعة الحبيب الأعظم التي رباه عليها الله ﷻ ونجعلها في قلوبنا.

٤ـ حفظ القلب من الأغيار:

نجاهد بعد ذلك أن لا يدخل في القلب أحدٌ غير الله، فيقف الإنسان على باب قلبه باباً لا يسمح بدخول غير، ولذلك يسمونها الأغيار، لماذا؟ لأن القلب مملوء بالأنوار، فلا يريد أن يغبّر هذه الأنوار التي جعلها فيه الله ﷻ، وأعظمها وأبهاها نور النبي المختار ﷺ.

يقول سيدي أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا لجهاد:

((جاهدتُ نفسي اثني عشرة سنة، ثم وقفتُ على باب قلبي، أمنع دخول غير الله اثني عشرة سنة أخرى))

يعني ممنوع الدخول لغير حضرة الله !!

---

٣١ المعجم الكبير للطبراني ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

والخواطر التي تمر يمنعها، يقول في في هذه الخواطر سيدي عمر بن الفارض ﷺ:

وإن خطرت لي في سواك إرادةٌ يوماً قضيت بردتي

أحكم أنني رجعت مرة أخرى للوراء، وليست الردة هنا بمعنى الإرتداد عن الدين، لماذا؟ لأنه سمح بخاطر في غير الله يدخل في قلبه، ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ في قول الله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف) قال: لا يكون الذكر ذكراً حقيقياً حتى ينسى الإنسان أثناء ذكره ما سواه، لكن إذا كان يذكر الله ويذكر معه غيره، فإن الله يقول كما قال ﷺ:

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ }[٣٢]

القلب الذي فيه لهو أو فيه سهو لا يقبل الله منه هذا العمل، ولذلك:

اذكر ربك إذا نسيت سواه قل بقلبٍ في الذكر يا ألله

٥ ـ الذكر الخالص للّه

فإذا منع دخول غير الله في قلبه، من المال ومن الولد ومن الزوجة ومن الجاه ومن حب الدنيا ومن كل شهوات الدنيا ومتعها وأهوائها ومتعلقاتها، ولم يبق في القب غير الله !

فيبدأ يذكر الله بقلبه، ويردد بقلبه ألفاظ الذكر (يا الله) التي يقولها بلسانه.

ولا يزال يذكر الله بقلبه حتى يغيب عن نفسه، ... فتُمحى حروف ألفاظ الجلالة من قلبه، ويكون ذكره حضوراً بين يدي ربه ﷻ.

٦ ـ التسليم للّه في فتحه وعطاه

فإذا ذكر الله بهذه الكيفية أصبح متعرضاً لنفحات الله، وجاهزاً لأن ينال عطاءات الله، مع أن عطاءات الله وفتوحات الله هي فضل من الله، لا بعمل ولا بأمل، وإنما:

إذا تعرَّض عبدي لنيل فضلي تحلى بحُلة الحُسن مني وبالشهود تملى

أما الذي لا تزال نفسه موجودة لم تمت ويقول: أنا في هذا المقام لي سنين ولم أنل شيئاً، فأنت لم تصل إلى مقام الكمال في التعرض لفضل الواحد المتعال، فمن يتعرض لفضل الله لا يُحدد لنفسه عطاءاً، ولا يختار لنفسه مقاماً من مقامات الاجتباء أو الاصطفاء، فهو يتعرض وهم يقيموه حيث أرادوا، لأنه إذا أقامك أعانك.

---

٣٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

لكنك تتمنى شيء معين، فهذا من نفسه، وقد لا تصلح لهذا الأمر فلا تُعان، والإنسان إذا وُكل إلى نفسه في أي أمر لا يستطيع أن يقوم به، لأننا لا نقوم بأي عمل إلا بتوفيق الله ومعونة الله، ولا يتم لنا حصول مراد إلا بفضل الله ﷻ:

سر الوصول إلى الجناب العالي حب النبي محمدٍ والآل
والفضل فضل الله يُعطى منةً بالحب في طه العزيز الغالي
كم عاملٍ في ظُلمةٍ لا يشهدن إلا وساوس نفسه بخيال

٧ ـ دوام شكر الله

لا تزال وساوس النفس موجودة، فما عليَّ إلا أن أجهز القلب للعطاءات الإلهية، ثم أتعرض بعد ذلك لفضل الله وإكرام الله، وأنتظر العطاء من الله، وعليَّ بعد ذلك أن أحافظ على العطية، فعلى المُعطَى له حفظ العطية، وليس على العاطي، وحفظ العطية يكون بدوام الشكر: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

فلو حصل الإنسان على عطية ربانية ونسبها لنفسه، يكون قد خرج من هذه الدائرة، وربما يكون كفوراً، لأنه كفر بأنعم الله التي خلعها عليه ﷻ.

يعني مثلاً أعطاه الله علماً إلهامياً، فعندما يجالس الناس يفتخر ويتباهى ويبين أن هذا العلم لكفاءته ومهارته وسعة اطلاعه، ولا ينسب الفضل إلى مولاه، فهنا هل تُحفظ هذه العطية؟ لا، لأن حفظ العطية يحتاج إلى دوام الشكر:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧إبراهيم)

ولا يليق بالإنسان أن يختار مع الله:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (٦٨القصص)

ولذلك كانوا يقولون:

فكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضي الموالي من مراد

أسأل الله ﷻ أن يفتح لنا وعلينا وبنا فتوحات إلهية، وعطاءات ربانية، وأنوار قدسية.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اكرامات ذوي القلوب السليمة[٣٣]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي أبدع فصور، وصوَّر قلب الإنسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قلب الوجود، وسرُّ الحق الذي استودعه في كل قلب إليه ودود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، وأنعم علينا بوصلهم أجمين .. آمين آمين يا رب العالمين.

قلنا أن قلب العبد المؤمن أوسع من السماوات والأراضين ومن فيهن، بما فيه ألطاف إلهية خفية، وعلوم ربانية، وأسرار ذاتيه، لا يستطيع أحدٌ الإباحة بها في هذه الحياة الدنيوية، وإنما نستطيع أن نتذوقها إذا ترقينا إلى المقامات العلية، ووالانا الله ﷻ بإمداداته القدسية، وخصنا بعطاء منه وفضل بلا عمل ولا مزية.

ويكفي أن نعرف في وسعة هذا القلب قول الله تعالى الوارد في الأثر المروي عن حضرته سبحانه: ((ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)).

ويبين هذه الحقيقة أبو اليزيد البسطامي ﷺ حيث يقول عن القلب:

((العرش وما يحويه سبعمائة ألف مرة، لا يملأ زاوية واحدة من زوايا القلب)).

هذا القلب إذا تحقق صاحبه – كما قلنا – بأن تخلى عن الرذائل، وتحلى بالفضائل وصفَّى القلب وطهَّره من كل شيء لا يحبه الله، وتعرَّض لفضل الله، فإن الله ﷻ يخصُّه ببعض الإكرامات التي يكرم بها ذوي القلوب السليمة، من هذه الإكرامات:

١ـ فتح عين البصيرة

أن يفتح الله له عين بصيرته القلبية ويأذن له بالسياحة في العوالم العُلوية، بل إنه ربما يصل في سياحته الملكوتية إلى ما لا يصل إليه ولا يطلع عليه الملائكة الكرام ولا أهل عالين ولا أهل عليين، لأن الله أكرمه بالوراثة الحقية لسيد الأولين والآخرين.

وسيدنا رسول الله ﷺ تجاوز كل مقامات هؤلاء، فإنه لما وصل إلى سدرة المنتهى وإليها تنتهي عوالم الملكوت، وقف أمين الوحي جبريل وهو أعظمهم شأناً وقال عندما قال له رسول الله ﷺ: أهاهنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا رسول الله أنت لو تقدمت لاخترقت،

---

٣٣ الجميزة – السنطة –الغربية ٢١ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/٢٤م

وأنا لو تقدمت لاحترقت، وما منا إلا له مقامٌ معلوم، ثم زجَّ به في النور في عوالم القدس الأعلى حتى صار قاب قوسين أو أدنى:

جبريل وهو عظيم في مكانته لم يستطع أن يلج الأنوار بالهمم
والمصطفى سبق الأرواح أجمعها بالجسم والروح فافهم زهرة الحكم

فورَّاث الحبيب المصطفى من أمته لهم ما له لأن الوارث له حكم مورثه، فيطَّلعون على ما لا يطلع عليه الملائكة المقربون، ولا أهل عالين، ولا أهل عليين، اكراماً ووراثة لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

٢ ـ علم الإلهام

وقد يكرم الله ﷻ صاحب هذا القلب السليم من كل الأهواء والنزغات والتوجهات لغير الله ﷻ بعلم الإلهام، وهذه خصوصية لأمة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فيدخل في قول الله:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (٢٨٢البقرة)

أو إن كان ذا مكانةٍ أعلى يدخل في قول الله: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (٦٥الكهف) لأنه يتلقى العلم من مقام اللدنية، ومقام اللدنية هو الذي يقول فيه الله للحضرة المحمدية: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٖ ﴾ (٦النمل) من مقام اللدنية، فهو أعلى مقام في عالم الإلهام، وما أكثر الوقائع التي حصلت للصحابة الكرام، والصالحين من بعدهم في هذا الباب.

٣ ـ السكينة

وقد يُكرمه الله ﷻ بأن يُنزل في قلبه السكينة:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ (٤الفتح)

والسكينة التي تتجلى على قلب العبد من الله تجعل كل ما فيه ظاهراً وباطناً مُتوجهاً إلى مولاه، وفي سكون تام من جميع خلق الله، لا يخشى أحداً إلا الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ (٣٩الأحزاب).

٤ ـ الحفظ الإلهي:

ويحفظ أعضاؤه جميعاً إذا عُرضت عليهم أي غفلة أو أي حجاب ...

ناهيك عن المعاصي لأن الله تولاهم بولايته وحفظه وصيانته، وطبَّق عليهم قوله عز شأنه:

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٦٤يوسف)

ومن حفظه مولاه:

لا يستطيع الجن والإنس ولو اجتمعوا على أن يغووه بأمر فيه مخالفة لله جل في عُلاه.

٥ ـ كنوز الحكمة الإلهية

وقد يُكرمه الله ﷻ فيفتح له في قلبه كنوز الحكمة الإلهية ...

ويدخل في قول الله:

﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ (٢٦٩البقرة).

والآية تثبت أن الحكمة لا بالعمل ولا بالأمل، وإنما هي فضل بغير علل من المتفضل ﷻ، فسبحانه يؤتي الحكمة لمن يشاء، وأكَّد ذلك فقال: (ومن يؤت الحكمة)، يعني الحكمة كلها ايتاء فضل من الله ﷻ على عباده الصالحين الذين أحسنوا المتابعة لإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ.

٦ ـ الاطلاع على أسرار الله الذاتية

وقد يُكرمه الله ﷻ بإطلاعه على بعض أسراره الذاتية التي لا يُطلع عليها أحداً قط من الملائكة العُلوية ولا من البرية، لأنها خصوصية.

والخصوصية وإن كانت لا تقتضي الأفضلية ولكنها عطية من الله ﷻ.

هذه الإكرامات التي ينالها العبد المؤمن إذا صفا قلبه يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مسروداً بآيات

يشاهد الغيب مسروداً يعني مفصلاً بآيات الله ... فيرى ما في الآيات الكونية من الأسرار العلية البهية التي أودعها فيها رب البرية ﷻ.

٧ ـ مقام المكاشفة

فإذا خصَّه الله ﷻ بمقام الفردانية، وأفرد ذات الله ﷻ بالكلية:

أفردن بـالقصـــد ذات مولاك العلى تشـــهـدن غـيـبـاً مصـــونـاً أولى

يُكرمه الله ﷻ بمقام من مقامات المكاشفات، ومقام المكاشفة يحتاج إلى جلاء شديد للقلب، كيف يُجليه؟ يجليه من جميع الصور الكونية التي انطبعت فيه، فإن الإنسان كلما يرى صورة بعين رأسه تنطبع في القلب، وكلما يسمع حديثاً بأُذنه ينطبع في القلب، والقلب الذي يؤهله الله للمكاشفات لا بد أن يمحو كل هذه الصور بالمجاهدات التي سنَّها لنا سيد السادات ﷺ، ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء السكندري رضي الله عنه:

((كيف يرحل قلبٌ إلى الله، وصور الأكوان منطبعة في مرآته - الصور لا زالت موجودة في قلبه – أو كيف يرحل إلى الله وهو مُكبلٌ بشهواته؟!)).

يعني الشهوات تُقيده وتجعله يمارسها ويأخذ حظه منها، لكن لا بد أن يمحو كل هذه الصور الكونية، وهذا ما أشار إليه خير البرية حيث قال:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[٣٤]، وفي رواية أخرى:
{ إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ }[٣٥]

فيجليها بالذكر بعد أن يمحوها بالاستغفار، يمحو الذنوب كلها بالاستغفار والتوبة وعدم الإصرار، ثم يشتغل بالذكر، والذكر الذي أشرنا إليه هو ذكر القلب، لأن ذكر اللسان حسنات، وذكر القلب قرباتٌ ومشاهدات.

فذكر اللسان يأخذ الإنسان عليه أجراً من الحسنات عند الله، لكن الذكر الذي يجلي مرآة القلب هو ذكر القلب، بأن يتوقف اللسان بعد محو الصور الكونية من القلب والجنان، ويذكر الله بقلبه، ولا يزال يذكر الله حتى يفنى عن نفسه بذكر ربه فلا يرى ولا يسمع لفظ الجلالة الذي ينطقه بقلبه لذوبانه في الحضرة الإلهية بالكلية، وهنا يبدأ الله ﷻ عنايته به، ويُنزله في المراتب الكشفية.

---

٣٤ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٥ معجم الطبراني والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

غيب الإنسان وغيب حضرة الله

العوام وكثيرٌ من السالكين وخاصة في هذه الأيام يظن أن أعظم مرتبة في الكشف أن تُفتح له أبواب السماوات ويرى ما فيها وما في الجنات، لكن يا أخي أعظم مقام يُكرم الله به عبداً أراد إكرامه أن يكاشفه بعيوب نفسه حتى يُصلحها، وحتى يقوِّمها.

ومن منا خالياً من العيوب؟!

سيدي عمر بن الفارض ﷺ في بدايته رأى رجلاً من المجاذيب في الأزهر لا يُحسن الوضوء، فأراد أن يُعلِّمه، فأزاحه الرجل بيده فوجد نفسه في فجاج مكة، فساح في وديان مكة خمسة عشر عاماً مع الذئاب والأسود وغيرها منشغلاً بذكر مولاه، إلى أن جاءه هذا الرجل في المنام وقال له: تعالى يا عمر لتحضر جنازتي وتُصلي عليَّ!!، رجالٌ لهم أحوال لا تعقلها العقول، فيحكي عن نفسه ويقول: مشيت يوماً وأنا أقول:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحُسنى فقط

قال: فسمعتُ قائلاً يقول:

محمد الهادي الذي عليه جبريل قد هبط

لا أحد غيره، إذاً الكل فيه عيوب، والكل فيه مساوئ، وإذا أحب الله عبداً كشف له عن عيوب نفسه ليُصلحها، وإذا قلنا عيوب نفسه، نقصد عيوب نفسه التي تحجبه عن القرب من ربه، وعيوب نفسه التي تحجبه عن الوصول إلى حضرة نبيه، وليس لنا شأنٌ بالعيوب الظاهرة، فإذا كاشفه الله بعيوب نفسه وأصلحها، كاشفه الله بغيوب مملكته، لأن الإنسان مملكة، كما يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه:

أتزعم أنك جِرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
دواؤك فيك ولا تُبصر ودواؤك منك ولا تشعر

وهنا يشير الله ﷻ إلى هذا المقام فيقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت)

بمن يبدأ؟ ...

قال الله ﷻ: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١الذاريات)، فيُعطيه الله ﷻ مصباحاً نورانياً إلهياً يطالع به أحوال أهل مملكته جميعاً في عالم الملك، وفي عالم الملكوت، وفي عالم الجبروت، وفي كل عوالم الحي الذي لا يموت، لأن الإنسان لا يستطيع أحدٌ أن يصفه بنعوت.

مراد الله من الأفراد المرادين لحضرته

فإذا كاشفه الله ﷻ بغيوب مملكته، ماذا يحتاج لكي يُكمل المسير إلى العلي الكبير والسراج المنير؟ أن يكاشفه الله ﷻ بحقيقة ما يريده منه في الآيات القرآنية، وحقيقة ما يطلبه منه في الأحاديث النبوية، وهذا أعلى أنواع الكشف.

وأذكر في هذا المجال مولانا الشيخ محمد علي وسلامة ﷺ وأرضاه، لأني كنت كبقية السالكين أتطلع إلى ما قلته الآن، أن الكشف هو الكشف الملكوتي، فقال لي: (يا بني كشف العلوم وكشف أسرار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أعظم كشف يمن الله ﷻ به على خاصة الوارثين)، لأنه لكي يكون وارثاً لا بد أن يعرف توجيهات الآيات، ويعرف خصوصيات الأحاديث، ولا يُلقي الكلام على عواهنه، وهذا كشف الوارثين لعلوم الرسالة وعلوم الوحي الإلهي من الله ومن حبيبه ومصطفاه.

الكشف العرفاني

وبعد ذلك الكشف العرفاني، فيكاشفه الله ﷻ بكل عوالمه العُلوية والسُفلية، وهذا مجال طويل لا نستطيع أن نستفيض فيه، ولكن أذكر مثالاً لأهل طريقتنا الشاذلية.

يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: ((قوي عليَّ النوريوماً وكنت في الصحراء، فرأيت كل ذرات الرمال نوراً، فقلت يا رب احجب عني هذا المشهد، وقد كان أصابني حصربول، فأين أتبول والرمال كلها نور؟! قال: فقيل لي: لو سألتنا بكل أنبيائنا ورسلنا ما حجبناك، ولكن سلنا أن نقويك، قال: فسألت الله أن يقويني، فأعطاني الله المشهدين والنظر بالعينين)) ينظر بعين الظاهر إلى الرمال، وبعين الباطن وبعين القلب إلى النور الذي أودعه الله ﷻ في هذه الرمال.

ويقول سيدي أبو العباس المرسي ﷺ تلميذه النجيب:

((استنار قلبي يوماً فكنت أشهد ملكوت السماوات والأراضين السبع، فوقعت مني هفوة فحُجبت عن شهود ذلك، فعجبت كيف حجبني هذا الأمر الصغير عن هذا المشهد الكبير، فإذا هاتفٌ عليَّ يقول لي: البصيرة كالبصر، أدنى شيء يحلُّ فيها يعطل النظر))

أنت وصلت إلى مقام ليس فيه صغيرة: .... ((لا صغيرة إذا واجهك بعدله، ولا كبيرة إذا واجهك بفضله)) .... وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

هفوة العارفين أكبر ذنب فابذل النفس تُمنحن رضواني

لا هفوات عند العارفين، ويقول سيدي أبو العباس ﷺ في لحظة صفاء: ((جُبت في ملكوت الله فرأيت أبا مدين الغوث متعلقاً بساق العرش، وهو رجل أشقر أزرق العينين، فقلت له: ما علومك وما مقامك؟ - وهنا يقصد بها العلوم التي خصه بها مولاه دون غيره من أولياء الله - فقال: أما العلوم فواحد وسبعون علماً، وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الأبدال، فقلت: فما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي؟ قال: زاد عليَّ بأربعين علماً وهو البحر الذي لا يُحاط به)).

ومن عجائب اطِّلاع العارفين والوارثين في هذا المقام، يقول أحد تلاميذ سيدي أبو العباس وسيدي أبو الحسن لشيخه أبو العباس ويُسمى عبد القادر النقاد: ((أُطلعت على مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فقال له الشيخ المرسي: و أين مقام الشيخ؟ فقال: عند العرش، فقال: ذاك مقامك تَنَزَّل الشيخ فيه حتى رأيته)) هذا مقامك أنت وليس مقام الشيخ.

قال الشيخ أبو العباس ﷺ: ((ثم دخلت أنا وهو على الشيخ أبو الحسن الشاذلي فقال لنا: رأيت البارحة عبد القادر في مقام، فقال لي: أعرشيٌّ أنت أم كرسيٌّ؟ فقلت له: دع عنك ذا، الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله إلى بلا أين، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه شاهدٌ منه)) يعني الشيخ مطَّلع حتى على منامات المريدين.

ونختم حديثنا بقصيدة كان يرددها سيدي أبو العباس المرسي كثيراً فيقول فيها:

رفَعَت مقامات الوصول حجابي حتى احتجبت بكم عن الحُجاب
ولزمتُ محرابي لزوم مُجمِّع فرأيت وجه الحق في المحراب
وقتلتُ من نفسي غلاماً قتله سبب النجاة وأعظم الأسباب
وخرقتُ لوح سفينتي لأعيبها فنجوت من ملكٍ لها غصَّاب
وكشفت عن قلبي جدار حجابه عن كنزه الباقي بغير ذهاب
ورُقيت في السبع السماوات العُلى حتى دنوت فكنت مثل القاضي

نسأل الله ﷻ أن يُكرمنا بهذه الإكرامات، وأن يمُن علينا بهذه المكاشفات، وأن يجمِّلنا بالوراثة الكلية العُظمى لسيد السادات، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

القلب السليم[٣٦]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الرؤوف الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب القلب السليم، وآله وصحبه آل التكريم، وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين .. آمين يا رب العالمين.

تحدثنا عن الطريقة السديدة لكيفية الفتح الإلهي لمن أراد أن يفتح الله ﷻ عليه، هذا الفتح لا يتم إلا إذا كان القلب سليماً، والقلب السليم هو الذي ليس فيه غير الله ﷻ في كل أوقاته وحالاته، لا ينشغل بغير الله، ولا يُعكر صفوه شيء أمام حضرة الله، وإنما خالياً من كل الأغيار ليملأه الله ﷻ بالأنوار، ثم يؤهله لمقامات الأبرار والأطهار والأخيار.

الخليل إبراهيم

وضرب الله لنا مثلاً في القرآن لأنبياء الله ورسله، نأخذ منهم مثالاً واحداً نقتفي أثره ونسير على هُداه، وهو أبونا وأبو الأنبياء والمرسلين سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، يقول الله ﷻ عنه في سورة الصافات:

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات) فهو صاحب القلب السليم.

وسُمي خليلاً لأن محبة الله سبحانه تخلَّلت كل حقائقه الظاهرة والباطنة، فلم يعد فيه موضعٌ ظاهرٌ أو باطنٌ منشغلٌ بالكلية بغير مولاه.

والله ﷻ جعله مثلاً في صفاء القلب ونقائه وحُسن إقباله على الله ﷻ، فإن الله ﷻ غيور، ويغار إذا دخل قلب عبده المؤمن شيئاً سوى حضرته، وإبراهيم كان قد بلغ من السن ما يزيد على الثمانين عاماً، ولم يُرزق بولد، فكان يطمع أن يُرزق بولد، ليس طمعاً في الولد، لكنه لأن الله علَّمه علم يقين أن هناك ورثةٌ للنبوة التي آتاه الله إياها من أبنائه وذريته، فيريد أن يُسلِّم ميراث النبوة، فرزقه الله ﷻ بإسماعيل.

وعندما رزقه الله بإسماعيل .. اقتضت البشرية التي فيه أن تميل شُعبةً من قلبه إلى ابنه، لأنه وارث نبوته، فغار الله ﷻ من ذلك وأراد له مقام الكمال، ومقام الكمال أن لا يكون في قلبه غير مولاه، فأمره أن يأخذه وأمه ويُلقيهما بجوار موضع البيت الحرام، حتى يظل القلب متفرغاً لله لأن الله علم منه ذلك قبل ذلك.

---

٣٦ الجميزة – السنطة –الغربية ٢٨ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/٣١م

فحتى عندما ابتلي وأُلقي في النار لم يطلب معونة من الذين عرضوا عليه المعونة وهم الملائكة، وقال: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

ولما أراد الله ﷻ إعلام الملائكة بمنزلته المباركة، أنزل مَلَكاً من الملائكة يذكر الله ﷻ بصوت عذب جميل، فقال له إبراهيم: كرر ذكر الله بهذا الصوت الجميل، قال: حتى تدفع الثمن، قال: وما الثمن؟ قال: أن تعطيني وادياً مملوءاً بالأغنام، قال: لك كل مالي وكل ما أملكه إن أسمعتني ذكر الله ﷻ بهذا الصوت الجميل، فعلمت الملائكة الكرام قدره في حبه لمولاه، وخُلُو قلبه مما سواه ﷻ.

فلما كان إسماعيل وأُمه في موضع البيت، ولم يكن في هذا الموضع إنسٌ ولا وحشٌ ولا طيرٌ ولا زرعٌ ولا ماء، وكل مقومات الحياة الإنسانية البشرية ليست موجودة، لكن الله يُعلمنا يقينه بمولاه، وأنه إذا أمره بأمر لا بد أن يتولاه.

وكان قد علَّم ذلك لزوجته التقية النقية، ولذلك كان تاركاً لها جراباً من التمر، فقالت: إلى من تتركنا هاهنا ياإ إبراهيم؟ فلم يُجبها، فكررت النداء فلم يجبها، فقالت في الثالثة: أأالله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيعنا.

كلهم أهل يقين، لأن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام زرع الله في قلبه وقلب ذريته اليقين، وكان يذهب كل حين يمر على الأم وولدها، وكان يركب البراق في رحلته تلك، وعندما شبَّ الغلام وأصبح شاباً يافعاً، شعُر نحوه بالحب والحنين لحُسن إيمانه وصفاء طويته ويقينه بالله رب العالمين، لا لحسب ولا لنسب ولا شيء من ذلك.

لكن الله ﷻ غار عليه كذلك، فأمره أن يذبحه، وأراه ذلك في رؤيا منامية وليس وحياً تنزلياً أو إلهاماً قلبياً، ولكنه عندما قصَّ الرؤيا على إبنه وقال له:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ (١٠٢الصافات) فانظر إلى يقين الغلام، وتعليمه من الله الملك العلام:

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) فكأنه علم أن منام النبي وحيٌ من الله ﷻ، وهو حقاً من أنواع الوحي الإلهي للنبي، خصوصية للأنبياء والمرسلين.

لكن المنام لعامة المؤمنين ليس وحياً، أما المنام بالنسبة للأنبياء وحيٌ من الله ﷻ لهم، ولذلك حتى في نبينا قال الله فيه:

﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ (٢٧الفتح)

رؤياهم كلها بالحق ومن عند الحق ﷻ.

﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ (١٠٣الصافات) فلما أسلما معاً الوجه لله، وتله للجبين أي لجبهته: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١٠٥الصافات).

والله ﷻ ساق لنا قصة إبراهيم لنعلم مرتبة خير الأولين والآخرين ﷺ، فالفارق بينهما كالفارق بين المريد والمراد.

طهارة قلب خاتم النبيين

فإن نبينا ﷺ لأنه مرادٌ لذات الله، تولى الله ﷻ أمره منذ بدايته، وتولى الله ﷻ طهارة قلبه بذاته القدسية مع ملائكته المقربين، ورسم لنا الله ﷻ للصالحين وللسالكين وللعارفين كيفية الطهارة التي يحبها الله من المخلصين، فيما جهَّز به سيد الأولين والآخرين ﷺ، فإنه طاهرٌ من قبل القبل، لكن ما أُجري عليه من أنواع الطهارة الظاهرية كان عنواناً لسلوك أهل القرب إلى الذات العلية، فإنه ﷺ تولى الله تطهير قلبه كما ذكرت كتب السيرة المعتبرة أربع مرات.

الطهارة الأولى (التخلي عن الصفات الإبليسية)

المرة الأولى عندما كان عند مرضعته السيدة حليمة السعيدية، وكان عنده أربع سنوات، فنزل جبريل وميكائيل، فأخذوه من بين إخوته لمرضعته وأضجعوه وشقُّوا صدره وأخذوا قلبه وغسلوه بماء زمزم، وأخذوا شيئاً وقالوا: هذا حظ الشيطان وألقوه بعيداً، ثم بعد ذلك جاءوا بخاتم النبوة، وهو خاتمٌ تحار الأبصار من نوره كما قال ﷺ، وختموا به قلبه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهنا إشارة: هل النبي ﷺ كان في قلبه حظٌ للشيطان؟! مع قول الله ﷻ في المؤمنين الصادقين: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر) وعندما قال الشيطان: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾ (ص) فما بالك بسيد الأولين والآخرين ﷺ؟!! لكن هذه العبارة كما فسرها بعض العارفين الأكابر قالوا: هذا حظ الشيطان من الرحمة في قلبك، لأنه سيحاول أن يتقرب إليك لترحمه فلا ترحمه.

ولذلك ورد في رحلة الإسراء أنه وهو سائر من مكة إلى بيت المقدس، تعرَّض له نفرٌ كثيرين، وكلهم يقولون: يا محمد أُنظرنا، ويسأل جبريل: فمرة يقول عن امرأة كانت في أبهى زينة: هذه الدنيا، ولو نظرت إليها لغوت أمتك، ومرة يقول: هذا داعي اليهود، ومرة يقول: هذا داعي النصارى، ومرة يقول في رجل: هذا إبليس، فإبليس يرجو نظرة منه، والإمام أبو العزائم رضي الله عنه فسَّر هذه الحقيقة فقال:

لو نظرةً منه لإبليس انمحت عنه الشقاوة بالعطا المدرار

لو نظر لإبليس نظرة، لمحى الله ﷻ عنه شقاوته، وإبليس لم يتعرض لرسول الله فقط، بل كان يتعرض للأنبياء السابقين، فقد ورد أنه تعرض لسيدنا موسى، وقال: إني أريد أن أتوب إلى الله ﷻ، وكان يعلم أن موسى يكلم ربه، فكلم موسى ربه، فقال له: يا موسى قُل له يذهب لقبر آدم ويسجد له، فقال لعنة الله عليه: إذا كنت لم أسجد له حياً، فكيف أسجد له ميتاً؟! لأنه سبقت له الشقاوة من الله ﷻ.

التخلي والتحلي

إذاً لا بد للسالك الذي يريد أن يسلك طريق الصالحين وأهل الفتح، ليفتح الله عليه بأن يُخرج حظ الشيطان من قلبه، وحظ الشيطان هو الوساوس والهواجس والخداع والمكر والدهاء والكبر والرغبة في السُمعة والرغبة في الشُهرة .. كل أعمال إبليس لا بد بأن يُخرجها من قلبه أولاً، كما فعل الله مع حبيبه ومصطفاه ﷺ.

لابد من التخلي ليحدث التحلي، ثم التجلي، ثم التملي.

فتلك هي مراحل المقربين إلى الله ﷻ، لا بد من التخلي ليأتي التحلي، هل يستطيع الإنسان أن يدخل هذا المكان ويزينه بدون أن يجرد ما هو عليه الآن؟ لا بد أن يُجرد ما هو عليه الآن ثم يُصلحه، ثم بعد ذلك يزينه بما شاء وكيف شاء.

كما قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

التحلي بالتخلي بعد محوي لمحلي
و اتصالي بانفصالي عن سوى مجدي وأصلي

لا يأتي الاتصال إلا بعد الإنفصال عما ذكرناه أو أشرنا إليه.

الطهارة الثانية (الصفاء لجميع الخلق)

المرة الثانية عندما كان عنده عشر سنوات، وأرسل إليه ﷻ نفراً من الملائكة الكرام، وكان سائراً مع جده عبد المطلب كما تقول إحدى الروايات، أو مع عمه أبي طالب كما تقول الرواية الأخرى، وأخذوه بعيداً حتى ضلَّ عن الوصول إليه من كان يصحبه، وشقُّوا صدره وفتحوا قلبه، وأخرجوا من قلبه الغل والحقد والحسد، وملأوه بالشفقة والرحمة والألفة لجميع خلق الله.

وهل هذه العيوب كانت لدى رسول الله ﷺ والله طهره وحفظه ووقاه؟ كلا، ولكنها مَثل لنا، فبعد أن ينتهي الإنسان من تطهير قلبه من وساوس الشيطان، وبضاعة الشيطان، يُخرج من قلبه كل شيء يُضمره شراً نحو بني الإنسان، إن كان غل أو حقد أو حسد أو أنانية أو شُح أو أثرة .. كل ما يضمره نحو بني الإنسان لا بد أن يخلعه من قلبه، فلا يكون في قلبه نحو الخلق أجمعين إلا الحب والمودة والشفقة والرأفة واللطف لجميع خلق الله ﷻ، إذاً هذه المراحل ذكرها نبينا ليعلِّمنا الطريق السديد للقلب السليم.

الطهارة الثالثة (التفكر والذكر)

المرة الثالثة عندما كان ﷺ يخلو بربه في غار حراء، ويُحاول أن يتجرد من كل الصفات البشرية، بل ومن الصفات الملكوتية، ليُقبل على حضرة الله ﷻ بالكلية، وهذا هو الفكر الذي يأتي بعده حقيقة الذكر، الذي يدخل به العبد على مولاه ﷻ.

ولذلك كانوا يقولون: كان يقف أمام الغار ويتفكر، حتى قال أهل مكة: (لقد عشق محمد ربه) من شدة إقباله بالكلية على مولاه ﷻ.

وهنا على السالك أيضاً بعد أن يتخلى عن كل ما ذكرناه من الأوصاف الإبليسية وكل ما يضمره نحو بني البشر، يبدأ يتفكر في خالق القوى والقُدر، وبعد التفكر يصل إلى حقيقة الذكر: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران) وهذا الذكر معه: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٩١آل عمران) فيكون التفكر هنا عياناً: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت).

فيكون بذلك تأهل لنزول الفيض الإلهي، والإلهام الرباني، والعطاءات الإلهية لأنها لا تنزل إلا على القلوب السليمة، فإن القلوب هي أوعية الغيوب، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ}[٣٧]

والأعمال هنا يُقصد بها الأعمال القلبية، فيبدأ يجهز قلبه بالأعمال القلبية التي بها ينال رضا رب البرية.

الطهارة الرابعة (التأهل للعطايا الإلهية)

المرة الرابعة قال فيها ﷺ:

{ بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ - بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذَا أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ وَمُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا }[٣٨]

وهل الإيمان والحكمة شيء معنوي يُرى بالعين أو يُوضع في طست؟!

لكنها إشارة إلى أنه جُهِّز القلب لتنزلات حضرة الرب، لأنهم كانوا يجهزونه للمقامات العلية، ولرؤية عالم البرزخ بما فيه من النبيين والمرسلين، ورؤية عالم الملكوت الأعلى سماءًا تلو سماء، ورؤية الجنات، ورؤية العرش والكرسي وسدرة المنتهى، ورؤية أنوار لا حد لها ولا منتهى، كل ذلك يحتاج إلى تجهيز خاص لرسول الله ﷺ، وهذا يتولاه الله ﷻ.

التجمل بجمال الحبيب (أوصاف العبودية)

فإذا جهَّز الإنسان قلبه بما ذكرناه، وأقبل بالكلية على حضرة الله، عليه أن يُحسن التشبه بحبيب الله ومصطفاه في هذا الموقف العظيم، فيتجمل بالجمال الذي مدحه به الله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (١الفرقان) ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (١الإسراء) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (١الكهف) بعد هذه الإفاضات تجمَّل بجمال العبودية، والعبودية تشمل كل الصفات التي فيها تواضعٌ لرب البرية ﷻ.

ولذلك يقول رجلٌ له معراجٌ روحاني وهو سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ، فقد أُسري به وعُرج به إلى الملأ الأعلى حتى وصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى – على قدره – قال:

---

٣٧ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٣٨ المعجم الكبير للطبراني ومسند أحمد عن أنس ﷺ

(فقلت: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قلت: وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والمسكنة والتواضع والفقروالخشية).

وهذه ملابس العبودية التي يلبسها العبد ليدخل على الحضرة الإلهية، يلبس ملابس العبودية، ويملأ قلبه بالأعمال التي يُحبها رب البرية، ما الذي يحب أن يراه الله في قلب العبد المؤمن الصادق مع الله؟ خشيته لله، وصدقه مع مولاه، وإخلاصه لله، والإخلاص عملٌ داخلي لحضرة الله، وحضوره مع الله، ومراقبته لمولاه، هذه الأعمال التي ينظر إليها الله، ويرفع العبد بسببها ﷻ اقتداءًا بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فإذا جمَّل العبد نفسه بجمال العبودية، وملأ قلبه بالأحوال التي يحبها رب البرية، أفاض الله ﷻ عليه من خزائن الفيض الإلهي، فإذا دخل على الله جهولاً يعلِّمه العليم، وإذا دخل على الله ذليلاً يُعزه بين الخلق جميعاً العزيز ﷻ، وإذا دخل على الله فقيراً يغنيه الغني، وهكذا، لأنه كما قيل: (بأضداد الصفات أنال قربي) فبأضداد الصفات الإلهية ينال الإنسان قربه من رب البرية ﷻ.

لكن الذي يدخل على الله متكبراً، فماذا يأخذ من حضرة الله؟! وبماذا يفيض عليه مولاه؟! لا شيء أبداً، لأنه:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ }[٣٩]

لابد أن يتصف العبد بصفات العبودية، وخير مثال لها المصطفى خير البرية، فهو سيد الأولين والآخرين في العبودية، ولذلك قال في حديثه النبوي:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ }[٤٠]

أي لا فخر لي بالسيادة، ولكن الفخر لي بالعبودية لذات الله ﷻ..

حتى أنه أمرنا وسنَّ لنا عندما نتشهد أن نقول:

(أشهد أن لا إله الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) عبده أولاً، لأنه يتزيَّ بزي العبودية، ويباهي به الخلق في الدنيا الدنية، وفي الحياة الأُخروية، وفي دار الجنان العلية، لأنه خير عبد لله ﷻ.

---

٣٩ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٤٠ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الرؤيا المباركة للقنائي

وفي هذا المقام نذكر على سبيل الحكمة والعلم ما رآه الشيخ عبد الرحيم القنائي ﷺ وأرضاه، وكان رجلاً من الصالحين، وكان في المغرب الأقصى، ثم جاء ليؤدي الحج إلى بيت الله الحرام، فاختار الإقامة في المدينة المنورة عند الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، حتى فتح الله ﷻ عليه، وكان يقول:

((لي ليلتان، ليلة الإثنين وليلة الخميس، أرى فيهما رسول الله ﷺ في المنام، وأعرض عليه ما استُشكل عليَّ من المسائل، فيجيبني عنها جميعاً)).

وعندما أمره بالتوجه إلى قنا بمصر، وهو مكانه الآن لأسباب كثيرة ذكرناها في كتاب جعلناه له باسم (الشيخ عبد الرحيم القنائي ومدرسته الروحية)، كان يعمل درساً كل يوم بعد صلاة العصر في المسجد لمريديه، وهذا الدرس كان إما آية قرآنية يشرحها، أو حديثٌ يفسره، وكان من جملة هذه الدروس درسٌ تحدَّث به يوم الخامس والعشرين من رمضان سنة خمسمائة وسبع وثمانين هجرية، حيث قال:

أيها الناس عندما كنت بالمدينة المنورة مقيماً فيها، سألتُ رسول الله ﷺ مناماً، وكان ذلك في رؤية ذات ليلة، شاهدتُ فيها رسول الله، وسألته عن هذه المسألة وكيف حدث شق الصدر؟ فقال لي ﷺ:

((لقد شُقَّ صدري وأنا في اليقظة، ما شعرت بشيء فيه ألم، وأتاني الله بقلب سليم ليتحمَّل نزول كلام الله على هذا القلب، لأن القلب الذي خُلقتُ به طفلاً لا يتحمل هذا النزول، وأنت يا عبد الرحيم تقرأ كتاب الله الذي قال فيه جل شأنه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢١الحشر) وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾ (الشعراء) فمن رحمة الله بي أن هذا القلب الذي ارتضاه لي ربي، فيه قوة ونورانية ونقاءٌ وصفاءٌ، وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعثراتها، تجري فيه آيات الرحمن التي نزلت عليه، لم يخالطها شيء من قوة أخرى، حيث كان كلام الله هو القوة والحياة، وقد حفظه الله من الزيغ والنسيان، وليس للشيطان سلطان عليه، ومتى جرى قول الله في مكان، أصبح هذا المكان بعيداً عن الهوى، وهذا معنى قول الله تعالى عني: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ (٣النجم) وهذا معنى قول الله تعالى عني: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (١٥٩آل عمران) وهذا هو المعنى في

قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (ﷺالشورى) لقد كان الكتاب والإيمان نوراً في قلبي وعلى قلبي، وكان قلبي نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده بإذنه، وأتى به جل شأنه لهُدى الناس إلى صراط الله المستقيم، وهذا هو قلبي يا عبد الرحيم)).

وبعد أن قال له رسول الله في المنام: (هذا هو قلبي يا عبد الرحيم) قال السيد عبد الرحيم لمريديه عن قلب رسول الله ﷺ: يا عباد الله هذا ما وصل إليَّ في وصف قلب رسول الله من رسول الله نفسه، وأنا هناك في الأرض الطيبة بالمدينة المنورة أنعم برضاء الله وحب رسوله العظيم.

يا أحبائي وأصحابي، قلب رسول الله لم يخالطه حقدٌ ولا حسد، فلقد عاش هذا القلب بقوة كلام الله الذي نزل عليه، وكلام الله غذاءٌ للروح والجسد وحياةٌ للإنسان.

قلب رسول الله يا أحبائي وأصحابي أبيض، فقد غمره الصفاء فأشرق به على العالم أجمع نبياً، فغمره النور ضياءًا فكان به رحمة للعالمين، وكسته السلامة فأتى الله بها دنيا وأخرى، ولقي الله بقلب سليم ما نطق عن الهوى.

يا أحبائي وأصحابي إن كلام رسول الله ﷺ يخرج من قلبه، كل كلامه حكمة، وكل كلامه كمال، وكل كلامه حسن، وكل كلامه جمال، وكل كلامه حق، وكل كلامه صدق، وكل كلامه رحمة، وكل كلامه معرفة، وكل كلامه نور، وكل كلامه ضياء، وكل كلامه جلال.

أجل يا عباد الله:

إن كل كلام رسول الله تقربٌ إلى الله، وكل كلامه فصاحة، وكل كلامه خير، وكل كلامه وقار، وكل كلامه أمانة، وكل كلامه شرف، وكل كلامه غذاءٌ للروح والقلب، حتى كان الصحابة رضوان الله عليهم يستأنسون بصوته عن بعد، إذا غاب عنهم جسده الشريف يحسون به رياً لظمأهم، واطمئناناً لقلوبهم، وشفاءًا لحبهم.

اسمعوا كلامه الجامع الذي لا يُجارى في فصاحته، ولا يُبارى في بلاغته، والذي هو النهاية في البيان، والغاية في البرهان ...

اسمعوا كلامه المشتمل على جوامع الكلم، وبدائع الحكم المتضمن بقليل من الكلام، كثيراً من المعاني، اسمعوا قوله:

{ لا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لا يَرَى لَكَ فِي مِثْلِ مَا تَرَى لَهُ }[41]

{ النَّاسُ مَعَادِنُ }، { ذُو الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا }[42]

ذو الوجهين هو المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن، والوجيه عند الله هو صاحب الجاه والقدر، ومن كلام رسول الله:

{ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[43]

{ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا }[44]

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[45]

{ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ }، { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ }[46]

والقتات هو النمام، ومن كلام رسول الله ﷺ:

{ الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ }، { الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ }[47]

{ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ }[48]

{ لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ }[49]

واسمعوا كلامه الجامع في فصاحته عن الصدق:

{ إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورَ }[50]

وبعد كل هذا يا عباد الله انظروا إلى كلام الله جل شأنه فيه صلوات الله وسلامه عليه:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران).

ولكن كان القلب عكس ذلك كله، ولأنه قلب ليس هو المخلوق به طفلاً، إنه قلب

---

٤١ مسند الشهاب عن سعد بن سهل.
٤٢ الأول: رواه البخاري وأحمد، والثاني عمدة القارىء والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، وكلاهما عن أبي هريرة ﷺ.
٤٣ صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر.
٤٤ صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن قيس.
٤٥ صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك.
٤٦ الأول في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله، والثاني صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة ﷺ.
٤٧ الأول في البخاري ومسلم عن عمران بن الحصين، والثاني أحمد وابن ماجة والنسائي في الصغرى عن أبي هريرة
٤٨ صحيح البخاري عن عقبة بن عمرو.
٤٩ رواه الإمام أحمد وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ.
٥٠ صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود.

بأمر من الله، ليس فيه الغليظ الذي يتركب من تفاعل الدم، وليس فيه الفظاظة التى تتولد من شدة غليان الدم في هذا القلب، إنه قلب من الله، نزل عليه الروح الأمين بكلام الله العزيز الحكيم، وإنه المكان الذي حمل هذا الكلام العظيم، إنه عاش به وله ومنه، فلا غيظ فيه ولا فظاظة، بل بشاشة وسماحة.

ثم انظر إلى قول الله تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ١٢٨)

ما قيل هذا القول في نبي أو رسول سبقه ﷺ، ولا يجوز أن يوصف به مخلوق مهما بلغ من الشفقة والرحمة بالناس، ولكن الله جل شأنه منح نبيه صفتين من صفاته، الرأفة والرحمة، إنه القلب الأبيض الذي عاش بنور الله، وبكلام الله، وبقوة من الله.

إنه القلب المنيب الذي كساه الله بالسكينة فازداد إيمانا، إنه القلب الذي حبب الله إليه الإيمان وزينه فيه، وكرَّه له المعاصي والتفكر فيها، إنه القلب الذي له قلب يسمع ويشهد.

إنه القلب الذي منع الله عنه القسوة فأصبح ليناً رقيقاً، لا في تهاون في حق الله، ولا في تفريط لما ينفع أمته ويقربهم إلى الله، إنه القلب الذي إذا ذكر الله وجل هذا القلب، وزادته آيات الله إيماناً، إنه القلب المطمئن بأن طريق الله هو الصراط المستقيم، وأن أحسن المعرفة معرفة الله.

وبهذا القلب كان رسول الله ﷺ يحمل الأخلاق العظيمة التى وصفه بها ربه الذي أرسله هادياً ومبشراً، ونذيراً، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤).

وقد تحلى رسول الله ﷺ بالسكينة الباعثة على الهيبة والداعية إلى التقدم مع التواضع والحلم، وهو ﷺ بهذا القلب صاحب الوجه الطلق المحيا الذي يشعرك عند لقائه بالإخلاص والوفاء والمحبة والمودة، حتى إنه كان ﷺ أحب إلى أصحابه من الأبناء والآباء ومن أنفسهم.

وهو ﷺ بهذا القلب قد كساه الله حسن القبول الذي يجلب ميل القلوب وطاعتها، حتى لم ينفر منه معاند، ولا استوحش منه مباعد إلا من كتب الله عليه الشقاء وسوء الخاتمة.

وهو ﷺ بهذا القلب قد مالت إليه النفوس، وانقادت لأوامره الأرواح وأصحابها، وثبتت معه على الشدائد، وهو ﷺ بهذا القلب السليم ثبت لنا كمال خلقه، وقد رزق صدق الفراسة ورجاحة العقل.

وهو ﷺ بهذا القلب السليم صبر في البأساء، وعلى الضراء، ويقول عن نفسه:

{ لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثَةٌ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا لِي وَلِبِلالٍ طَعَامٌ؛ إِلا مَا وَارَاهُ إِبْطُ بِلالٍ }[٥١]

وهو ﷺ بهذا القلب السليم زهد الدنيا وما فيها ..

وما علقت نفسه إلى شيء من زخارفها، حتى قيل له ﷺ:

{ إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتَ خَزَائِنَ الأَرْضِ مَا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَلا يُعْطَاهُ أَحَدٌ بَعْدَكَ، وَلا يَنْقُصُكَ مِنَ الآخِرَةِ شَيْئًا، فقال ﷺ: اجْمَعُوهُمَا لِي فِي الآخِرَةِ }[٥٢]

وفي هذا نزل قول الله تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴾ (١٠الفرقان)

وهو بهذا القلب السليم أوتي ﷺ جوامع الكلم والسبع المثاني والقرآن العظيم والحكمة البالغة والعلوم الجمة وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس إلى معلم يعلمه، وكيف يجلس وقد جاءه جبريل ليقول له بأمر من ربه:

﴿ ٱقْرَأْ ﴾ (١العلق) وقد قرأ.

وكيف يجلس إلى معلم !!!

وهو الذي انشرح صدره بقلب يغذيه كلام الله، العزيز الحكيم؟!.

وهو ﷺ بهذا القلب صاحب الذهن الصحيح، والصدر الفسيح، واللسان الفصيح المحفوظ من التحريف في قول أو معنى.

وهو الذي كان قبل الرسالة بهذا القلب الأمين قلباً وقالباً، وبعد الرسالة أميناً بهذا القلب، وبالنبوة خيّراً نيّراً.

وهو ﷺ كان بهذا القلب السليم الموجز في القول مع حسن في التعبير، وانظروا إلى بعض أقواله ﷺ، قال:

---

٥١ سنن ابن ماجة ومصنف ابن أبي شيبة عن أنس مالك ﷺ
٥٢ مصنف ابن أبي شيبة

{ اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا تُسْتَجَابُ }[٥٣]

{ هَلْ يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلا غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ، وَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ }[٥٤]

وقوله ﷺ :

{ تَقَبَّلُوا إِلَيَّ بِستٍّ أَتَقَبَّلْ لَكُمُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلا يُخْلِفْ، وَإِذَا ائْتُمِنَ فَلا يَخُنْ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ }[٥٥]

وأنه ﷺ كان بهذا القلب السليم لا يعرف الجبن، بل كانت الشجاعة تزينه، صارماً للأخذ بحق الله من كل مخلوق، وحق الضعيف من القوي، وقد حمل راية الجهاد، وما أنزلها من يده حتى تم كل شيء، ونزل قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣المائدة)

ياسيدي يا رسول الله، يا صاحب القلب السليم، والذي عشت به في هذه الحياة الدنيا، فنبع منك الخير كله، والحسن والكمال كله، والجمال كله، ولقيت ربك به لتكون الشفيع لأمتك يوم نلقاك عند رب عزيز كريم رؤوف رحيم.

يا سيدي يا رسول الله سل الله لنا أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يصحح عقيدتنا، ويهيئ لنا من أمرنا رشداً.

نسأل الله ﷻ أن يجمل أحوالنا جميعاً بجمال النبوة، وأن يُجمل قلوبنا بجمال الفتوة، وأن يرزقنا التزيي بزي العبدية النبوية، وأن يضع في قلوبنا كل المعاني التي يحبها رب البرية.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٥٣ صحيح مسلم عن زيد بن أرقم.
٥٤ المستدرك على الصحيحين وجامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، وفي رواية: بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً: هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنًى مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ». رواه الترمذي من رواية محرر ويقال: محرز بالزاي، وهو واهٍ عن الأعرج عنه وقال: حديث حسن.
٥٥ المستدرك على الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ.

أصول الفتح القلبي[٥٦]

أول أصل من أصول صفاء القلب وارتقائه إلى المقامات الكمالية والأكملية، قال فيه الصالحون رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين:

(تصحيح النية، وصفاء الطوية، وإخلاص العمل لرب البرية).

وهذه حكمة انتقلت من صدور الصالحين إلى صدور أهل سابقة الحُسنى من الصادقين من المريدين.

تصحيح النية

أول أصل من الأصول لفتح القلب لمرادات الله وفتح الله، هي أن يلحظ الإنسان التطبيق العملي لقوله ﷺ:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى }[٥٧]

لم يقُل ما عمل، ولكن ما نوى، وإنما للتأكيد، فالإنسان إذا عمل عملاً وأراد أن يفوز بالقبول لا بد أن يتحرى النية قبل بداية كل عمل، والنية قد تكون رغبة في الفرار من النار الأُخروية، وقد تكون رغبة في الجنان النعيمية، وقد تكون مرضاة لوجه الله ﷻ وهي الأكملية، فعلى حسب النية يكون المراد من رب العباد ﷻ للعبد.

وكثيرٌ من المسلمين العاديين يظن أن النية في الأعمال التعبدية فقط، إن كان في الصلاة أو الصيام أو الحج، لكن النية تجعل كل أعمال الإنسان – حتى الأعمال العادية – تنقلب إلى عبادة لله ﷻ، وهذا ما سبق به الصالحون، فإنهم استحضروا قبل كل عمل حتى الأعمال العادية، وجعلوا كذلك نواياهم كلها خالصة لوجه الله لا يبغون فيها غير رضاه.

فإن الله ﷻ قال في القرآن محدداً لنا: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (١١٠الكهف) لم يقل: يرجوا الجنة، ولكن (يرجوا لقاء ربه) والشرك هنا هو الشرك الخفي، ومعناه أن يكون قاصداً بهذا العمل غير الله، كأن يكون قاصداً للشُهرة، أو قاصداً لمنفعة يرجوها من عند الناس، أو يكون قاصداً لحب الظهور، أو أي قصد خفي ليس فيه الإخلاص الكلي للرب العلي ﷻ.

---

٥٦ الجميزة – السنطة –الغربية ٢٩ من رجب ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/٣م

٥٧ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

وبيَّن ﷺ في القرآن حال أهل اليمين في نواياهم، وحال السابقون المقربون في نواياهم، فأما أهل اليمين فذكرهم الله ﷻ فقال: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (٩٠الأنبياء) يعني رغبةً في الجنة، ورهبة من النار وأهوال يوم القيامة.

أما السابقون المقربون وهم الذين أمر الله النبي أن يكون معهم على الدوام، ويصبِّر نفسه في مجالستهم على مدى الأيام، فقال فيهم: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

فهذا صنفٌ، وهؤلاء صنف، السابقون المقربون يريدون وجه الله، وأهل اليمين إما أن يكونوا يرجون الفرار من أهوال النار وأهوال يوم القيامة، وإما أن يطمعون في نعيم الجنان والثواب العظيم من حضرة الرحمن ﷻ.

فمن أراد الفتح الإلهي القلبي بأن يكون داخلاً في قول الله:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

أو يحظى بقول الله:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

أو يحظى بفتح الله ووراثة رسول الله في قوله عن الله:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (١٠٨يوسف)

أن يكون صاحب بصيرة منيرة، ويرث في هذه البصيرة الذات المنيرة؛ ذات سيدنا محمد ﷺ، وغيرها من الفتوحات الوهبية الإلهية المنبثة في القرآن الكريم.

من يريد ذلك لا بد أن تكون نواياه كلها في أي قول أو عمل يعمله لوجه الله لا يريد سواه، وهذا ما قاله الله ﷻ عن أنبياء الله ورسل الله: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٤٧سبأ) لأنه لا يريد بدعوته إلا وجه مولاه.

وعلَّمه النبي ﷺ لأصحابه المبرزين ومن بعدهم على نهجهم إلى يوم الدين، وقال الله عنهم في كتابه المبين في سورة الإنسان:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان)

فحتى الإطعام لوجه الله.

والطعام للمرء إذا طعم ينوي بطعامه هذا أن يستعين به على طاعة الله، فيكون هذا الطعام كله عبادة لله، أو ينوي ويستعين بالله لمقام أعلى وهو أن يفتح الله عليه عند الطعام فيشهد فيه صُنع الحي القيوم ﷻ ويُعرض عليه قوله عز شأنه:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس).

وفي ذلك يقول بعض الصالحين: (من أكل ولم يشهد المنعم الرزاق فكأنما قد سرق) لأنه يأكل من ورائه، والإنسان الحاضر بقلبه مع ربه لا بد أن يحضر مع الله حتى في أكله، فيشهد صُنع الله وكيف ساقه له وجهزه له وأتى به له وقسمه له، وهذا بالنية التي تسبق الطعام.

النية في الفرائض

النية في العبادات لا بد أن تسبق العمل إذا كان العمل فريضة، فلا بد للإنسان أن ينوي قبل الصلاة تكبيرة الإحرام، فهذا على مذهب الإمام الشافعي والمذاهب المعتمدة.

والإمام مالك رضي الله عنه يرى أن الإنسان يطيل تكبيرة الإحرام حتى ينوي أثناء النطق بها هذا العمل لوجه الله ﷻ.

فإما أن ينوي قبل أن ينطق بالتكبيرة وهنا لا عليه أن ينطق بالتكبيرة مسرعاً، وإما أن ينوي أثناء التكبيرة فيطيل التكبير: (الله أكبر) بالمد الطويل، ويمر على قلبه هذه النية وهو يكبر رب البرية ﷻ.

وكذلك لا يجوز للإنسان الصيام في الفريضة إلا إذا نوى قبل الفجر، لقوله ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ }[٥٨]

لا بد أن تكون النية قبل أذان الفجر لو لم يتسحر، أو تسحر ولم ينوي حتى أذَّن الفجر، فلا تجوز النية بعد صلاة الفجر، لأن الصيام يبدأ مع أذان الفجر، والنية في الفريضة لا بد أن تكون قبل العمل.

---

٥٨ جامع الترمذي وأبي داود عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها

النية في النوافل

الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا رسول الله ﷺ جعل لنا في النوافل غير الصلاة، بأن ننوي أثناءها أو بعدها، فقد كان ﷺ إذا أصبح يسأل زوجاته عن طعام، فإن قيل: لا يوجد، كان ينوي الصيام، فينوي الصيام في النافلة أثناء النهار وليس قبل الفجر كالفريضة، ودرج هذا العمل مع جميع الأعمال، لأنه يريد منا أن نكون عابدين لله في كل الأقوال والأفعال والأحوال، قال ﷺ في الأكل:

{ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ } وفي رواية أخرى: **{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ ﷻ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ }**[٥٩]

رحمة بنا وشفقة علينا جعل النية في هذه الأعمال التي تتحول إلى عبادة بالنية الطيبة لله ﷻ، ولا مانع إذا نسي الإنسان أو سها في أول العمل أن يؤخرها ويقولها إذا تذكرها أثناء العمل، أو بعد العمل، ويلاحظ الإنسان كذلك أن كل أعماله يستطيع أن يحولها إلى عبادة حتى النوم، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْبِيحٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ يُبْعَثُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَامَ عَلَى غَفْلَةٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمُ الذِّكْرَ عِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ }[٦٠]

ثم ذكر ما أردنا التنبيه عليه وهي أن النوم يكون عبادة، فقال ﷺ:

{ مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ }[٦١]

وفي الأثر: ((من نام على ذكر الله، كُتب طوال ليلته هذه قائماً ذاكراً، فإذا استيقظ قالت له الملائكة: ادعُ فإن لك دعوة لا تُرد)).

---

٥٩ الأولى: سنن الترمذي وابن ماجة عن عائشة ﵂، والثانية: سنن أبي داود والطبراني عن أمية بن مخشي ﵁
٦٠ الثاني من الفوائد المنتقاه لأبي القاسم الأزجي عن الحكم بن عمير ﵁
٦١ سنن النسائي وابن ماجة عن أبي الدرداء ﵁

إذاً المؤمن يستطيع أن يجعل كل أعماله وكل ليله ونهاره طاعة وعبادة لله؛ إذا استحضر النية الصالحة بقلبه، والنية محلها القلب، لأنه هو معقد النوايا لله.

ولذلك كان الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه إذا استعان بالنوم في القيلولة على قيام الليل يقول لمن حوله: (لا توقظوني من وردي)، فكأن النوم وردٌ له، لأنه ينام حتى يستجم الجسم قليلاً فيستطيع أن يقوم الليل وهو يقظٌ وحاضرٌ بين يدي مولاه ﷻ، لأن النبي ﷺ كرَّه للعبد المسلم أن يقوم الليل وهو يغالب النوم، لأنه ربما يغلب عليه النوم فتأتيه وساوس الشيطان فينطق بما لا يحبه الرحمن ﷻ، إذاً لا بد أن يكون يقظاً ومنتبهاً لما يقول وينوي نية صادقة قبل عمله لله ﷻ.

التحدث بالعمل

ويحذرنا الرسول ﷺ من أمر قد لا يفطن له كثيرٌ من الناس، وهو أن الإنسان يعمل العمل سراً بينه وبين مولاه، ثم بعد ذلك بعام أو أقل أو أكثر تضحك عليه نفسه فيُخبر الناس بما عمل على سبيل الفخر أو الخُيلاء فيحبط عمله، لأنه نوَّه بما لا ينبغي أن ينوه به نحو مولاه ﷻ، فإن عمل السر يفضُل عمل العلانية بسبعين ضعفاً، ولذلك إذا نوى هو أن يعمل العمل سراً، فينبغي عليه أن يحافظ على سريته حتى يأخذ أجره كاملاً، ويهبه الله ﷻ مواهب عباده المقربين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، فقال ﷺ في ذلك:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَلا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَتُكْتَبَ عَلانِيَتُهُ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ لا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلانِيَةِ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً }[٦٢]

وأظن هذا ما يقع فيه كثيرٌ من الناس في زمننا هذا، وبخاصة النساء، تريد أن تتحدث وتقول: أنا عملت لفلانة كذا وكذا، وأنا أديت لفلان كذا وكذا، الإنسان له مرة أن يُحدِّث بها إذا أراد أن يُعلِّم الناس ماذا يصنعون إن كان مُعلماً أو عالماً، أو يرشد الناس إلى أفضل ما يتوجهون به إلى الله، لكن إذا جعل هذا العمل حديثه في كل مجلس، ويتحدث به هنا وهناك، كُتب كما قال ﷺ رياء.

---

٦٢ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه

ولذلك فإن النية تحتاج إلى إخلاص بالكلية، وإلى صفاء الطوية، فلا يكون في طويته وفي قلبه رياء، ولا حب للشُهرة، ولا حب للسُمعة، ولا رغبة في الظهور، ولا رغبة حتى في إظهار الكرامات على يديه ليُقبل عليه الخلق، أو أي رغبة من الرغبات الدنية أو الدنيوية، أو الرغبات التي تشبه الأعمال الأُخروية لكنها ليس فيها تُقى لرب البرية ﷻ.

وضرب لنا ﷺ أمثلة لما يحدث بين أصحابه حتى نعرف أهمية النية، فأوصى سيدنا معاذ بن جبل ﷺ وقال له: **{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }**[٦٣]

فالعبرة ليست بكثرة الأعمال، وإنما العبرة بالإخلاص في أي نية يتوجه بها الإنسان إلى رب البرية ﷻ، وقال ﷺ في الصلاة: **{ قَدْ يَتَوَجَّهُ الرَّجُلَانِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَنْصَرِفُ أَحَدُهُمَا وَصَلَاتُهُ أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِ إِذَا كَانَ أَفْضَلَهُمَا عَقْلًا، وَيَنْصَرِفُ الْآخَرُ وَصَلَاتُهُ لَا تَعْدِلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}**، وقال في الرواية الأخرى: **{ إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ مَنَاكِبُهُمَا جَمِيعًا، وَلَمَا بَيْنَ صَلَاتِهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }**[٦٤]

ودعا ﷺ إلى الإنفاق فقال: **{ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا }**[٦٥]

إذاً العبرة بالنوايا، واعلموا علم اليقين يا أحبة أن الصالحين الصادقين وما يسمون في مخطوطنا العارفون؛ لم ينالوها بكثرة الأعمال، وإنما نالوها بالإخلاص في النوايا وصلاح الأحوال، فإن النوايا تجعل كل أعمالهم خالصة لوجه الله، حتى قال ﷺ: **{ فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ }**، وقال ﷺ: **{ لَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ }**[٦٦]، وقال ﷺ:

---

٦٣ الحاكم في المستدرك وحلية الأولياء عن معاذ بن جبل ﷺ
٦٤ الرواية الأولى: المعجم الكبير للطبراني عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، والثانية: الزهد والرقائق لابن المبارك
٦٥ سنن النسائي وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ
٦٦ الأول: صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي ذر، زالثاني: البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

{ دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ }[٦٧]

إذاً علم النوايا هو أُسُّ العلوم كلها لمن أراد أن يكون قريباً من القريب ﷻ، وأن يكون خالصاً مخلصاً، ويفوز بالمواهب الربانية، إذاً لا بد من تصحيح النية وجعلها خالصة لوجه الله.

تصفية الطوية

تصفية الطوية من الأمور التي تحسنها النفس للإنسان من الرياء والسمعة والظهور والشهرة وغيرها، وأن تكون النية مرتبطة بالإخلاص.

ما الذي يعكر صفو هذا الأساس؟ وما الذي ينبغي أن يبدأ به المريد الذي يريد أن يحصل على ما قلناه من المواهب؟

أن يعالج النفاق وأمراض النفاق، فإن النفاق يجعل القلب غير خالص لحضرة الكريم الخلاق ﷻ، إذاً لا يكون رجلاً من الصالحين أو من المريدين الصادقين حتى يتخلص من كل أحوال المنافقين، إن كان النفاق العملي أو النفاق القلبي، والنفاق القلبي والحمد لله لا يوجد عند جموع المسلمين الصادقين، لكن النفاق العملي الذي يستهين به المسلمون، ويستهين به أيضاً – وهذا في غاية السوء – كثيرٌ من المريدين، يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }[٦٨].

هذه الأوصـــاف لا بد أن يتبرأ منها كلها بالكلية، فقد ورد أنه ﷺ كما حكى عبد الله بن عامر ﷺ قال: **{ دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ، قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَـــيْئًا؛ كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ }**[٦٩].

---

٦٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٦٨ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٦٩ سنن أبي داود والأحاديث المختارة

لو لم تعطه لكُتبت كذبة، ولحاسبها الله ﷻ عليها يوم القيامة، وكان ﷺ يقول عن ذاته الشريفة:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[٧٠]

يعني حتى المزاح لا يُسمح فيه بالكذب، فالكذب هو الكذب، ولا يُوجد في الإسلام كذبٌ أبيض وكذبٌ أسود، ومن عجائب هذا الأمر أن السيدة عائشة ﵂ كانت تفلي رأس أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ﵁، ثم تقصع أظفارها على غير شيء، فتجعل له صوتاً كقصع القمل، فنبهها ﷺ أن هذا الفعل نوعٌ من الكذب، فقال:

{ مَهْلاً يَا عَائِشَةَ أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ هَذَا مِنْ كَذِبِ الأَنَامِل }[٧١]

ورُوي أن الإمام البخاري ذهب إلى رجل في حضرموت عنده حديثٌ لم يسمعه من غيره، والرجل كان له جمل قد ندّ – يعني ذهب بعيداً – فذهب لإحضار الجمل، ففتح حِجره ليوهم الجمل أن في حجره طعام ليأت إليه، فما كان من البخاري إلا أن تركه وركب ومشى، فتعجب الرجل، فقال: أليس هذا من الكذب؟!! وإذا كنت تكذب على حيوان، فكيف آمنك على حديث النبي العدنان ﷺ؟!.

فإذاً لا بد أن يُطهّر السالك نفسه من النفاق أولاً، حتى يدخل الإخلاص، فالإخلاص لا يستقر في قلب فيه صفةٌ من صفات المنافقين لأنه يتعارض معها.

فالنفاق أن يعمل الإنسان عملاً يبغي به الظهور عند الناس، أو الحصول على شيء من الناس، أو رضا الناس، وهذا يتنافى على من يقصد في عمله كله وجه رب الناس ﷻ، ولذلك قيل: (إذا برئ الإنسان من أوصاف النفاق وأخلاق المنافقين، لديها يُصبح قلبه سليماً، وحاله مستقيماً) وقال سلفنا الصالح: (ليس الجهاد جهاد النفس في الأوراد، ولكنه في تصحيح خطوط الإمداد مع رب العباد ﷻ، وذلك لا يتم إلا بإخلاص القصد).

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، ومراقبة الله ﷻ في كل وقت وحال، والاقتداء بالنبي ﷺ في كل شيء نقوم به في الدنيا، وأن نُحشر معه في الآخرة أجمعين، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٧٠ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما
٧١ رواه الديلمي عن عائشة رضي الله عنها

الفصل الثالث

جهاد العارفين

جهـــــاد النفس

جهـــاد الهـــوى   جهاد الشهوات والحظوظ

التحقق بالعبودية   توحيد الوجهة   قوى النفـــوس

تصفيـــة القلب

جهـــاد النفس   صفاء القلـــب

جهاد السالك لتنوير القلب الحالك

١: التخلـص من النفاق من أبواب النفاق العملى

٢: الحرص على القيام بالفرائـــــض

٣: الحرص على أنفاسه وصحته الروحانيَّة

٤: محبـة الله ورسوله ومـن والاهـم

٥: التأليـــف بيـن الإخـــوان

٦: الخروج من عوائـــده ومألوفاته مع المداراة

٧: الحرص على سلامة ورعايـــة نفســه

٨: القيام بواجب الوقت مع حفظ المرتبة

رقـــة القـــلب

شروط رقة القلب ١: المطعم الحـلال

٢: قراءة القرآن بالتدبر ٣: مجالســة الصالحين

عدة الســـــالكين

الإقلال من الكلام   الإقلال من الطعـــام

الإقلال من المنـــام   ذكر الله على الدوام

أقفـــال القلـــــب

الحواس الملكوتيـــة   كيفية النظر إلى الغيوب

الفصل الثالث

جهاد العارفين

جهاد النفس[٧٢]

قلنا أن أول أساس للوصول إلى صفاء القلب وتجهيزه لعطاءات الرب ﷻ :

أن يُصحح الإنسان نيته، ويجعل النية رفيقه في كل عمل، سواءٌ سابقةٌ للعمل وهو الأفضل، أو أثناءه، أو حتى بعد انتهائه وذلك في النوافل والقربات.

وبعد ذلك يُصفي طويته، وباطنه نحو جميع كل من حوله من بني الإنسان، فلا يكون عنده ضغينة ولا حقد ولا حسد ولا كُره ولا شيء من هذا القبيل ويدخل في قول الله:

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)

وبعد ذلك ينبغي عليه أن يتحرى الإخلاص لله في كل قول أو عمل.

إذا فعل الإنسان ذلك فيبدأ بعد ذلك في جهاد نفسه، وجهاد النفس هو الأساس الأول والذي عليه المعوَّل في الوصول إلى المراد، ويتمتع الإنسان بما يتمتع به عباد الله الأفراد، وقد قال الأمير عبد القادر الجزائري وكان من المتصوفة العظام:

((لا يجد في طريق الله شمَّة من لم يجاهد نفسه ولو كان شيخه قطب الوقت)).

وهذا يشرح حال كثير من المريدين المتكاسلين المتوانين المتقاعدين:

فيعتقدون أن جهاد الشيخ يكفيهم، وقد جاهد عنهم وهم لا يحتاجون إلى جهاد، وأسمع مقولة أعجب منها عند كثير من أتباع الصالحين، يقولون: (حب ونام) يعني ما دام أنك تحب الرجل الصالح فنم لأنك لا تحتاج إلى نوافل من قيام وصيام وعبادات لأن الشيخ قد جاهد عنك !!!! وهذه مقولة معلولة تحتاج إلى تصحيح لأنها تخالف المنهج الصحيح الوارد عن الإمام الأعظم وهو الحبيب المصطفى ﷺ، والذي صار عليه من بعده أصحابه الكرام والأولياء العظام إلى يومنا هذا وبمشيئة الله إلى يوم الزحام.

---

٧٢ الجميزة – السنطة –الغربية ٦ من شعبان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/١٠م

جهاد الهوى

فإن الإنسان لا بد له من الجهاد، والرسول ﷺ هو الذي رُوي عنه عندما كان راجعاً من غزوة تبوك أنه قال لأصحابه محفزاً لهممهم:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[٧٣]

جهاد النفس وجهاد الهوى يحتاج إلى جهاد شديد، وهم كانوا في أعلى مراتب الجهاد في نظر العلماء لأنهم كانوا يحاربون في رُفقة سيد الأنبياء ليدافعوا عنه وعن دين الله ﷻ، وإلي هذا الجهاد يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (٦٩العنكبوت) وما أعلى هذه السُبل؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ (١٢٨النحل) يكونون في معية الله ويراقبون الله على الدوام، وقد وصلوا إلى مقام الإحسان: ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل).

والإحسان كما أخبر ﷺ:

{ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[٧٤]

ومع شدة جهادهم هذا إذا بالمولى ﷻ يرتقي بنا إلى أطوار أعلى وأرقى في الجهاد، فيقول ﷻ لهؤلاء المجاهدين في الله حق جهاده: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ (٧٨الحج) وحق جهاده يعني حاول بكل ما في وسعك أن تجاهد، ولذلك عرَّف إمامنا أبو العزائم الجهاد بأنه: (بذل ما في الوسع) يعني جاهد بكل طاقاتك، وبكل ما أعطاك الله، واستعن بالله، تأتيك المعونة ويأتيك التوفيق من حضرة الله جل في علاه.

جهاد الشهوات والحظوظ

وجهاد النفس تكون بدايته في جهاد البواعث النفسية والعلل النفسية التي تمنع الإنسان من قرب رب البرية وهي الشهوات والحظوظ، ويجمعها قول الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ كلمة زُين يفسرها حبيب الله ﷺ فيقول:

{ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ }[٧٥]

---

٧٣ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر ﷺ
٧٤ صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب ﷺ
٧٥ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ

من أراد الجنة يجد الأعمال التي توصل إليها ليست مستحبة عند النفس: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ (البقرة) فتجده يمل منها، ويتكاسل عنها، ويتلمس لنفسه الأسباب، أما النار فالأعمال التي توصل إليها محبوبة للنفس، وتجعل الإنسان يترك الحلال ويسارع إلى الحرام ليهبط في النار والعياذ بالله ﷻ.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران) والخيل المسومة يقابلها في عصرنا هذا السيارات والطائرات وما شابه ذلك، لأنها وسائل الانتقال في هذا العصر، والأنعام يعني المواشي بكل أصنافها، والحرث يعني الزراعة، وأظن أن هذه الآية جامعة مانعة لكل أصناف الشهوات التي يميل إليها الإنسان والتي يندفع إليها بحظه وهواه، لأنه يعتقد أن هذه هي كل مناه.

إذاً لا بد للإنسان أولاً من جهاد نفسه مع هذه الأشياء، بأن يحرص فيها على أن يتناولها أولاً من حلال أحله الله.

ثانياً: أن يأخذها بعمل وهدي مطابق لشرع الله، فلا يمشي فيها بحظه ولا هواه.

ثالثاً: أن يشكر الله بعد ذلك على ما أعطاه.

فأي نعمة من هذه النعم لو تحرَّى الإنسان فيها أن يأخذها من الحلال، وأن يتبع فيها شرع الله، فإن كان عليه حقٌ في المال مثلاً فلا بد أن يُخرج حق الله وهي الزكاة، وكذلك إذا كان عليه حقٌ في السوائم والماشية أو الزرع بحسب شريعة الله، يُخرج حق الله ﷻ، فإذا مشى فيها على شرع الله ينبغي عليه بعد ذلك أن يشكر الله ﷻ على ما أعطاه، والشكر بابٌ للمزيد: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم).

ويظل الإنسان يجاهد نفسه في هذه الأمور حتى يخرجها من قلبه، فتكون في يده وليست في قلبه، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يقولون في هذا المقام: (اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا)، ولذلك كانوا إذا دُعوا إلى البذل يضحون بالنفس والنفيس، ولا يحسون أنهم فعلوا شيئاً، بعكس غيرهم إذا طلبت منه شيئاً يظن أن هذا الشيء سيخرج ومعه قطعة من قلبه، فيتشبث به ويحاول أن يجادل في سبيل عدم إخراجه، ويتعلل بعلل يقول فيها الله ﷻ: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ (الأنعام).

فيظل يجاهد في هذا المقام حتى يستوي كل ما في الدنيا عنده مع التراب والرغام، لأنه يعلم علم اليقين قول سيد المرسلين: { لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ }[٧٦]، ولكنها لا تساوي شيئاً، وأذكر في هذا المقام أن رجلاً ذهب إلى الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه وسأله:

هل تستطيع أن تعد لي فضائل الصلاة على النبي ﷺ؟ فقال الإمام وكان لبقاً وفطناً ومُلهماً: هل تستطيع أن تعد لي متاع الحياة الدنيا؟ فقال: لا، قال: يا أخي إذا كنت لا تستطيع عدَّ القليل الذي قال فيه الجليل: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (٧٧النساء) فكيف تعد العظيم الذي قال فيه مولاه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم)؟!!.

انظر إلى هذه البصائر النورانية والإلهامات الفورية من رب البرية ﷻ!!.

ولذلك قالوا: لا يبدأ الرجل السير الصحيح إلى الله ويكون من كُمَّل عباد الله حتى يستوي عنده الذهب والحجر، ويستوي عنده اللحم والخبز الجاف، فلا يفرق بين هذا وذاك لأنه علم أن كل هذه الأشياء وسائل لغايات، وغايته العظمى هي وجه مولاه، وهذه الوسائل لا توصل إلى ذلك إلا إذا فنى عنها بالكلية في حب مولاه ﷻ.

التحقق بالعبودية

ويحاول بعد ذلك أن يجاهد نفسه بأن يتخلق بالعبودية التي يحبها الله، فإن الله ﷻ كما قال لأبي اليزيد البسطامي ﷺ عندما قال له: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والمسكنة والفقر والجهل، وهذه صفات العبيد وصفات العبودية التي ينبغي أن يكون عليها العبد بين يدي الحميد المجيد.

لا يكون عليها مع خلق الله، وإنما مع خلق الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون) ولكن يكون عليها إذا كان واقفاً بين يدي مولاه، وإذا كان يناجي الله، وإذا كان يقرأ مع الله كتاب الله، وإذا كان يتوجه بأي عمل صالح إلى حضرة الله، فليكن متجملاً بجمال العبودية لأن هذا المقام هو الذي يحبه الله، ولذلك مدح عليه وبه حبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء).

---

٧٦ جامع الترمذي والطبراني عن سهل بن سعد ﷺ

إذاً الغاية من جهاد النفس هي الوقوف على قدم العبودية لله ﷻ، وأن يكون الإنسان في كل أنفاسه بين يدي مولاه عبداً، فلا يختار لنفسه منزلة، ولا يختار لنفسه قربة، ولا يختار لنفسه مكانة، وإنما كما قال بعض الصالحين على لسان الحضرة الإلهية:

فكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضي الموالي من مراد

فلا ينبغي لأي سالك في طريقنا أن يحدد لنفسه منزلة يريد أن يصل إليها، لكن اجعل غايتك وجه الله، ودع الأمور لله يضعك في النصاب الذي يرضاه، وهو الذي يليق بك وتستطيع تحمل أعباءه، فإنه إذا أقامك أعانك، وإذا أقمت نفسك وكلك إلى نفسك، ولا تستطيع أن تقوم بأي عمل ولو شيئاً قليلاً، لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإذا قام الإنسان بجهاد نفسه حتى وصل إلى هذه الغاية، يبدأ بعد ذلك في التخلص من النفوس المنازعة للنفس الملكوتية والنفس القدسية، فإن النفوس سبعة، نفسٌ جمادية، ونفسٌ نباتية، ونفسٌ حيوانية، ونفسٌ سبعية، ونفسٌ إبليسية، ونفسٌ ملكوتية ونفسٌ قدسية.

قوى النفوس

وضحنا هذه النفوس في كتابنا (النفس وصفها وتزكيتها) بما لا حاجة لنا في الرجوع إليه، فينبغي على الأحبة أن يرجعوا إليه ليعلموا ذلك.

فالنفس الجمادية:

هي التي تجعل الإنسان يميل إلى الكسل، وإلى النوم وإلى الخزلان وإلى عدم الجهاد، وُتمنيه بالأماني وتحاول أن تلتمس له الأعذار.

والنفس النباتية:

هي التي تقوم في الإنسان بتغذيته وتنميته حتى يظل سائراً في الحياة الدنيا ليؤدي عمارة الكون بما يحبه الرحمن ﷻ، فعليها الغذاء وعليها النماء.

والنفس الحيوانية:

هي التي تميل إلى الشهوات الدنية، كشهوة الطعام وشهوة الشراب وشهوة النكاح:

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس أو منكح فاحذر بها الداء الدفين

والنفس الإبليسية:

هي التي تميل إلى الخداع، وإلى أوصاف المنافقين، وإلى إيجاد الفتن بين المتحابين، وإلى التحايل والخداع في سبيل الوصول إلى ما يحبه من دنياه، وليس في ذلك رضا الله ﷻ.

والنفس السبعية:

هي قوة الغضب التي في الإنسان عندما يغضب:

فالإنسان عندما يغضب يتشبه بالسباع في كل حركاته، فقد يضرب بيده كالأسد، وقد يبصق كالثعبان، وقد يرفس كالحمار، ولذلك قال ﷺ:

{ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ}[٧٧]

والنفس الملكوتية:

هي التي تأخذ الإنسان وتُلهمه بما يحبه الرحمن، فتذكره بأوقات الصلاة، وتفكره بما يقوله بين الله وهو في الصلاة، وتُلهمه الأعمال الصالحة التي يحبها الله، كأن تحببه بالذهاب إلى حرم الله وزيارة رسول الله ﷺ، أو الجمع على الصالحين ومجالس العلم وسماع القرآن، وغيرها من أعمال البر والخير.

والنفس القدسية:

عطية من رب البرية لمن يستقيم في حياته الدنيوية: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ (١٥غافر) فهي عطية من الله ﷻ.

ففي هذا الطور لا بد للإنسان أن يتخلى عن هذه الأوصاف التي تتجمل بها هذه النفوس ليجمّلها بالجمال الذي طلبه منه في القرآن الملك القدوس ﷻ، لا بد أن يتخلى ليتحلى، وبعد أن يتحلى فإن ربه يتنزل له بعطائه ويتجلى له بغيوبه، ثم بعد ذلك يتملى بشهود ما قدَّره الله ﷻ له.

تخلِّي ثم تحلِّي ثم تجلِّي ثم تملِّي، فهذه مراحل الجهاد في هذا الميدان.

فإذا جاهد هذه النفوس بعد ذلك يتجمل بأخلاق الملك القدوس، لأنها هي التي يدخل بها على حضرة الله، وكما ورد في بعض الأثر:

---

٧٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

((إن الله يحب من خَلْقِه من كان على خُلُقه)).

يحب أن يُدخل على حضرته من تخلق بخُلُق التواب، ومن تخلق بخُلُق العفو، ومن تخلق بخُلُق الكريم، ومن تخلق بخُلُق الرحيم، وغير ذلك من الأوصاف الإلهية التي بها الدخول على الحضرة الإلهية، فلا بد أن يتصف الإنسان في أحواله كلها بما يستطيع من هذه الصفات، ويستعين بالله فيعينه مولاه ﷻ.

فإذا فنى الإنسان عن كل الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات، ولم يأخذها إلا على سبيل على أنها دواء أو قوتٌ لا بد منه، يأخذ ما لا غنى له عنه ليستقيم به الجسد، ثم بعد ذلك يتخلق بالأخلاق الإلهية.

توحيد الوجهة

وبعد ذلك عليه شيء هام يجاهد أن يكون عليه الدوام، وهو أن يوحد وجهته ويجعلها لله ﷻ، فلا يغير هذه الوجهة طرفة عين ولا أقل، ويقرأ قول الله:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ (١٤٨البقرة).

فيولي وجهه نحو مولاه لا يرجو سواه، ولا يبغي إلا رضاه، ولا يطلب من الكونين شيئاً سوى النظر إلى جمال الله وكمال الله ﷻ.

وهذا هو السالك الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

((والسالك من توحَّد مطلوبه، ورضي بما قدَّره محبوبه))

له مطلبٌ واحدٌ هو وجه الله ﷻ ... فما هذه الأمور الباقية؟

وسائل يستعين بها حتى يصل إلى بغيته وهي وجه الله ﷻ.

إذا فعل ذلك فإن الله ﷻ يكرمه بواسع الإكرام، ويقعده في مقعد صدق، ويجعله عُرضة للعطاء والإكرام والإنعام.

نسأل الله ﷻ أن يمن علينا بمواهب المتقين، وأن يخصنا بخصائص المقربين، وأن يُخلِّقنا بأخلاق سيد الأولين والآخرين، وأن يوحد وجهتنا في طلب حضرته في الدنيا، ويجعل غايتنا في الدنيا والآخرة النظر إلى وجهه الكريم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

تصفية القلب

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذى وجَّهنا لما يحبه ويرضاه، وجعل أفئدتنا تتجه إلى حضرته وتطلب منه صافى شراب أهل قربه ومودته، والصلاة والسلام على خير مرام يناله المصطفون من الأنام؛ سيدنا محمد بدر التجليات وشمس الإشراقات في القلوب النيرات، وصاحب الشفاعة العظمى والكرم الذى لا يُعدُّ ولا يُحدُّ يوم لقاء الواحد الأحد، صلى الله عليه وعلى آله التقاة، وأصحابه الهداة، وكل من مشى على نهجهم إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين .. آمين يارب العالمين.

الأصل الأول في الأصول التي ينال بها العبد الوصول إلى حضرة الله ﷻ وإلى القرب من حضرة الرسول ﷺ هو النيَّة الخالصة، والتي معها سلامة الطويَّة وصفاء القلب بالكليَّة وحسن المقصد الذى يبغيه في عمله أو في قوله أو في سيره وهو وجه ربِّ البرية ﷻ.

والأصل الثانى والثالث معاً في الوصول إلى الله ﷻ هما جهاد النفس، وتصفية القلب بالكليَّة، واعلموا علم اليقين كما قال الأمير عبد القادر الجزائرى رحمة الله عليه في مواقفه قولة سديدة: (لا يجد في طريق الله ﷻ شمَّة من لم يجاهد نفسه ولو كان شيخه قطب الوقت)

ونوضحها بمثال: لو مرض إنسانٌ بداء في جسمه وذهب إلى أعظم طبيب في هذا المجال في هذا العصر في الشرق والغرب، وعرض عليه نفسه وكشف عليه وكتب له تذكرة دواء، لكن المريض أخذ التذكرة ولم يشترِ الدواء، أو اشترى الدواء ولم يستخدمه، هل يتم له الشفاء؟! لا، مع أنه ذهب إلى أعظم طبيب في عصره! لكن الطبيب يصف الدواء بعد بيان الداء، وعلى المريض الذى يريد الشفاء أن يستخدم هذا الدواء بالحكمة التي وصفها له هذا الطبيب النُطاسى حتى يُزال عنه الألم ويُشفى من هذا الداء، ومن هنا فالأمر الباطن مثل هذا المثال الظاهر!

جهاد النفس

النفس لها عللها التي تمنعها من الفتح، والقلب قد يكون عليه أغيارٌ تمنعه من التحقق بمقام المقرَّبين والأخيار، والأغيار تعنى كل شئ غير الله! فهو يسمَّى غيراً في القرب إلى الله، فلابد للمرء من جهاد نفسه ليقضى على العلل التي تمنعه من القرب من ربِّه، ولا بد أن يجاهد في تصفية قلبه لتشرق عليه الأنوار، وتلوح في أفقه الأسرار، ويتمتع بالعطايا التي يخصُّ بها الله ﷻ الصالحين والأبرار.

وجهاد النفس يكون بعلاج البواعث النفسية والعلل النفسية التي تمنع الإنسان من القرب من ربِّ البرية ﷻ:

والبواعث والعلل النفسية هى الشهوات الدنية التي تشغل الإنسان في هذه الحياة الكونية، وتبعده عن القرب من ربِّ البرية، وتجعله غير أهل لأى عطية:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ (١٤ آل عمران)

ولا بد أن يعلم المجاهد لنفسه الغاية والمقصد من هذا الجهاد حتى يتمكن من مجاهدة نفسه.

الغاية من هذا الجهاد أن يطوع شهوات نفسه ورغباتها وأهوائها في سبيل الظفر والنيل لعطايا ربّه التي يخصها للصالحين، وسبيل ذلك أن يتحقق بالعبودية لربِّ العالمين ﷻ، كل الجهاد إن كان وسيلته الصلاة، أو الصيام، أو وسيلته الأذكار والعبادات، أو الصدقات، أو وسيلته خدمة المساكين والفقراء واليتامى والأرامل، أو وسيلته لذلك خدمة الصالحين ... كل هذه الوسائل الغاية من ورائها يقول فيها الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه:

تلك الرياضة يا مسكين غايتها ذلٌّ ومسكنةٌ إن صح أنت ولىّ

غاية هذه الرياضات أن يصل الإنسان المجاهد،والمجاهدة التي بها تتم المشاهدة لا بد أن تكون على منهج القرآن والسُنَّة، فأى جهاد على غير القرآن والسُنَّة إنما هو سبيل من سُبل الغواية! وليس سبيلاً من سبل الهداية والعناية التي فتحها رب العالمين ليعطى منها الوهب والعطايا للصالحين، فشرط الجهاد أن يكون على منهج القرآن والسُنَّة.

غاية الجهاد أن يتخلق الإنسان بأخلاق العبودية، ولذلك قال الله ﷻ عندما قال له أبويزيد البسطامى رضي الله عنه: بِم يتقرب إليك المتقربون يارب؟ قال: بما ليس فىَّ، قال: وما الذى ليس فيك؟ قال: الذل والمسكنة والفقر والحاجة والإضطرار.

وما شابه ذلك من أوصاف العبودية التي بها يتأهل المرء لنيل العطيَّة من ربِّ البرية ﷻ، وأوصاف العبودية هذه تكون في مواجهاته مع ربِّه، وليس للخلق وإنما للخالق جل وعلا، وأوصاف العبودية تحتاج إلى جهاد شديد حتى يتخلص الإنسان من أوصافه الإبليسية والحيوانية والسبعية، لماذا؟ لأن الإنسان جُبِل على هذه الأوصاف، وهى التي تناسب التراب

والطين الذى خلقه الله منه، وتناسب الأرض والسفل الذى جاءت منه عناصره الجسمانية!، فجُبِل على حبِّ العناصر التي خُلق منها ليكون ميالاً بطبعه إلى ما به حفظها، لا بد أن يأكل ويشرب وينكح ويسكن، فللأكل لا بد أن يشتهى الطعام، وللتناسل لابد من الجنس! ولولا الروح أونفخة الله التي جمَّلت الطين فجعلته سميعاً بصيراً عاقلاً ومدركاً وفاعلاً قديراً ما كان له سبيلٌ للعلو أبداً.

فالنفوس التي تسوس هذا البدن تدفعه لما يناسبه، والروح تريد منه العلو عن ذلك والتخلق بما يناسبها ويقربها من أصلها! فإذاً هو مجبول على تلك الفطر! ولابد له من جهاد في تغيير هذه الأوصاف الدنيَّة ليتحلَّى بالأوصاف النورانية العليَّة، فهو قد خُلِقَ وجُبِلَ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢الأحزاب).

إذاً لا بد أن يجاهد في تغيير وصفه من الظلم إلى العدل في أى أمر أو أى شأن، حتى كان ﷺ – كما تعلمون – أُلهم العدل وهو في رضاعه! فعندما علم بفطرته أن له شريك في الرضاعة كان لا يتناول إلا ثدياً واحداً ويترك الآخر لأخيه في الرضاع ويرفض أن يتناوله أو يقربه أو يمصُّ منه مصَّة لأن الله جَبَلَه على العدل.

وكان ﷺ من شدة عدالته يبادل الطعام بين أضراسه، أى يمضغ على الجهة اليمنى مرة وعلى الجهة اليسرى مرة، عدالة مطلقة في كل أمر وفي كل شأن، وهكذا كان الرجال الذين رباهم ﷺ على تلك العدالة، والذين كان يقول لهم:

{ قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[٧٨]، وفى رواية أخرى:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا }[٧٩]

هذا مثال من هذا الجهاد في العدل، وخذوا مثالاً آخر: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ (١٠٠الإسراء) ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (١٢٨النساء) فطبيعة الإنسان الشحّ والبخل.

وفي سبيل الشحّ والبخل تزيّن له نفسه الحصول على الدنيا من أى سبب وبأى طريق، ولو كان في سبيل ذلك سيفرّق بين صديقين! أو سيصنع قطيعة بين قريبين! أو سيصنع مشكلة بين زوجين!

---

٧٨ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب ﷺ
٧٩ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر ﷺ

لأن حبَّ المال يجعله لا يبالى بهذه الأعمال ويرتكب هذه الفظائع التي تقشعر منها الأبدان، لأنه يستبيح أى وسيلة في سبيل الحصول على المال.

ولكنه لم يعرف أنَّ الله ﷻ كتب على خزائن كرمه المخصوصة لعباده المخصوصين أنه لا ينال أحد شيئاً منها إلا إذا تخلَّق باسم الله الكريم بين جميع المخلوقين، أى لا بد أن يكون كريماً في فعاله، وكريماً في ماله، وكريماً في أحواله حتى ينيله الله ﷻ هذا الفتح المبين .

إذاً الجهاد هنا في التخلق بخُلُق الكرم الربَّانى على منهج الحبيب الأعظم ﷺ.

وقس على هذين المثلين السابقين جهاد النفس لمن أراد أن يكون من أهل الخصوصية في الجهاد لتصفية القلب والتخلَّق بالأخلاق العليَّة بعد التخلِّى عن الأخلاق الرديَّة والسفليَّة المؤذيَّة، فلو كنت تحبُّ الإكثار من الكلام مع الأنام، فهذا خُلُق يحجب من خزائن الحكمة التي يقول فيها الله: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ (٢٦٩البقرة) ومفتاحها يقول فيه ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ صَمْتاً وَزُهْداً؛
فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ }[٨٠]

إذاً جهادى لأنال هذا الفوز العظيم وأكون حكيماً وتفتح لى كل خزائن الحكيم أن أجاهد في إمساك لسانى إلا عما قال فيه الله:

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ (١١٤النساء).

إذاً جهاد النفس:

هو لتصفية القلب وللتخلق بأخلاق العبودية، وإمامنا فيها أجمعين هو خير البرية ﷺ.

أما الجهاد في العبادات فهذا جهاد العابدين، وربما كانت كل خزائن الفتح في هذا الميدان موصدة أمامهم، لماذا؟

لأن العابد إذا أصيب بداء الغرور فإن الله ﷻ يوصد أمامه كل أبواب الفتح، وإذا رأى نفسه خيراً من غيره فإن الله ﷻ يحرمه من أرزاق المتقين ومواهب الصالحين.

---

٨٠ أخرجه ابن ماجه من حديث غبن خلاد، تخريج أحاديث الإحياء للعراقى .

صفاءُ القلب

الأصل الثالث: تصفية القلب، وتصفية القلب لا تكون إلا بتطهيره من الأمراض والأغراض التي تمنعه من القرب من ربِّ العباد ﷻ، فإن الله ﷻ لا يُشرق بأنواره العليَّة إلا على من قال فيه في محكم آياته القرآنيَّة: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) سليم يعني ليست فيه علة ولا غرض ولا مرض.

ومن هنا فالأساس الأول في جهاد القلب؛ أن يكون الجهاد ليس له غاية إلا وجه الله، ليس له غاية دنيوية ولا مآرب أخروية، يقول الله ﷻ في أهل هذا المقام آمراً وموجهاً خير البرية: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

إذاً جهاد القلب الأول في تخليص القلب من الوِجَه الكونيَّة والشهوات الدنيَّة والحظوظ السافلة الدنيوية، أى لا يكون أىٌّ من هذه الأشياء مراده ولا بغيته ولا همُّه ولا أمله، فلا يكون للإنسان همٌّ إلا في إرضاء ربِّ البرية ﷻ، لا يريد إلا الله ولا يبغى إلا رضاه، ولا يطلب في الدارين إلا وجه مولاه ﷻ، ليس فيه مقصد غير ذلك، وليس فيه مطلب أو مأرب سوى ذلك، وهذه تحتاج إلى جهاد شديد في توحيد الوجهة، أى تكون الوجهة هى وجه الله.

والجهاد الشديد لأنه يجب أن يكون كذلك وهو يعيش بين الناس ولا يترك دنياهم ولا يذهب للجبال ولا للوديان ولا للعزلة، فهذا لا يصلح مع الصالحين في زماننا هذا!.

والإنسان طالما هو في هذه الأكوان يحرِّكه قلبه، فإن القلب ما سُمى قلباً إلا لكثرة تقلّبه، تارة يريد الظهور في الدنيا، وتارة يريد الرياسة، وتارة يريد الشهرة، وتارة يريد السمعة، وتارة يريد الأُنس بالخلق، وتارة يريد تحقيق مصالح من بينهم أو من وراءهم أو بسببهم، فالقلب يتقلُّب في هذه الشؤون.

إذاً أول جهاد للقلب في توحيد الوجهة، حتى لا يريد إلا وجه الله، لا يريد شيئاً حتى من عند الله وإنما يريد وجه الله، وليس معنى ذلك أن لا يدعو مولاه، فكلنا ندعوه، لكن صاحب القلب السليم يدعو ليتحقق بمقام العبودية في ذلِّ الطلب إلى ربِّ البرية، لأن الله غنىٌ عما سواه ويحتاج إليه كل ما عداه، فهو يُظهر لله ﷻ عند السؤال والدعاء ذلَّ الطلب،

لأنه يتذلل بين يديه ويتضرع إليه ويُخبت إليه حتى يكون عبداً صادقاً بين يديه ﷻ، فهذا همُّه أو غايته من الدعاء، ويعلم بعد ذلك أن الله ﷻ يُحقق له كل ما يتمناه، وهو في الحقيقة لا يتمنى إلا وجه مولاه ﷻ:

وغـايـة بغيتى يبـدو حبيبى بعين الروح لا يبـدوا خفيًّـا
فنظرة منك يا سـؤلى ويا أملى أشهى علىَّ من الدنيا وما فيها

فيجاهد المرء ليُوحد جمال الله ﷻ، ولذا فإن تمام الجهاد لا يتم إلا بالفناء الكليّ عن الشهوات والحظوظ والأهواء، والفناء يعنى موت هذه الرغبات حتى أنها لا تتحرك في النفس ولا تطالب الإنسان بتحقيقها ولا تخطر على البال وتطالب المرء بنيلها لأن الإنسان أصبح له وجهة واحدة وهو وجه مولاه ﷻ، وهذا هو جهاد المحبّين وجهاد الصالحين وجهاد العارفين.

وهذا الذى يقول فيه إمامنا ابوالعزائم ﷺ مظهراً مرتبة السالكين المبتدئين:

(والسالك من توحَّد مطلوبه ورضىَّ بما قدَّره محبوبه) لكن الذى يريد أن يكون عالماً، والذى يريد أن يكون صاحب كرامات، والذى يريد أن يتمتع بالرؤيات الصالحات، والذى يريد أن يُقذف في قلبه الإلهامات، والذى يريد العطايا من الله ﷻ فهذا ما زال لم يصل إلى مقام الفناء لأن تمام المقام:

وكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضـــى الموالى من مراد

إذاً لا يمكن للإنسان أن يجاهد نفسه إلا بواسطة شيخ مأذون من الحبيب الأعظم ﷺ، وجهاد النفس في التخلص من أهوائها وشهواتها وحظوظها وبدواتها وكبح جماح الشهوات وسَوقها إلى الطاعات والقربات ومتابعة سيد السادات ﷺ.

وتصفية القلب – كما قلنا – أول أصل فيه هو توحيد الوجهة لله ﷻ، وحتى تكون الوجهة سديدة على المريد ألا يطلب على جهاده في تصفية قلبه أو جهاده لنفسه أجراً إن كان دنيوياً عاجلاً أو أخروياً، حتى لا يطلب بجهاده الفتح ولا الكشف ولا الرؤيا ولا الشهود، لأنه في هذه الحالة حدَّد أجراً، لكنه يطلب وجه الله، والله ﷻ يقيمه في المقام الذى يراه مناسباً له وهو أعلم بنا ﷻ من أنفسنا، ولا يتمُّ ذلك إلا إذا جاهد العبد نفسه في الفناء، وهذا هو السبيل الوحيد لنيل الفتوحات الربانية ونيل الهبات الإلهية ونيل العطايا المحمدية ... هذه بعض الأصول التي لا بد منها لمن يريد الوصول.

جهاد السالك لتنوير القلب الحالك

كيف يجاهد الإنسان نفسه في سبيل تحقيق تصفية القلب؟

الإنسان في طريق الله إما سالكٌ، وإما عارفٌ، وإما واصلٌ، وإما متمكنٌ، وإما متمكنٌ أمكن.

فما جهاد السالك في طريق الله ﷻ ليصفِّ قلبه؟

أولاً: التخلص من النفاق:

أول جهاد يبدأ به الأفراد ولا يتركه إلا أهل البعاد هو التخلص من النفاق، والنفاق علميٌ وعمليٌ، فالنفاق العلمى نفاقٌ في العقيدة أى باطنى، فتكون العقيدة زائغة غير سديدة ولا سليمة، وسببه الشهوات والدنيا والأهواء المستكنة في باطن الإنسان، ومظاهره الاعتراض على الصالحين أحياءاً وأمواتاً، وتنقيص الأنبياء والمرسلين بأن يعتبرهم أناس عاديين وخاصة سيد الأولين والآخرين، وانتقاص المسلمين فلا يعجبه أحد من المسلمين إلا نفسه وخاصة أكابر العلماء الذين لهم بصمات واضحة في شريعة الله السمحاء كأصحاب المذاهب، وإثارة النزاعات والخلافات دوماً بين المسلمين، والتشويش على المؤمنين بكثرة الآراء .. فهذا النفاق يسمى النفاق العلمى وهو نفاق في العقيدة والعياذ بالله ﷻ.

أما النفاق العملى فهذا يحتاج منا إلى الجهاد الأعظم، وهو أن الإنسان ترغب نفسه في التكاسل والتقاعس والتباطؤ عما فرضه عليه الرحمن، أو سنَّه النبي العدنان ﷺ، ويحتاج إلى العزيمة والجهاد، وهو الذى أشار إليه النبي ﷺ في قوله:

{ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لاَ يَسْتَطِيعُونَهَا }[٨١]

لا يستطيع الرجل منهم أن يصلى العشاء في جماعة في الليلة الباردة، ولا يستطيع أن يصلى الفجر في جماعة إلا قليلاً، هذا النفاق العملى خطورته لو استكنَّ له الإنسان ورضى به ولم يَلُم نفسه عليه، مثل من يصلى الصبح بعد طلوع الشمس ولا تلومه نفسه ولا تؤنبه ولا تعاتبه على هذا الفعل، وهنا خطورة هذا النفاق، لكن لو كنت تصلى الفجر في جماعة ونمت عنه يوماً فوبَّختك نفسك طوال اليوم، فهذا خارجٌ هذا المرض.

إذاً المرض لمن رضى به ووَّطن نفسه عليه ونفسه لا تلومه ولا تعاتبه ولا توبخه ولا تؤنبه على ذلك؛ !!!! وهذا هو النفاق العملى.

---

٨١ موطأ الإمام مالك وسنن البيهقى الكبرى عن سعيد بن المسيب.

من أبواب النفاق العملى

هناك أبواب في النفاق العملى لا بد للإنسان أن يُطهر نفسه منها حتى يدخل إلى مقامات الإيمان، وسنختار منها خمسة أبواب لخطرها، واحذر فهناك غيرها!:

١- إذا رأى الإنسان نفسه خيراً من غيره في العادات والطاعات والقرب من الله، فذاك مرض داخلى يحتاج إلى العلاج، ويقول في ذلك أبوالعزائم ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه والشر في إخوانه) في هذه الحالة هو شيطان وبه مرض داخلى يحتاج إلى العلاج.

٢- السعى للقطيعة بين الإخوان المتحابين المتآلفين، وهى أخطر من السابقة في داء النفاق العملى؛ وهذا شيطان واضح مع أنه يصلى ويصوم وربما يقوم الليل وربما لا يملُّ من تلاوة القرآن، لكن عمله هذا يخالف منهج الإيمان السديد الذى وضحه الله ﷻ في القرآن: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٩الحجرات) إياك أن تميل مع هذا أو ذاك، فلا تمل إلا مع الحق حيث مال.

٣- أن يكون الإنسان بخيلاً وشحيحاً ويرى نفسه خيراً من غيره، لأنه يرى نفسه حريصاً ومحافظاً على ماله، بل ربما يستهزئ بالمنفقين ويراهم سفهاء ومبَّذرين، وقد يتناهى في بخله وحرصه حتى يبخل بمال غيره في نفسه من أن ينفقه صاحبه فيصير شحيحاً فتطمح عينه إلى مال أخيه ويقول: لو كان لى لحافظت عليه وما أهدرته، وتنقبض نفسه من جود أخيه بماله! ويراه سفهاً وتبذيراً! فهذا من فقه معنى الشح، فانظر إلى أى مدى يلاحظون خلجات النفوس وطرفات العيون!.

ولذلك قال الإمام عبد الوهاب الشعرانى ﷺ: (أقبح القبيح صوفى شحيح)، كيف يكون صوفياً وشحيحاً؟! فالصوفية لا تدعو إلا لمكارم الأخلاق، وأول مكارم الأخلاق الكرم والجود وخلاف الشحّ، فالصوفى الصادق عندما يرى أهل الإنفاق يربو الإيمان والغبطة في قلبه، ويفرح لأخيه ويدعو له، ويتمنى أن لو كانت له الجبال ذهباً لأنفقها في سبيل الله! ولذا فهم يذكرون أنفسهم دائماً بقول الله تعالى:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر)

٤– أن يلقى قوم بوجه وإذا غابوا عنه ذكرهم بوجه آخر، وهو نفاقٌ عمليٌ يتبرأ منه كل صفيّ ويبرأ منه كل وليّ؛ فهو ليس من صفة الأتقياء لأن التقى ما في قلبه على لسانه.

وهذا النفاق يسمُّونه المداهنة أى يداهن الناس، فعندما يرى إنسان يتقرَّبُ أو يتزلَّفُ إليه، فإذا مشى من أمامه أخذ يخوض فيه ويغتابه ويُقبّح سوء فعله ولا يذكر إلا أسوأ ما فيه وينسى ما فيه من خصال كريمة، والحبيب ﷺ يُخَوِّف هؤلاء المنافقين بسوء العاقبة يوم لقاء الله، فالوجهان واللسانان سيكونان من نار يوم القيامة! فمن يطيق ذلك، قال:

{ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ }،
وقال: **{ ذُو اللِّسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }**[٨٢]

فالمؤمن التقى:

هو الذى يرى حسنات إخوانه وعيوب نفسه، ويغضُّ الطرف عن عيوب إخوانه وعن مكارم نفسه فلا يغترَّ، لا يتذكر مكارمه ولا محامده! وإنما يضع أمامه دائماً مساوئه وجرائمه حتى يُصلح عيوب نفسه وحتى يهذِّب نفسه.

فالذين يحضرون المجالس ويذكرون الله ويصلون على رسول الله ثم يمشى أحدهم بين الإخوان ليوغل صدر هذا ويملأ صدره هذا على ذاك، فهؤلاء شياطين ولكنهم يجالسون المؤمنين، فعندما دعا الله الملائكة للسجود:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الحجر) وهل كان إبليس من الملائكة؟ لا، ولكنه كان معهم وقتها، يقول بقولهم، ويفعل بفعلهم، فأخذ حكمهم وأُمِرَ معهم، ولكن حقيقته أبت وبقيت على غيِّها لم تطْهُر، فلمَّا أمر بما يكره أعلن رفضه وأظهر نيَّته وعصى ربه، وهكذا مثل من تبع الصالحين وقلبه معقود على صفة المنافقين.

٥– أن يتصنَّع الخشوع أمام الناس ليحظى بالرفعة والتقديم، وهذا من أخطر النفاق، وهو قاطع لجميع الإمداد والأرزاق، لأن الرجل لا يزال يتصنَّع الخشوع والإنكسار أو الصراخ والبكاء وتمثيل الأحوال أمام إخوانه – وليست هكذا أحوال الرجال وإنما أحوال الجهَّال– فيفرح بتقديم السذَّج له لما يرونه منه وينتشى لطلبهم دعائه أو تقبيل يده حتى يصدِّق

٨٢ الأول: البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، والثانى: رواه ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود ﷺ

أنه جاز وفاز، فيتوقف عن السلوك والاجتياز، ويرى أنَّه فوق البقيَّة، وهو عند أهل الحضرة الحقيَّة منافقٌ علامته جليَّة وحالته مخزيَّة، والمصطفى يحذر من تلك المهالك المرديَّة وينبِّه ويقول:

{ مَنْ أَرَى النَّاسَ فَوْقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الخَشْيَةِ فَهُوَ مُنَافِقٌ }، وقال: { الْمُنَافِقُ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ يَبْكِي كَمَا يَشَاءُ }[٨٣]

وبكى سفيان الثوري ﷺ يوماً ثم قال لمن حوله:

(بلغني أن العبد أو الرجل إذا كمل نفاقه ملك عينيه فبكى!).

ولا تعارض هنا مع حديث: { ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا }[٨٤]

لأنه ﷺ أمرهم بالبكاء أوالتباكى عند القرآن ترقيقاً للقلوب وجلباً للخشية، أوعند سماع عذاب النار إظهاراً للخوف من الله القهّار، أو عند المرور بديار الخسف والصعق من الكفار، وأما المنافق فيبكى أمام الناس تصنعاً وخداعاً، ويملك دموعه إرسالاً وامتناعاً!.

فأول جهاد في مراتب السالكين لتصفية القلب أن يجاهد نفسه حتى يتطهَّر من كلّ أوصاف النفاق والمنافقين ويدخل في قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة ١١٩) إذا أعانه مولاه وقوَّاه على التخلص من أخلاق النفاق ليطبع بأخلاق أهل الصدق والوفاق، وكما قال الصادق المصدوق ﷺ ليعرِّفنا صفة المؤمنين الصادقين:

{ كُلُّ خِلةٍ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلا الْخُيَانَةَ وَالْكَذِبَ }[٨٥]

وهاتان الصفتان الذميمتان جمعتا ووعتا كل صفات المنافقين، فكلُّها متفرِّعٌ عنهما، فخلف الوعد وغدر العهد من الكذب، وفُجْرُ الخصومة وأكل الأمانة من الخيانة، فلا بد للمريد الصادق أن يتخلص من هذه الصفات بالكليَّة، ولا يبيح لنفسه استخدامها ولو لمرَّة واحدة إذا أراد أن يرتقى لمقام السالك .... لماذا؟

لأنه لا بد للسالك أن يكون خالياً تماماً من أوصاف النفاق والمنافقين، فلا يكذب ولا يغتاب ولا ينمُّ ولا يخون ولا يخلف وعداً ولا يفجر في خصومه.

وهذه بدايات المؤمنين وليست النهايات!، لكن من أعانه الله عليها واجتازها فهذا

---

٨٣ الأول: رواه ابن النجَّار عن أبي ذرَ ﷺ، والثانى: جامع المسانيد والمراسيل عن عليٍ ﷺ
٨٤ سنن ابن ماجة عن سعد بن أبي وقاص ﷺ
٨٥ (ع) عن سعدٍ رضي اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

دليلٌ على أنه من أهل العنايات، لكن الموحول فيها حتى لو حصَّل العلوم ورزقه الله جودة الفهم في تحصيل العلم وحصَّل علوم العارفين وحِكَم الصالحين إلا أنه كما قالوا في ذلك: (كحمار الرحى يظنُّ أنه قطع مسافات وهو لم يبرح محلَّه)، فهذا يظن أنه من الواصلين ومن العارفين وعندما يقال له: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (ق٢٢) يجد أنه لم يتجاوز موضعه، لماذا؟

لأنه لم يتخلى عن أوصاف المنافقين وصفات الكاذبين التي نهى عنها رب العالمين والتي حذَّر منها النبي المصطفى ﷺ المسلمين أجمعين.

ولذلك كان حتى أكابر الصحابة عندما يسمعون حديثاً من رسول الله ﷺ في صفات المنافقين؛ يسارعون في الحال ويقيسونها على أنفسهم مع علو قدرهم! لا يقولون ليس الكلام لنا! وإنما يبحثون فوراً في باطنهم، ولا ينامون الليل خشية أن تخدعهم نفوسهم، ولذا ورد أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما سمعا وصف المنافقين من رسول الله خرجا من عنده وهما ثقيلان يجرَّان أقدامهما ترتعد أوصالهما لا تكاد تحملهما أقدامهما خوفاً من أن يكونا كما وصف ﷺ؛ فرآهم علي ﷺ فقال لهما:

{ مَالِي أَرَاكُمَا ثَقِيلَيْنِ؟ قَالا: حَدِيثًا سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُول اللَّه ﷺ، قال: مِنْ خِلالِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَفَلا سَأَلْتُمَاهُ؟ فَقَالا: هِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَكِنِّي سَأَسْأَلُهُ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَهُمَا ثَقِيلانِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا قَالا: فَقَالَ: قَدْ حَدَّثْتَهُمَا، وَلَمْ أَضَعْهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضَعُونَهُ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا حَدَّثَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَكْذِبُ، وَإِذَا وَعَدَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَخْلُفُ، وَإِذَا ائْتُمِنَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَخُونُ }[٨٦]

أى يقول ويعرف أنه كاذبٌ، أو يَعدُ وهو يعرف أنه لن يفى، أو يأخذ الأمانة ونيَّته في الخيانة! فانظروا لشدة حرصهم على تطهّرهم من هذه الخصال الذميمة، وخوفهم من أن أحدهم لو قهره مانع فوق طاقته مع حرصه وترتيبه للوفاء أو الأداء فحيل بينه وبين ذلك، فحق لصاحب الحقّ أن يطلب حقه في ميعاده، وصاحب الوعد مسؤول عن وفائه وما يترتب على خلفه، ولا نضغط على صاحب الحق ليتنازل وإن رغَّبناه في الصبر إن أمكن، ولكن الشاهد أنه لا يُكتب في ديوان المنافقين لخلْفِه لأنه لم يبيّت النية أبداً على ذلك.

٨٦ خَرَّجَهُ الْبَزَّارُ عَنْ سَلْمَانَ، و(طب) عنه .

وقد تحدثت كثيراً في هذا الأمر، لكنى أجد كثيراً من إخوانى لا يعير هذا الأمر اهتمامه في طور الجهاد، فيظن أن الجهاد في العبادات والأذكار وقيام الليل، لكن أول الجهاد أن يراعى نفسه ويرعى جوارحه حتى يتطهَّر من كل أوصاف النفاق والمنافقين، فيأخذ خلعة الصادقين، ويكون موقعه: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر) وهذه هى بداية السير والسلوك الصحيح إلى ربِّ العالمين ﷻ.

لكن طالما المرء فيه سِمة أو علامة أو آية أو صفة من أوصاف المنافقين لا يُسمح له بالجلوس أبداً في مقاعد الصدق عند ربِّ العالمين ﷻ، فمهما بجَّلوه ومهما كرَّموه ... كل ذلك ليداروه، لكن الإنسان أبصر بنفسه وأعلم بمصلحته، فمن أراد أن يرتقى في مدارج الكمال ويبلغ منازل أهل الوصال يتجمَّل بشمائل الرجال وأولها التطهَّر من هذه الخصال والخلال التي حذَّر النبي من الاقتراب منها في جميع الأحوال وهى أوصاف المنافقين.

ثانياً: الحرص على القيام بالفرائض:

إذا تطهَّر السالك من أوصاف المنافقين فيكون جهاده بعد ذلك في الحرص على الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله ﷻ، ولا يلتمس لنفسه عذراً:

لأنه لو التمس لنفسه الأعذار فسينغمس من رأسه إلى قدميه في الأوزار.

والمقصود بالأعذار:

الأعذار التي ليست في شريعة الله، فالمريض الذى لا يصلى في المسجد هو من يمنعه الطبيب المؤمن المسلم، لكن آفة السالك أن يلتمس لنفسه الأعذار ويقبلها، وإذا نصحه أحد يتغير من جهته وربما يُعرض عنه وربما يخاصمه لأنه يريد أن يوجهه، ولذلك قال إمامنا أبوالعزائم ﷺ: (كن مع شيخك على نفسك ولا تكن مع نفسك على شيخك) فإياك أن تعاون النفس بأن تلتمس لها الأعذار وتقبلها، فيجب إذاً على السالك أن يحرص على الفرائض حرصاً كاملاً لقوله ﷺ لسيدنا عبد الله بن مسعود عندما سأله:

{ ما أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّه؟ قال: الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا }[٨٧]

ألم يقل الله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء).

---

٨٧ (حم هـ ق د ن) عن ابنِ مَسعُودٍ ﷺ.

ثالثاً: الحرص على أنفاسه وصحته الروحانيَّة

يحرص على أنفاسه، فلا يتنفس نَفَساً في غفلة أو في سهو أو في لهو أو في لعب أو في بعد أو في معصية أو في صدود، لا يتنفس نَفَساً إلا إذا تأكد أنه في كمال الرضا لله جلَّ في علاه.

من الذى يحرس الإنسان؟ الإنسان هو الذى يحرس أنفاسه، لأن أنفاسك نفائسك، وعمرك أنفاسك، والمطلوب عظيم والعمر قصير، وإذا استخدمت أدوات التسويف بعدت بالكليَّة عن مناهج الصالحين، أما السالكون الصادقون فإنهم يسارعون فوراً إلى ما ورد في القلب محاولين ارضاء ربِّ العالمين ﷻ، ولذلك فهم أبخل الناس على وقتهم.

فإذا رأيت سالكاً لا يهتم بوقته فاعلم أن ذلك من مقت واقع عليه من ربِّه، كيف؟ تجده ولا مانع عنده من مشاهدة التلفاز والفضائيات ومتابعة المسلسلات والأفلام والفيديوهات! أليس هذا مقت؟! ما لهذا ولسلوك طريق الصالحين؟! ربما يكون مُحبَّاً للصالحين وهذا حق، لكن الصالحين ليس عندهم وقت يقضونه في هذا! إن وقتهم أغلى من كل شئ نفيس في هذه الحياة الدنيا.

ولذا فلا تعجب إذا قال أحدهم: (لو خيرت بين دخول الجنة وصلاة ركعتين لاخترت صلاة الركعتين على دخول الجنة، قيل: ولِمْ؟ قال: لأن في صلاة الركعتين رضاء ربي وفي دخول الجنة رضاء نفسي ورضاء ربي مقدم على رضاء نفسي) انظر كيف كانوا يقيسون الأمور؟!!

هل هناك وقت عند أحدهم للقيل والقال؟! إنهم حتى في حديثهم في كلام الواحد المتعال أو في حديث الحبيب الأعظم أو سيرة الآل يقتصدون، فكيف يستبيحون وقتهم في اللغو أو اللهو أو في الباطل أو القيل والقال مع تحذيره ﷺ:

{ إِنَّ اللّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثاً: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ }[٨٨]

فالسالك أحرص الناس على أنفاسه، لا ينفق نَفَساً إلا في مرضاة الله ﷻ، وهو أحرص الخلق على صحته الروحانية، فيبخل بنَفَس واحد يصرفه في غفلة أو أمل في الدنيا أو حظ نفسانى، فيعمل في الدنيا لتكون وسيلة الآخرة، ويجالس الناس لينتفع منهم أو ينفعهم نفعاً يدوم أثره: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء) وقال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

---

٨٨ صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ

نَفَسٌ بقلب سـليم رفعةٌ ورضـا   وألـف عـام بلا قلـب كلحظـات
الجسـم بـالقلـب يترقى إلى رُتَـب   والجسم من غيرقلب في الضلالات
فإذا صفا القلب من وهم وشبهاتٍ   يشـاهد الغيب مسـروداً بآيات

رابعاً: محبّة الله ورسوله ومن والاهم

يحرصون بعد ذلك على محبة الحبيب ﷺ وكل من يلوذ بالحبيب وآله وأصحابه والصالحين المقتدين بهديه والمحبين له والعاشقين له، ويحبونهم حبّاً أعلى من حبِّهم لأولادهم وبناتهم لأنهم سمعوا قول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ (٢٣الشورى) والقربى أى ذوى رحمه، أو ذوى قرباه! أى المقربون من حضرته ﷺ، إن كان ذوى قرباه جسمانياً وصادقون في حسن اتباعهم لحضرته، أو ذوى قرباه روحانياً ونورانياً وهؤلاء أعلى في الرتبة والفضل، أو ذوى قرباه روحانياً وجسمانياً وهؤلاء أهل الكمال، ولذا قال ﷺ معلماً الأمة:

{ أَدبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ؛
حُب نَبِيكُمْ وَحُب أَهْلِ بَيْتِهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ }[٨٩]

خامساً: التأليف بين الإخوان

يحرص السالك كذلك في جهاده لنفسه على أن يمشى دائماً وأبداً بلسماً شافياً لجراح إخوانه، فيشفى الصدور من الأحقاد، وينزع من النفوس الغلَّ، ولا يرتاح إذا وجد أخين متخاصمين حتى يصلح بينهما، ولا يسكن في ليله أو نهاره إذا وجد خلافاً بين أخين إلا إذا ألَّف بينهما، لأن رسالة المحبين التأليف بين قلوب المحبين، واسمعوا لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا ﴾ (١٠٣آل عمران) وهذه وظيفة رسول الله وورثته وأحبابه والماشين على نهجه.

والوظيفة المخالفة هي وظيفة إبليس! فهو يسعى للتلبيس بين الإخوان، وللإيقاع بينهم، وإلى إيجاد الشحناء في نفوسهم، وإيجاد البغضاء في صدورهم.

لكن وظيفتنا هى التأليف بين قلوب المؤمنين، والحرص على المودة بين السالكين، فهذه أعظم بضاعة نتقرب بها إلى الله، وهى التي تحتاج إلى الجهاد الأعظم في أطوار السالكين،

٨٩ أَبُو نَصْرٍ عبد الكريم الشيرازي في فَوَائِدِهِ (فر) وابنُ النَّجَّارِ عن عَلِيٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

لأن النفس دائماً تحاول أن تُخرج المرء من طور السلوك بتزيين الغيبة والنميمة والإيقاع بين المؤمنين وتتبع عورات إخوانه الذاكرين والعلماء والمرشدين والمنشدين، فكل من رأيته يتتبع سقطات إخوانه فاعلم أنه ساقطٌ من عين الله ﷻ، وكلما تذكر له أخاً تجده يسارع فيذكر مساوءه وعيوبه، أفلا اتبع:

وستراً لعورات الأحبة كلهم وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق

فمن أراد أن يستره الستور فليمشِ على هذا النور.

سادساً: الخروج من عوائده ومألوفاته مع المداراة:

السالك في طريق الله تعالى يجب أن يخرج من عوائده ومألوفاته التي تدعو إليها الضرورة الإنسانية، ومن الأعمال التي ينوى بها رفع قدره بين الناس بنظره إليهم نظراً يحجبه عن الحق، وبالتزيين بالرياش والزخارف والحرص على شهيّ الطعام والشراب إلا ما دعت إليه الضرورة لحفظ الصحة أو إعادة العافية.

ويجب عليه ترك زيارة أهل الغفلة ممن شربوا خمرة الدنيا والحظ والهوى فأسكرتهم، وكذا الجدل والحديث فيما لا يعنيه ولا يفيده، وأن يترك مماراة الناس وموالاة غير الأتقياء، وفي ذلك كله يدارى الناس ما استطاع حتى لا يفتح على نفسه أو إخوانه أبواب شرور الخلق وعداواتهم وجدلهم وجدالهم وتنطعهم! فيضيع وقته وصحته الروحانية؛ فعليه أن يكون عاملاً بالحديث الشريف:

{ رَأسُ العَقْلِ بَعْدَ الإيمانِ بالله مُدارَاةُ النَّاسِ، وأهْلُ المَعْرُوف في الدَّنْيا أهْلُ المَعْرُوفِ في الآخِرَةِ، وأهْلُ المُنْكَرِ في الدُّنْيا أهْلُ المُنْكَرِ في الآخِرَةِ}[٩٠]

ويجب على المريد السالك أن يفرق بين مدارة الناس ومداهنتهم التي ذممناها لأنها تورد المهالك، وبين المداراة المحمودة.

كما قال الإمام الطبري رضي الله عنه: (المداراة المحمودة هي التي يثاب عليها العاقل، ويحمد بها عند الله ﷻ، بأن يداري جميع الناس الذين لا بدَّ له منهم ومن عشرتهم، ولا يبالي ما نقص من دنياه، وما أُوذي من عرضه بعد أن سلم له دينه، أما المداهنة الممنوعة فهو الذي لا يبالي نقص أو ذهاب دينه وانتهاك عرضه ما دامت قد سلمت له دنياه! فهو مغرورٌ،

٩٠ (ابن أبي الدنيا في قضاءِ الحوائج) عن ابن المسيب مرسلاً، الفتح الكبير ومجمع المسانيد والمراسيل.

وإذا نصحه العاقل قائلاً له أنَّ فعله هذا مداهنةٌ وتملُّقٌ يقدحان في دينه! قال: إنما أنا أداري الناس! فيزلُّ ويسمّى المداهنة المحرَّمة بالمداراة، وهذا غلطٌ فادحٌ، إنما المداري العاقل هو من يعاشر بالمعروف من لا بدَّ من عشرته حتى يجعل الله له منه فرجاً ومخرجاً).

سابعاً: الحرص على سلامة ورعاية نفسه

السالك في طريق الله تعالى أشد الناس رعاية لنفسه، وأسرعهم طلباً للشفاء، ولا يطلب الشفاء على يد نفسه فيهلك! ولا على يد من لا يُحْسِن فيردي! ولذا فإنَّ رسول الله ﷺ قال منبِّها ومحذِّراً حتى لا يسلِّم أحدٌ نفسه إلا لخبير حاذق:

{ مَنْ تَطَبَّبَ وَلاَ يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ }[٩١]

وضامن يعني مسؤول، فهو لا يطلب الشفاء إلا على يد الطبيب الخبير لا على يد نفسه؛ لأنه إن أضرَّها فهو مسؤول أمام الله عن ذلك، وهذا يوجب طلب طبيب النفس العالم برعوناتها وطرق تطبيبها وإصلاحها والذهاب إليه والتطبّب لديه، أما السالك الذى ينسى مصلحة نفسه ويصرف أنفاسه فيما لا يفيد فقد جرد من معانيه ورجع إلى الحظ والهونز

فابدأ بنفسك أيها السالك وأدم رعايتها على يد الطبيب الخبير العالم بما يصلحها فإنها أعدى أعدائك وإن غفلت عنها أهلكتك، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ (الشمس)

وهو يأخذ في طريق سلوكه إلى الله تعالى بالعزيمة ما استطاع، فإن الرخصة عند مقتضاها تكون عزيمة كالتيمم وقصر صلاة المسافر، وغيرها، وهو وإخوانه في رعايتهم لأنفسهم ولبعضهم البعض وحرصهم على أحدهم وكلهم هم أشبه الناس بالسلف الصالح، وأساس تعاملاتهم مع بعضهم هى قوله ﷺ:

{ الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعَفِهِمْ وَمُسْرِعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ }[٩٢]

فمن رأى نفسه أولى من أخيه بفضيلة أو مزية أوبخصوصية وجب عليه التوبة وسد

---

٩١ سنن أبى داوود عن عمرو بن شعيب.
٩٢ سنن أبى داوود عن عمرو بن شعيب.

منفذ الغرور، والاعتذار لإخوانه قولاً وفعلاً، فيرى نفسه أنه ليس أهلاً لمكانته، وينزل إلى خدمة الزاوية، أو يترك التكلم عليهم والتقدم والقيام بما خُصِّص له من افتتاح الذكر أوالدرس أو المبايعة حتى يقيمه إخوانه برضاء منهم وصفاء.

ثامناً: القيام بواجب الوقت مع حفظ المرتبة

السالك في طريق الله بين قيام بفريضة مفترضة، أو حضور مع الله بالمراقبة، أو تحصيل علم ممن هو أعلى منه بالمصاحبة، أو عمل صالح يتقرَّب به إلى الله تعالى، أو عمل لتحصيل قوته الضرورى وقوت من أوجب الله عليه نفقتهم، أو غذاءاً وراحة لجسمه أو نفسه من أكل أو شرب أو نوم أو رياضة أو طبٍّ، وكلُّ عمل غير هذا فهو وبالٌ على السالك ويتلف وقته أو نفسه ويورده المهالك.

وبعض السالكين لجهلهم أصول السلوك – التي شرحنا أهمَّها – قد يكثرون الذكر بألسنتهم أو الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن بأبدانهم، ويظنون أنهم بلغوا درجة القرب، ويتساهلون في وجه الكسب والقوت والمعاملات، فلا يدققون فيصير أغلب قوتهم من الشبهات! وليس هكذا السالكين والسالكات!! ثمَّ يغرُّهم بالله الغرور فيأكلون الحرام، وربما قالوا: نحن لا نعلم! ثمَّ يتأكدون ولا يبالون! ويستحلُّون صريح الحرام، وما حرَّم الله ورسوله من السحت والآثام!.

وفوق ذلك كله يظنُّون أنهم على خير للعبادات التي يقدِّمونها، ولا يتفكرون فيما تعدُّوا من حدود الشرع، وما جهلوا من آداب السلوك ومخاوف السالكين وملاحظات المجاهدين، ولا يهتزُّ لهم جفنٌ كأنهم ضامنون على ربِّ العالمين!.

فأول واجب وقت عام لجميع أهل الإسلام، ونؤكد هنا الكلام للمبتدئين والسالكين والأعلام، ومن رغبوا أن يكونوا للنيّة الصالحة مُجْمِعين، وبجهاد النفس لتصفيَّة القلب عاملي،! هو أمرٌ لا تصحُّ بدونه بداية، ولا تحْسُنُ مع فقده نهاية، هو الرزق الحلال، وإطعام النفس والآل من طريق مشروع أباحه ذو الجلال.

فإن حفظوا من الوقوع في الإثم العظيم العام الذى شرحناه من أكل الحرام مع العلم، وعدم الاعتبار أو الاهتمام اتكالاً على العبادات البدنية والكلام! فربما وقع الكثيرون من محبى الصالحين ممن لم يدركوا واجبات الوقت والأيام في إثم ترك السعى والعمل اعتماداً ظنيًّا على الرزَّاق والخيال والأمل.

وربما كانت أعمالهم التي يعملون ودعواهم التي يدَّعون يستندون فيها إلى بعض الأفراد الذين أشهدهم الله عليَّ جماله فغابوا عن أنفسهم وعن الكونين، وفَرُّوا إلى الله وتركوا العمل للدنيا، وهؤلاء ليسوا أئمة للمتقين ولا قدوة للسالكين لأنهم في مقامات محبة الله مقامين، عن أنفسهم مأخوذين، ومتى أحبَّ الله العبد لا يضرُّه ذنب، خصوصاً وأن ما يُجريه الله على أيديهم لم يكن لحظ ولا لقصد ولا لكسب منهم.

فإذا تركوا العمل للدنيا، أو هجروا الخلق أو اختفوا عن الناس في خلواتهم، أو تفضَّحوا ليسقطوا من قلوب الخلق، ولكن لأن ذلك كله لم يكن لحظ خفي في نفوسهم، بل لصولة الحق عليهم ولِما واجههم به سبحانه، فصاروا عن أنفسهم مأخوذين، وبيد الله مشدودين، وله وبه مواجهين، رفع الله ذكرهم وأعلى شأنهم، فهم لأنفسهم لا لغيرهم.

وأعمالهم هذه عملةٌ للصالحين قد اختفت وبادت، لا تسرى في أيامنا هذه بعد أن سيطرت زماناً وسادت، ولكنها لا تصلح للسلوك في عصرنا ولا تناسب عصر العلم والتكنولوجيا التي قادت و أجادت.

فهؤلاء أفرادٌ، ولكن لا يؤتم بهم، ولا يُسَارُ على دربهم في هذه الأحوال الخاصة بهم، وليسوا قدوةً في السلوك لغيرهم، فاحذروا يا أولى الألباب لواجب الوقت مع دقة الفهم؛ تُحفظوا من البعد والمقت.

ومن أوجب الواجبات على أهل السلوك:

أن يحفظوا مقامهم الذى أقامهم فيه مولاهم، فلا يتجاوزون مراتبهم أبداً، ولا يتعدون الحدود بتقليد أكابر الصوفية والجدود في أحوال البسط والأنس أو الصدود، أو بتقليد الشيخ بعد الوصول في المجلس والمظهر والفعل ويتركون الأصول، ولو صدقوا النيَّة لقلدوهم في تصفية القلوب بالعزم والجهاد والسلوك، وقهر النفس حتى صاروا ملوك.

وأعطيكم لذلك مثالاً واضحاً ونموذجاً ساقه الله لنا بيِّناً:

لعلك تعلم أن الله تعالى أمر كليمه سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالسياحة إلى العبد الصالح الذى أتاه الله من لدنه علماً، ولكن انتبه إلى دقائق الفهم واعتبر، مع أنَّ سيدنا موسى عليه السلام مأمورٌ من الله بصحبته وهو النبي القائم في الأرض لله بشريعته، ومشترطٌ عليه من العبد عدم ابتداره إياه بالسؤال أو المراجعة وهذا شرط الصحبة والمتابعة.

إلا أنه لمَّا وجد مخالفة للشرع بيِّنة فقد أنكر علي سيدنا الخضر تصرفه مرة بعد الأخرى – وهو رسول الله المعصوم –حفظاً لمقام الرسالة المنوطة به، والمقام من الله في الأرض بحفظها ورعايتها.

فإذا كان كليم الله المعصوم والمأمور من الله تعالى بصحبة العبد العارف حفظ مقامه مع هذا العبد وأنكر عليه ما لم تستبن له حكمته، فأنت أيها السالك المسكين أحق بأن تحفظ مقامك في السلوك، فإن السالك إذا تعدى قدره وتشبَّه بأهل المحبة المقرَّبين تاه في بيداء الهلاك وشطح شطح الضالين.

والطريق وعر !!

وكيف ينجو من هو في أول مرحلة؟!

بينه وبين مقاصده مفازات وصحارى ومخاوف، فسمع أخبار من وصلوا إلى مقصدهم وأحوالهم فجهل نفسه وجهل مرحلته التي هو فيها!! جهل المراحل الشاسعة وظن لجهله أنه في مقام الوصل، ثم نسى ظنه وادعى أنه واصل!.

تنبه أيها السالك .. !!!

وجاهد نفسك في ترك المعاصي والمهالك!!!

حتى تطهر وتضرَّع بترك بعض المباحات، حتى تتحصن بحصون الخوف من الوقوع في المحرم والشبهات !!!

وتأدَّب في كل مرحلة بأدبها !!!

فإن من ساء أدبه على الأعتاب يرد إلى الأبواب لأن نفسه بهيمية شهوانية تنقصها الآداب، حفظنا الله من سوء الأدب في المراحل من التشبه بالمرشد الكامل في أحواله الخاصة، ورزقنا التشبَّه به في أعماله وأخلاقه التي تنجى السالكين والواصلين والمتمكنين.

نسأل الله ﷻ.... أن يشرح صدورنا، وأن ييسر أمورنا، وأن يهدينا سُبلنا، وأن يوفقنا إلى نيل قصودنا، وأن يبلغنا أقصى آمالنا، وأن يُحققنا برتبة الولاية في معية حبيبنا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رقة القلب[٩٣]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أعاننا على الصيام والقيام، وأسأله ﷻ أن يوفقنا لذكره وشكره وطاعته على الدوام، والصلاة والسلام على إمام كل إمام، والشفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام؛ سيدنا محمد وآله الكرام وصحابته العظام، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يارب العالمين

ما الذي يجعل القلب يكتسب الرقة ويكون قلباً رقيقاً؟

القلوب الرقيقة هي القلوب القريبة من الله ..

المحببة إلى سيدنا رسول الله ..

المملوءة بالشفقة والرحمة والعطف والحنان على جميع خلق الله.

وكي يصير قلب الإنسان رقيقاً فإن له علامات على هذه الرقة، وعلامة رقة القلب أن صاحبه دائماً تفيض عيناه بالدمع عند تلاوة آيات كتاب الله، أو عند سماع موعظة حسنة، أو عند موقف يتأثر به يكون له فيه عبرة، فتراه تتدفق من عينيه الدموع ولا يستطيع ايقافها، وهذا دليل على رقة صاحب هذا القلب لأن قلبه أصبح قريباً من القريب ﷻ.

شروط رقة القلب

لكي يصل الإنسان لهذه الحالة فهناك عدة شروط:

الشرط الأول: المطعم الحلال:

فإن المطعم الحلال يجعل أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة كلها تستجيب لله، وكلها تستجيب لأوامر ونواهي سيدنا رسول الله ﷺ، ويجعل أهلها كلهم لينة أعضاؤهم وأجسادهم في طاعة الله، ويلينون في أيدي إخوانهم في الله، ولذلك قال ﷺ:

{ لِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ }[٩٤]

فلا يكون متصلب الرأي، عنيد الطبع، عنده غلظة في التعامل مع غيره، فإن ذلك علامة فقدان الرقة لله ﷻ في قلبه.

---

٩٣ الجميزة – السنطة –الغربية ٦ من رمضان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٤/٧م
٩٤ سنن أبي داود والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

والمطعم الحلال يقول فيه سيدنا عبد الله عباس ﷺ فيما معناه: (اللقمة الحلال إذا نزلت إلى البطن تجعل الأعضاء تستجيب لطاعة الله، وتتعاصى عن كل شيء يُغضب الله).

فأول أمر في هذا الباب هو قوله ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ؛ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }[٩٥]

فيكف يكون رقيق القلب أو من المقربين؟! لا يكون ذلك أبداً، ولذلك كلما نظرت إلى إنسان ليس عنده شفقة أو رحمة أو حنانٌ بخلق الله، فاعلم أن هذا هو الذي يقول فيه رسولنا الكريم ﷺ: **{ لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِن شَقِيٍّ }**[٩٦]

وإذا رأيت إنساناً رحيماً بمن حوله شفوقاً عطوفاً على الصغار، يمتلئ حناناً وتكريماً للكبار، فذلك يقول فيه ﷺ: **{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ }**[٩٧]

فهو موضع تنزل رحمة الله في قلبه، ويظهر أثر ذلك فيمن حوله من خلق الله ﷻ.

الشرط الثاني: قراءة القرآن بالتدبر:

فإن الله نعى على قوم فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٢الزمر)

والويل هنا معناه البعد، ومعناه الهلاك، ومعناه كما قيل: واد في جهنم تستجير منه جهنم، ولكن معناه الذي نحتاجه الآن هو الصدود عن طاعة الله، والإعراض عن سماع وتلاوة كتاب الله، والضيق عندما يتحرك لسانه أو يسمع حوله ذكرٌ لمولاه، وذلك نراه في القاسية قلوبهم الذين قد يعيشون بيننا أو حولنا، نسأل الله أن يحفظنا من هذا الحال أجمعين، ويجعلنا من الذين يقول فيهم:

﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٣الزمر).

فتلاوة القرآن بالتدبر هي باعثٌ حثيث على رقة القلب والفؤاد، ولذلك كان ﷺ وهو يجهز أصحابه للتلاوة السديدة الرشيدة يقول لهم:

{ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا }[٩٨]

---

٩٥ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٩٦ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
٩٧ جامع الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٩٨ سنن ابن ماجة عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

يعني إذا لم يكن البكاء سجيةٌ وطبيعةٌ للمرء لرقة القلب، فليتصنع البكاء، وذلك عندما يكون يقرأ بمفرده، أما الذي يتصنع البكاء عندما يكون إماماً يُصلي بالناس فهذا لا يجوز، ولا يصل إلى قلوب الحاضرين أو السامعين أو المصلين خلفه، لأن ما كان من القلب وصل إلى القلب.

وكان ﷺ وأصحابه الكرام ديدنهم في تلاوة القرآن أن تسِح الدموع من عيونهم عند تلاوته، وخاصة عند الآيات التي فيها ذكر النار، أو الآيات التي فيها ذكر أهوال يوم القيامة، أو الآيات التي فيها ذكر الموت.

ولذلك نعجب عندما نسمع قارئاً يقرأ في محفل ويقرأ آيات تتحدث عن القيامة أو عن جهنم، والجمهور يقول (الله) فهذا دليلٌ على أن هؤلاء هم الذين يعنيهم الإمام علي عندما يقول ﷺ وكرم الله وجهه: (الناس ثلاثة: عالمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل النجاة، وهمجٌ رعاعٌ أتباع كل ناعق).

هم همج رعاع، لأنه لا يميز ما يسمعه، وكأنه لا يعي الكلام، ولا يتدبر في معنى هذا الكلام، لأنه إذا تدبر الكلام يقول مثلاً: يا حفيظ يا سلام كما يقول القوم المتدبرون عندما يستمعون إلى آيات النار أو آيات القيامة يقول: يا حفيظ احفظنا، يا سلام سلمنا، ويسأل الله الحفظ والسلامة مما سمعه في كتاب الله ﷻ.

وكان الرسول ﷺ يُعلِّم أصحابه أن يعملوا في القرآن بما أمر الرحمن، فإن الله قال عن القرآن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر) لم يقُل: للتلاوة، ولكن (للذكر) والذكر يعني التذكر والتفكر والتدبر: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر) لم يقُل هل من تالٍ.

والذين يعُدُّون ختمات في رمضان، هل يعدون نعم الله عليهم في كل طرفة عين؟!!، فإذا كان الله لا يعُد علينا نعمه، فكيف نعد التلاوة التي نتلوها لحضرته؟ ولكن كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (لأن تقرأ إذا زُلزلت الأرض زلزالها بتدبر، خيرٌ لك من أن تقرأ القرآن كله هزرمة) وهزرمة يعني يقرأ بسرعة وبدون فهم، فيجد نفسه أنهى جزأين من القرآن وهو غير منتبه أنه في أول الجزء أو في نصف الجزء أو في آخر الجزء، فهذه تلاوة يضحك بها على نفسه، ويوهم نفسه أنه يقرأ كتاب الله.

ولكن: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (الإسراء) يعني يقرأه بتأني وبتدبر طوال العام وليس في شهر رمضان فقط، فإن هذه التلاوة هي التي يحبها الرحمن ﷻ.

وأعلى هذه التلاوات هي قوله ﷻ في القرآن: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ (٣العلق) والواو هنا واو المعية، يعني اقرأ مع ربك، وتذكَّر عندما تقرأ القرآن أنك تقرأ مع الله، كما ورد بالأثر: ((من أراد أن يناجي الله بغير ترجمان فليقرأ القرآن)) ... أنت تناجي الله بكلامه، وتستمع إليه وهو يتلو كلامه، لأنه كلام الله ﷻ، والذي يأمر والذي ينهى والذي يُوصي في الآيات هو الله ﷻ، هو الذي يتلو عليك القرآن.

فقراءة القرآن بالتدبر والتمعن هي عاملٌ قويٌ جداً لحدوث رقة القلب، ولذلك نجد التالين للقرآن دائماً وأبداً داخلين في قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ (٦٠المؤمنون) دائماً في قلوبهم وجلٌ من الله، وخوفٌ من الله، ومراقبةٌ دائمةٌ لحضرة الله لأنهم يعيشون مع الله على الدوام في تلاوة كتاب الله ﷻ.

الشرط الثالث: مجالسة الصالحين:

مجالسة الصالحين، وسماع العلوم الوهبية من العارفين ترقق القلب، فإن مجالسة العارفين يقول فيها ﷺ:

{ أَحِبُّوا الْفُقَرَاءَ وَجَالِسُوهُمْ }[٩٩]

ويعني هنا الفقراء إلى الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (١٥فاطر) لأنهم يشعرون في كل أنفاسهم بأنهم لا يستطيعون حركة ولا سكنة ولا فتح اللسان بكلمة ولا عمل أي شيء إلا بتوفيق الله ومعونة الله وحول الله، ودائماً يفتقرون إلى الله ليمدهم بمدده ويوفقهم في العمل الذي يحبه ويرضاه.

وكما ورد ببعض الأثر:

((جالسوا الفقراء، فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفة عين))

تتنزل عليهم الرحمات من الله على الدوام، وتتنزل عليهم السكينة، وتحفهم الملائكة بأجنحتها في كل مجالسهم، لأن مجالسهم إما مجالس ذكر، أو تذكير، أو مجالس قرآن، أو مجالس في سيرة النبي العدنان، أو في سير الأنبياء والمرسلين، أو حكاياتٌ عن الصالحين، وكل هذه المجالس تحفها الملائكة بأجنحتها من الأرض إلى السماء، وتتنزل عليهم الرحمة، وتغشاهم السكينة، ويذكرهم الله تعالى فيمن عنده.

---

٩٩ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

ولذلك مجالسة الصالحين أساس قوي في رقة القلب لأي سالك في طريق رب العالمين ﷻ، والمجالسة تقتضي المؤانسة لأن الكثير يظن أنه يستطيع أن يُحصِّل ذلك من الكتب التي تتحدث عن الصالحين، أو من السماع ولو عن طريق وسائل التواصل الإجتماعي كما نرى، ولكن الإمام أبو العزائم ﷺ يقول: (نَفَسٌ مع العارف حياةٌ للقلب، ونَفَسٌ في حياة القلب خيرٌ من حياة الفردوس)، لأن القلب لا يحييه إلا مواجهته لحيٍّ، فالرجل الذي أحيا الله قلبه هو الذي يحيي قلوب من حوله بمجرد مجالستهم له، فالمجالسة تقتضي المجانسة، والمجانسة تقتضي المؤانسة.

عدة السالكين

أما الأمور التي يستعين بها من يريد رقة القلب فهي الأمور التي اتفق عليها الصالحون أجمعون، وهي:

- الإقلال من الكلام.
- والإقلال من الطعام.
- والإقلال من المنـــام.
- وذكر الله ﷻ على الدوام.

وهذه عُدة لا بد منها لأي سالك في طريق الله.

الإقلال من الكلام

والإقلال من الكلام يعني لا يتكلم إلا لضرورة مع الخلق، وإذا لم يُضطر إلى الكلام فالصمت خيرٌ من الكلام، كما قال ﷺ ((الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ))(أخرجه العسكرى عن أبى الدرداء)، وقال سيدنا أبو بكر ﷺ: ((كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)).

وكان ﷺ يضع تحت لسانه حصاة، فسُئل عن ذلك، فقال: (هذا الذي أوريني الموارد) يعني يجعلها كفرامل، فلا يتكلم اللسان إلا إذا اضُطر إلى هذا الكلام، وقبل أن يخرج الكلام من فيه يتمعن فيه ويتدبر فيه قبل خروجه، فإن الكلمة إذا لم تخرج منك ملكتها، وإذا خرجت منك ملكتك، إذا قلت كلمة لإنسان مؤذية تندم عليها، وتحاول أن تعتذر وربما لا يقبل العذر، وتسوق إليه من هنا وهناك حتى يقبل العُذر، ما الذي دعاك إلى هذا؟!!، فالرجل الحكيم لا يتكلم إلا إذا وُجد هناك ضرورة لهذا الكلام.

سيدنا لقمان الحكيم سُمي حكيماً لأنه كان لا يتكلم إلا لضرورة، سأله رجلٌ أن يذبح شاة، ثم قال له: ما أحسن ما فيها؟ فأشار إلى اللسان وإلى الفرج، ثم قال له: وما أسوأ ما فيها؟ أشار أيضاً إلى اللسان وإلى الفرج، إن إستعملهما فيما يُرضي الله نال رضاه، وإن تركهما هملاً وترك النفس تفعل ما تشاء كان همجاً رعاعاً من الذين لا يقيمون للحق ﷻ شرعاً، ولا يهتم بحكمه ولا أحكامه ولا نواهيه ولا أوامره ﷻ.

ذهب سيدنا لقمان إلى سيدنا داود، وكان سيدنا داود في هذا الوقت قد ألهمه الله صناعة الدروع، ومن أجلها ألان الله ﷻ له الحديد: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ) فكان الحديد في يده كالعجينة يُصنعها كيف يشاء، فذهب إليه لقمان وهو يصنع الدروع، فقال: قالت لي نفسي: سله ماذا يصنع؟ قال: فقلت لها: ولِمَ أسأله؟! إن كان شيئاً لا بد لي من معرفته فسيُخبرني به بغير سؤال، فإذا به يقول لي: هذه درعٌ نلبسها في الحرب حتى تقينا من ضربات السيوف والرماح والسهام.

فجاءت الإجابة بغير سؤال، وهكذا معاملة الصالحين في الكلام في حياتهم الدنيا، يتدبر الكلام ومعانيه في باطنه وفي عقله وفي فؤاده قبل أن ينطق به، فإن كان ما ينطق به سيكون في صحيفة حسنته تكلم به وأمضاه، وإن وجد أنه سيسبب له أذى في نفسه في الدنيا، أو يُكتب في صحيفة سيئاته في الآخرة، نهى نفسه عنه والتزم الصمت، والصمت هو الحكمة، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ }[100]

يُلَقَّنُ أو يُلَقِّنُ الحكمة، يعني يأخذ الحكمة إذا مشى على منهج الصمت، ونأخذها أيضاً من الرجل الصامت الذي لا يتكلم إلا نذراً، أما الذي يتكلم كثيراً قال عنه الخبير الرباني ﷺ:

{ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ }[101]

والثرثار الذي يتكلم بصفة دائمة، والمتشدق الذي يُخرج الكلام من أشداقه ويتظاهر بالفصاحة، فيكره ﷺ ويبغض الثرثارون الذين يتحدثون بغير توقف، وفي أي أمر، كما نرى

---

١٠٠ الرسالة القشيرية وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير ﷺ

١٠١ جامع الترمذي والبيهقي عن جابر ﷺ

كثيراً من أهل العصر، يريدون الكلام في أي موضوع ولو كان ليس له شأنٌ به، ولا من تخصصه ولا سبق له معرفةٌ به، لكن يريد أن يُري الخلق حوله أنه عارفٌ بكل شيء.

الإقلال من الطعام

وكذلك الإقلال من الطعام وهو أن لا يأكل إلا إذا جاع، وإذا أكل لا يشبع، ويعمل بالحكمة النبوية:

{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ }[١٠٢]

إذاً ما المقدار الذي أضعه في المعدة من الطعام؟ كما أمر الحبيب المصطفى، لا يزيد عن الثُلث، بالله عليكم من حافظ على ذلك هل يُصاب بمرض؟ أبداً.

والمفروض في شهر الصيام أن المستشفيات والعيادات تُغلق، لكن أكثر شُغل الأطباء في المستشفيات والعيادات في شهر رمضان، لماذا؟ لأن الإنسان طوال اليوم يكون صائماً، وعند الفطور لا يستطيع أن يكُفَّ نفسه عن الطعام، ولذلك نجد كثيراً من الناس في صلاة التراويح يقاوم النوم، ولا يستطيع الصلاة من كثير الطعام الذي فيه، والدم كله متحول إلى المعدة للهضم، فالدم الواصل إلى المخ قليل فيكون الإنتباه غير موجود، ويريد أن ينام.

وكثيرٌ منهم عندما يرى حاله كذلك يقول أنام بعد الفطور وعندما أستيقظ أُصلي العشاء والتراويح، وهذا مخالفٌ تماماً لسُنَّة نبي الإسلام ﷺ.

الإقلال من المنام

الأمر الثالث المساعد هو الإقلال من المنام، فالمؤمن لا ينام إلا إذا غلبه النوم، لكن لا يتصنع النوم ويقول: حدث لي أرق، ومكثتُ ساعتين أو أكثر ولا أجد النوم، فيبحث عن الحبوب المنومة أو ما شابه، فليست هذه من عادات المسلمين.

إذا كنت في يقظة فإن الله يريدك أن تجالسه، إن لم تستطع أن تقف بين يديه مصلياً، فكن له ذاكراً، فقد قال ﷻ في حديثه القدسي:

{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي }[١٠٣]

---

١٠٢ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ
١٠٣ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن أبي مروان الأسلمي ﷺ

ماذا عليك لو أخذت في ذكر الله أو الاستغفار أو الصلاة على رسول الله وأنت نائم؟! مع إني على يقين لو أنك فعلت ذلك فإن النوم سيأتي فوراً، لأن الشيطان لن يتركك تذكر الرحمن، وسيُحسب لك هذا النوم ذكر لله ﷻ لقوله ﷺ:

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْبِيحٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ يُبْعَثُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٠٤]

وقيل: (من نام على ذكر الله كُتب طوال نومه هذا قائماً ذاكرا، فإذا استيقظ قيل له: ادعو فإن لك دعوة لا ترد) فيكون نائماً ومكتوباً عند الله قائماً ذاكراً لله ﷻ.

ذكر الله على الدوام

الأمر الأخير:

المداومة على ذكر الله ...

وهل هناك عُذرٌ بعد قول الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١ آل عمران)

ليس هناك عُذر لمؤمن في ترك ذكر الله بعد ذلك

والذكر لا يحتاج إلى وضوء ولا حتى إلى طهارة، يعني حتى لو كنت على جنابة تستطيع أن تذكر الله، ولا يحتاج إلى اتجاه لقبلة ولا حالة خاصة، ولكن قياماً وقعوداً وحتى وأنت نائم.

فالذاكرون الله كثيرا والذاكرات هم في أعظم المقامات، يصلون إلى ذلك بالإكثار من ذكر الله، وقد قال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[١٠٥]

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الفاكرين الحاضرين مع حضرته في كل وقت وحين، وأن لا يشغلنا بالدنيا عن عبادته وطاعته أجمعين، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠٤ الثاني من الفوائد المنتقاه لأبي القاسم الأزجي عن الحكم بن عمير ﷺ
١٠٥ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

أقفال القلب[١٠٦]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، والصلاة والسلام على معدن العرفان، وسر أسرار القرآن، سيدنا محمد النبي العدنان وآله وصحبه وكل من تبعهم على هذا الهدى والعيان، واجعلنا منهم ومعهم بفضلك وكرمك يا حنان يا منان.

إن الله ﷻ نعى على من لا يتدبرون القرآن فقال ﷻ:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد) فالذي يمنع من التدبر والتمعن في آيات القرآن هي الأقفال التي على القلوب.

ما هذه الأقفال التي على القلوب؟ قرَّب النبي ﷺ الأمر لمن يحبه الله، ويريد أن يجعله من أهل قربه ورضاه، ويمتعه بما في القرآن من أسرار وانوار لحضرة الله، فقال ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ الله بَعَبدٍ خَيرًا فَتَحَ لَهُ قُفلَ قَلبِه }[١٠٧]

الذي يحبه الله يفتح له قُفل القلب، نظر الناس في هذه المعاني بالعقل الذي حيَّزه الله ﷻ في دائرة المباني مع أنها معاني قرآنية، واختلفوا في الأقفال وما طريقة فتحها؟

مع أن الأمر واضح وضوع العيان لأهل العرفان، فقد قالوا: إن الإنسان له ظاهرٌ وباطن، الظاهر هو ما في عالم الملك وهو هذا الجسم، والباطن هو حقيقة الإنسان المعنوية النورانية التي بها الإنسان إنسان.

لكل من الظاهر والباطن حواس، فالجسم له حواسٌ ظاهرة، عينٌ يرى بها الإنسان المناظر، وأذنٌ يسمع بها الإنسان الكلام، ولسانٌ يتكلم به مع الأنام، ويدٌ يعطي بها، ورجلٌ يمشي عليها، وبطنٌ هي محلٌ لوضع الطعام الذي يغذي كل ما في الجسم من كائنات خلقها الملك العلام، وفرجٌ يحفظ التناسل ليظل الإنسان ممتداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذا فتح الإنسان عينه على ما حرَّم الله، ونظر إلى الصور المهينة التي نهى الله ﷻ عن النظر إليها، ونظر إلى الخبائث، ونظر إلى الأشياء التي ينأى الإنسان السوي عن النظر إليها، نقلت العين هذه الصور إلى القلب، فيُحجب القلب عن النظر بعين يقينية في آيات كتاب الله ﷻ.

---

١٠٦ الجميزة – السنطة –الغربية ١٣ من رمضان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٤/١٤م
١٠٧ الجامع الصغير للسيوطي عن أبي ذر ﷺ

وكذلك الإنسان لو أصغى بأُذنيه إلى ما حرَّم الرحمن من حديث عن الغيبة أو النميمة أو السب أو الشتم أو اللعن، أو أي حديث فيه زورٌ أو فجور، فإن الأذن تكون أذنٌ لاغية لأنها تسمع اللغو، أو أذنٌ ساهية لأنها لا تتنعَّم ولا تتلذَّذ بحلاوة ذكر الله وتلاوة كتاب الله، ولا تكون أبداً أذنٌ واعية، وهي الأذن التي مدحها الله وقال فيها: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (١٢الحاقة).

واللسان الذي ينطق بما يبغضه حضرة الرحمن، بالله عليكم كيف يقرأ الإنسان به كلام الرحمن ولم يطهره من اللغو ومن الرفث ومن المعاصي وكل ما نهى عنه الله ﷻ؟! مع قوله ﷻ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق).

فهذا اللسان يقرأ القرآن بظاهره، ولكن يفقد التمعن فيه بباطنه، لأنه لايتلو إلا ما يراه، ولا ينظر بالعين التي تفضَّل بها عليه الله وهي من نور الله.

وكذلك اليد وكذلك الرجل وكذلك الفرج وكذلك البطن، هذه هي الأقفال إذا استُعملت فيما يغضب الله، وفيما نهى عنه الله، وما منع من العمل به سيدنا رسول الله ﷺ.

الحواس الملكوتية

فإذا استمع الإنسان إلى إرشادات الله في استعمال هذه الأدوات، وقال مخاطباً نفسه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور) وغضَّ بصره عن النظر إلى الحرام وإلى جميع الآثام، فوراً حواسه الملكوتية التي في صورته النورانية المعنوية تنتبه، فيرى ما لا يراه الإنسان في الأكوان بعين هي عين القلب.

ولذلك يقول الله ﷻ ناعياً على أصحاب الأقفال إن كانوا من المنافقين أو الكافرين وليسوا من المؤمنين: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ (١٧٩الأعراف).

هل هم لا ينظرون بهذه العيون؟

كلا، ولكن لا ينظرون بعيون البصيرة النورانية، وبعيون الكشف الإلهية.

هل هم لا يسمعون بهذه الأذن؟ يسمعون كلام الإنس الذين حولهم بكل اللغات وبكل الألسن، ولكن لا يسمعون بآذان القلوب وهي الآذان الواعية، فلا يسمعون تسبيح الكائنات: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

ولا يسمعون كلام الملائكة، والملائكة تتنزل دائماً للمؤمنين كما قال رب العالمين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فصلت)

استقاموا على المنهج الذي وضعه الله ﷻ لهذه الجوارح لكي تحصل على المنى.

حوار طويل تحت هذه الآية القرآنية لم يبينه الله، وإنما تبينه الملائكة خصوصية لكل من يحادثونه في هذه الآنات وفي هذه الأوقات المباركات، ولذلك يقول بعض الصالحين:

قلوب العارفين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحةٍ تطير بغير ريشٍ إلى ملكوت رب العالمين

ويشير الله ﷻ في القرآن إلى ما تراه وتنظر إليه هذه العيون، فيقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) هو ليس بمفرده، ولكن كل من وصل إلى مقام الإيقان يرى عين العيان بالروح والقلب والجنان الغيوب التي أخفاها الله عن عيون الحسّ المنشغلة بالأكوان.

وهذا ما يراه أهل الصفاء والنقاء في بداية سيرهم وسلوكهم إذا صدقوا مع ربهم، فإنهم إذا التزموا بهذا المنهاج:

- وغضوا العين عن النظر إلى ما حرَّم الله.
- وأغلقوا الأذن أمام أي حديث يغضب الله، ولم يجلسوا وقاموا وكانوا كما قال الله ﷻ: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).
- ولم يحركوا اللسان إلا بقول الله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٢٤الحج).
- ولم يحركوا اليد أو الرجل أو أي جارحة من الجوارح إلا كما وضَّح القرآن وكما كان عليه النبي العدنان.

إذا صار الإنسان على هذا المنوال فترة من الزمان حددها الصالحون بأربعين يوماً كما قال ﷺ:

{ مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ؛
إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ}[١٠٨]

أربعين يوماً يرون في بدايتهم مشاهد ملكوتية عند المنام:

فعندما ينام الجسم بأدواته تستيقظ الحقيقة الباطنية بأدواتها النورانية، فيرى ما تراه العيون من عجائب عالم الملكوت، ومن غرائب الحي الذي لا يموت، وتكون هذه الرؤيا هي الرؤيا الصادقة، وهي بداية البشريات التي تبشر المؤمن بأنه أصبح على الطريق القويم والمنهج المستقيم.

إذا لم يصل إلى ذلك نرى الله ﷻ يصف هذا الهالك، يقول الله ﷻ كما قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[١٠٩]

وقال ﷺ واصفاً حال هؤلاء المرضى:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) }[١١٠]

والران يعني الغطاء أو الستارة التى تحجب الأنوار الموجودة في باطن القلب:

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤المطففين)

يعني من الآثام والذنوب والمعاصي، وما حالهم؟

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (١٥المطففين)

يكونون في حجاب عن نظر أُولي الألباب !!

أو عن النظر إلى باطن الأنوار الموجودة في كتاب الحق ﷻ ..

أو النظر إلى ملكوت الله ﷻ وغيوب الله ﷻ التي لا يراها إلا قلبٌ خلا من العيوب.

---

١٠٨ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري ﷺ
١٠٩ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
١١٠ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

كيفية النظر إلى الغيوب

فإذا خلا القلب من العيوب فوراً يُطلعه الله ﷻ على ما قُدِّر له من عالم الغيوب !! لأن كل إنسان على قدر صفائه ونقائه يكون قدر عطائه من العاطي ﷻ، والمنهج في ذلك الذي وضحه الإمام أبو العزائم ﷺ فقال:

غُض عين الحس واشهد بالضمير تشـهدن يا صـبُّ أنوار القدير

كل المطلوب غض عين الحس .. ونحن نعلم جميعاً أن سلفنا الصالح لأن الله ﷻ كان يحبهم وكان يؤاخذهم أولاً بأول !! كان الرجل منهم إذا نظر نظرة واحدة إلى امرأة أجنبية لا تحل له وأطال النظر عُوقب بمرض النسيان، وأُخذ منه ذاكرة الحفظ التي تفضَّل بها عليه حضرة الرحمن، فهذا الإمام الشافعي ﷺ وكان من شدة ذكائه لا يسمع شيئاً إلا حفظه، حتى أنه عندما ذهب إلى مكتب تحفيظ القرآن في زمانه وكانت أمه فقيرة وكان هو طفل يتيم، ولا يملك ما يعطيه للمعلم، فكان يذهب ويجلس ويحفظ ما يعلمه المعلم للصبيان، ولما عرف المعلم بحاله جعله ينوب عنه في حال غيابه وارتضى بذلك أجراً له لفقره.

وكان إذا سمع كتاباً أو قرأ كتاباً حفظه من أول مرة، وذات مرة وهو في الطريق نظر إلى ساق امرأة هفهفت الريح ثيابها فأظهرت ساقها، فذهب إلى المكتب ولم يستطع أن يقرأ أو يُكرر ما حفظه، فقال له المحفظ: ما بالك؟ ما دهاك؟ ماذا حدث لك؟

وذكر في ذلك أبيات قال فيها:

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يُهدى لعاصي

وهذا مرضٌ استشرى في زماننا، وهو مرض النسيان المبكر لكثير من الناس، بسبب كثرة التطلع إلى ما لا يحلّ له، وشغل الأذن بسماع أشياء لا تنفع الإنسان في دنياه، ولا ترفعه في أخراه، وإنما لشهوة الكلام، والكلام له شهوة أشد من شهوة الطعام، لكن كان دأب سلفنا الصالح رضي الله عنهم حفظ الجوارح.

ولذلك عندما تقابل الشافعي مع الإمام مالك ﷺ وأرضاه، وكان قبل أن يقابله قد حفظ كتابه الموطأ، فلما دخل عليه قال له: أطلب من يقرأ لك؟ قال: أنا أقرأ، والشافعي

كان فصيحاً لأنه عاش سنوات طوال وسط القبائل العربية في البادية لفصاحة اللسان في اللغة العربية، فكان أفصح الناس، وكان صوته عذباً، ولذلك قالوا: إذا صلى وقرأ القرآن يبكي كل من وراءه من سماعهم لتلاوته القرآن، فلما قرأ على الإمام مالك انتشى وأخذ يهتز والاهتزاز دليل الإعجاب، ثم قال له:

يا محمد إن الله ألقى على قلبك نوراً فلا تُطفئه بالمعصية.

فما الذي يُطفئ النور الذي في القلب؟ .. المعصية والعياذ بالله ﷻ.

لكن النور الذي في القلب الذي وضعه الله لنا أجمعين .... يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

(لو كُشف عن نور المؤمن العاصي لملأ ما بين السماء والأرض، فما بالكم بالمؤمن المطيع؟!).

كل واحد منا عنده نور يغنيه ويكفيه في دنياه وأخراه لو حفظ جوارحه ومشى على منهج الله في كتاب الله، وتأسَّى بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، فإذا حفظ الإنسان الجوارح الظاهرة انكشفت له الحقائق الباطنة ..!! والحقائق الباطنة هي التي لها اطلاعٌ على عالم الملكوت ... وعلى عوالم الحي الذي لا يموت، ولذلك يقول ﷺ:

{ لولا أنَّ الشَياطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوب بَنِي آدَمِ؛ لنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَمَاء }[١١١]

ما الذي يمنعهم من النظر؟ الشياطين الذين يزينون لهم المعاصي والمحرمات التي حرمها الله ﷻ، وهذا هو الجهاد الأكبر، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفاً أسكرت عالٍ وسافل

نسأل الله ﷻ .... أن يفتح أقفال قلوبنا، وأن يرزقنا البصيرة النورانية، ... وأن يجعلنا ممن يعلِّمهم علوماً غيبية إلهية إلهامية،

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١١١ ورد ذكره في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي

الفصل الرابع

أمراض الخاصة

أمراض القلب

١: مـــــرض النفـــــاق ٢: قسوة القلب عن ذكر الله
٣: الإعراض عن ذكر الله ٤: الصدود عن طاعة الله

علامات صحة القلب

١: انشـــــراح الصدر ٢: فرح الإنسان بمجالس الخير
٣: فرحه بالخير لأخيه ٤: الإلهـــــام

قســـــوة القلب

أولا: كثرة الكلام بغير ذكر الله ثانيا: الحديث مع النســـــاء
ثالثا: المطعم الحرام رابعا: الشبع خامسا: كثرة المنام

أمراض العلماء الربانيين

الشرك الخفي
المرض الأول: الفرح بإقبال الناس سكونا إليهم
المرض الثانى: النظر لأهل المعصية بعين ملؤها المقت والغضب
المرض الثالث: الأنس بما يشهدونه وإن خالف ما عليه الجماعة
المرض الرابع: استعجال النقمة لمن خالفهم والكرامة لمن وافقهم جهلاً بالقدر
المرض الخامس: الغضب على من لم يقم بالواجب عليه لهم
المرض السادس: الغرور عـــــلاج الغرور
المرض السابع: ميل النفوس إلى مجالسة الأمراء والعظماء

أمراض الأخفى

المرض الأول: اشتغالهم بتربية المريدين وترك جهاد أنفسهم
المرض الثانى: الشـــــوق إلى المفارق
المرض الثالث: الظن أنه وصل إلى مقام كن فيكون

الأمراض الظاهرة لعلماء الدنيا

المرض الأول: الجدال بالباطل
المرض الثاني: تأويل الأحكام بما يناسب هوى الخلق
المرض الثالث: إهمال العناية بكتاب الله وسنة نبيه

الفصل الرابع

أمراض الخاصة

أمراض القلب[١١٢]

ما أمراض القلب؟

وما علاماتها من كتاب الله الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها؟

وإذا تحدثنا عن أمراض القلب، فما علامة صحة القلب أو أن القلب ليس بمريض؟

وما الذي يوصل الإنسان إلى هذا المقام الراقي؟

القلب يمرض لأن الله ﷻ قال في حق قوم نسأل الله ﷻ أن يباعد بيننا وبينهم بُعد المشرقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ (١٠البقرة) أي أن القلوب فيها مرض.

وأشد الأمراض التي تعرض للقلب :

مرض الشرك ومرض الكفر، والحمد لله عافانا الله تعالى منها أجمعين.

أما بالنسبة للمؤمنين فأمراض القلب لا تحدث إلا لثُلةٌ بسيطة أغلبهم نسميهم المنافقين.

المرض الأول: مرض النفاق

أول أمراض القلب شدة وقسوة هو مرض النفاق.

والنفاق أن يُظهر الإنسان خلاف ما يبطن.

وعلاماتهم فيما بيننا أن المرء إذا تقابل مع رجل يُثني عليه ويمتدحه ويبين له أنه ليس له شبيهٌ أو مثيل، فإذا فارقه أو أدار ظهره إليه، أخذ يسب فيه أو يلعن فيه أو يقول فيه ما ليس فيه، ومثل هذا يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ }[١١٣]

---

١١٢ الجميزة – السنطة –الغربية ٤ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/٥م

١١٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

أي الذي يقابل الإنسان بوجه ويخفي وجهاً آخر يتحدث فيه عنه في غيبته، وهؤلاء بكَّتهم الله في كتاب الله، نسأل الله ﷻ الحفظ منهم أجمعين فهؤلاء:

﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (الفتح) ويقول فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون) يعني ينمقون الكلام، ويجيدون أداء الكلام، والله ﷻ أعطاهم طولاً في الجسم وصحة في الجسم ليغرر بهم.

هؤلاء قال فيهم الله ﷻ فاضحاً مكرهم ودهاءهم في سورة البقرة، وهي السورة الفاضحة لأحوال المنافقين: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة) يعني يظنون أنهم المهرة، كبعض الناس الذين يدَّعون الفهلوة في هذه الأيام، يدَّعي أنه ليس له شبيه ولا مثيل في تخطيطه وفي تنظيمه، ويظن أن الناس لا تكتشف حقيقة أمره، مع أن الله ﷻ يكشف الأمور لأهل النور فوراً في كل وقت وحين في قسمات وجهه، وفي فلتات لسانه، وفي طريقة نظره بعينيه، وكل هذا موجود في القرآن: ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ (البقرة) ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد).

كل هذه الأمور تكشف الإنسان المنافق، ولكن مع ذلك هو يصر في نفسه أنه لا يصل أحدٌ إلى مدى ما يفكر فيه، وهي الطامة الكبرى التي تذهب بهم إلى جهنم والعياذ بالله ﷻ.

المرض الثاني: قسوة القلب عن ذكر الله

هذا المرض وصفه الله في كتاب الله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر) هؤلاء كما قال الله في شأنهم: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء) ... لأنهم لا يذكرون إلا تظاهراً ليراهم الناس فيظنوا أنهم مؤمنين، ولكنهم إذا خلوا بأنفسهم أو إذا غابوا عن الخلق لا يستطيعون ذكر الله لأن القلوب قاسية، وقلوبهم كما يقول الله في شأنها: ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة).

وقسوة هذه القلوب من عدم الإخلاص لحضرة علام الغيوب، لأن الله لا يحب إلا الخالص المخلص لحضرته، ولذلك قال لنا أجمعين: ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الأعراف) حتى نخرج من دائرة المنافقين، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة) فأهم شيء في الأعمال الإخلاص.

قال سيدي أحمد بن عطاء السكندري ﷺ وأرضاه: (الأعمال كالأبدان، وروحها سر الإخلاص فيها) أي أن العمل لا يحيا ولا يكون قريباً من القبول عند الله إلا إذا استودع صاحبه الإخلاص فيه لله، والإخلاص أن يكون العمل خالصاً لوجه الله لا يرجو الإنسان منه إلا رضاه، وأن يبلغ منه ﷻ وحده مناه.

المرض الثالث: الإعراض عن ذكر الله

وهذا نسميه الصدود أو البعد، فيجد الإنسان عنده صدوداً في نفسه عن الصلاة، وعن تلاوة كتاب الله، وعن سماع كلام الله، وعن حضور مجالس العلم، وعن أي عمل من أعمال البر أو الخير، ولا ينشرح صدره ويتبلد وتتجمد جوارحه إذا هُيئ له عملٌ صالحٌ يعمله لله ﷻ، وهذا كالقوم الذين قال الله في شأنهم: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ ﴾ (٦٠هود) ... ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ (٦٨هود) أُصيبوا بمرض البعد، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة.

وذكر الله هذا المرض في قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه) له علامات ظاهرة نراها في الدنيا، ويراها الله والمؤمنين في الآخرة، في الدنيا تكون معيشته ضنك، والمعيشة الضنك ليس شأنها أن يكون في قلة الأقوات أو نقص الأموال، لكن مع وجود الأقوات الكثيرة والأموال الكثيرة والمناصب الكبيرة:

إلا أنك تجده في همّ وغم على الدوام،!!÷ يخلق الله تعالى ما يغمه وما يهمه على الدوام عقاباً له لأنه أعرض عن ذكر الله.

وأعرض عن ذكر الله تحتمل معاني كثيرة، إما أعرض عن الأعمال التي طلبها منه الله، أو أعرض عن الأعمال التي تُذكِّره بحضرة الله، أو أعرض عن رسول الله، كما قال بعض الصالحين: إن ذكر الله هو سيدنا رسول الله، لأن الله قال في سورة الجمعة: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٩الجمعة) لم يقُل: فاسعوا إلى الصلاة، لأن صلاة الجمعة أقل من صلاة الظهر، ولكن (فاسعوا إلى ذكر الله) يعني الذي يُذكِّركم بالله، والذي يُذكركم بالله هو رسول الله ﷺ.

ولذلك كثيرٌ من الناس في عصرنا هذا فقدوا حلاوة الطاعة بسبب هذا الإعراض، فيقصدون الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة إلى الصلاة، ولا يقصدون إلى سماع من هو قائمٌ مقام رسول الله ﷺ، ولذلك يتخلفون، وربما لا يدخلون إلا مع إقامة الصلاة، ويظن أنه قد حقق الهدف، والهدف كما وضحته الآية: (فاسعوا الى ذكر الله) وليس الصلاة.

فلو كان الهدف الصلاة لكانت الآية: فاسعوا إلى الصلاة، ولكان السعي إلى صلاة الظهر أولى، لأن الظهر أربع ركعات والجمعة ركعتين، لكن الهدف الأول سماع الذكر من المذكر الأعظم: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١الغاشية) فهو الذي يُذكِّر الناس يوم الجمعة أو من يقوم مقامه من العلماء العاملين وورثة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فهؤلاء الذين أعرضوا جزاؤهم في الدنيا – كما قلنا – معيشة ضنكاً، ولم يقُل حياة، فالمؤمن له الحياة، وغير المؤمن أو غير المستقيم له المعيشة، الحياة لمن يستجيب لله وللرسول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال) .... وهل هم ليسوا أحياء؟ لا !!!

لكن هي حياة الأتقياء وحياة المقربين وحياة الصالحين، وهذه الحياة لا تحدث إلا لمن استجاب لله وللرسول.

وهذه الآية فيها إشارة غريبة (استجيبوا لله وللرسول) هما اثنين، لكنه قال بعدهما: (إذا دعاكم) ولم يقُل: إذا دعاكما، لأن الذي يدعو هو رسول الله ﷺ، فكأن كل الذي لم يستجب للرسول في الدنيا ليس بحي، ولذلك يقول الله فيهم:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٨٠النمل) مع أنهم يتحركون ويمشون ويتكلمون، لكن ليس عندهم حياة إيمانية مما ذكره الله في آية الأنفال القرآنية.

وغير المؤمن في معيشة، والمعيشة يشترك فيها هؤلاء مع الحيوانات ومع كل الكائنات غير العاقلة، ولذلك يقول الله فيهم مرة:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤الفرقان)

لأن الأنعام لا تغفل عن ذكر الله وهم يغفلون، ومرة يقول في أكلهم:

﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ (١٢محمد)

يعني لا يبدأون بالتسبيح والتسمية لله، ولا يحمدون الله بعدها ويشكروه على عطاياه كالأنعام، وربما الأنعام تفعل، فوصفهم الله ﷻ بأنهم في معيشة، أي كأنهم والأنعام سواء، بل الأنعام أفضل رتبة منهم، لأنها تذكر الله:

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

المرض الرابع: الصدود عن طاعة الله

تجد في الإنسان أمراً غريباً، تجده ليس عنده انشراح صدر لأي طاعة، وتدعوه وتلح عليه فيهرب منك، ولا يستجيب لك قط، حتى أن كثيراً من هؤلاء ربما يكون في البطاقة مسلم ابن مسلم، ولكنه لا يدخل المسجد إلا ليصلون عليه صلاة الجنازة.

وقد رأينا في زماننا هذا العجب ممن يستهينون بصيام شهر رمضان، وخاصة من الشباب الفتيان الذين أعطاهم الله صحة وقوة، فيتناولون الطعام خفية حتى لا يراهم الأهل ويلومونهم على ذلك، أو يحاسبونهم على ذلك، ويظنون أن الله ﷻ وهو الحسيب لا يطلع عليهم ولا يراهم، ولا يراقبون الله.

وهؤلاء فقدوا خشية الله ﷻ فقست قلوبهم، وأصبحوا في صدود تام عن طاعة الله والإقبال على حضرة الله ﷻ حتى نعلم علم اليقين أن إقبال الإنسان على مولاه، وحبه لأداء الطاعات فضلٌ من الله.

علامات صحة القلب

العلامة الأولى: انشراح الصدر

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (٢٢الزمر) ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ (١٢٥الأنعام) .... فهذه نعمة من النعم العُظمى التي يمن بها علينا الله ﷻ، وهذه من علامات صحة القلب، وهي انشراح الصدر لأداء الطاعات والعبادات التي كلَّفنا بها الله والفرح بها، قال ﷺ:

{ مَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ }[١١٤]

المؤمن يفرح عندما يعمل الطاعة .. ولكن لا يتباهى بها ولا يتعاظم بها، ولا يفتخر بها، لكن يفرح في نفسه أنه فعل هذه الطاعة !!

وإذا وقع في سيئة يركبه الهم والندم والأسى ويلوم نفسه:

﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢القيامة)، ويؤنب نفسه ويعاتب نفسه، إلى أن يتوب إلى الله ﷻ ... فيتوب الله ﷻ عليه.

---

١١٤ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي إمامة ﷺ

العلامة الثانية: فرح الإنسان بمجالس الخير

يفرح الإنسان بمجالس الخير أياً كانت، يفرح إذا وجد مجلساً يذكرون الله فيه فيسارع إلى الجلوس معهم، ولو كانوا من أي طائفة من طوائف المؤمنين، ما داموا يقولون (الله) يدخل معهم ويذكر الله ﷻ معهم.

وإذا رأى مجلساً للقرآن تهافت للجلوس في هذا المجلس، وإذا رأى مجلساً للصلاة على النبي تحن روحه ويحن قلبه للجلوس معهم لمداومة الصلاة على حضرة النبي ﷺ.

وإذا رأى مجلس علم يحس بحنين ورغبة شديدة في الجلوس إلى مجلس العلم لنيل فضل هذا المجلس، حتى ولو كان العالِم الذي يدرس في المجلس أقل منه كفاءة، وأقل منه محصولاً في العلم، لكنه يريد فضل المجلس، لأن فضل مجالس العلم لا نستطيع عده.

العلامة الثالثة: فرحه بالخير لأخيه

من علامات صحة القلب أن يفرح المسلم إذا أصاب المسلمين أجمعين أي خير، إذا أصاب أي مسلم حوله أو بعيداً عنه أي خير فرح وسارع إلى تهنئته، وإذا أصابه همٌ حَزِن من أجله ودعا الله أن يكشفه عنه، وحدَّثه ليخفف عنه، وهذه يقول فيها ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً فَلَيْسَ مِنْهُمْ }[١١٥]

فهو يهتم بأمور إخوانه المسلمين، ليشاركهم فيها.

العلامة الرابعة: الإلهام

يفرح المسلم إذا بدا عليه شيء من الإلهامات الإلٰهية وهو يقرأ الآيات القرآنية، وجاءه فهمٌ في آيات كتاب الله، أو كان يتحدث بحديث وجاءه معنى لم يخطر بباله من قبل ألهمه به مولاه، فيعلم أن هذا علامة رضا من الله، لأن الله ﷻ يلهمه ويسدده ويوفقه.

والقلب السليم شرطه وأصافه أن لا يكون فيه حظٌ دنيوي يشغله عن حضرة الله، ولا ميلٌ للهو يشغله عن طاعة الله، ولا حقدٌ ولا حسدٌ لأحد من خلق الله، فهذه علامات أن القلب قلب سليم، فلا أي شيء في الدنيا يشغله عن طاعة الله، ولا شيء يمنعه عن ذكر الله أو الصلاة، وإنما يسارع إلى طاعة الله مهما كانت المشاغل ومهما كانت المشاكل.

وليس في قلبه شيء لأحد من عباد الله، وإنما هو الحب الخالص لجميع خلق الله ﷻ.

---

١١٥ الحاكم في المستدرك والطبراني عن حذيفة ﷺ

فإذا خلا القلب من العيوب يكشف الله ﷻ له قَبَساً من الغيوب، يبدأ أولاً عن طريق الرؤيا المنامية، والرؤيا غيب، إذا كانت رؤيا صادقة فإنها تكشف للإنسان غيباً لم يكن يتوقعه الإنسان أو يخطر له على بال، فتأتي الرؤيا المنامية تكشف له عن هذا الأمر وتبشره، ولذلك تسمى المبشرة، قال ﷺ:

{ لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ }[١١٦]

إذا تحقق بالرؤيا المنامية ولم يلتفت إليها، وسعى لما هو أعظم منها، أعطاه الله إحساساً إيمانياً، وهذا ما نسميه الفِراسة، والفِراسة إحساس داخلي يُلهَم به المرء من الله فينطق، فيتحقق قوله الذي قال فيه ﷺ:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }[١١٧]

والفراسة فيها ما فيها من الإمدادات الإلهية والأنوار الربانية، فإذا لم يقف عند الفراسة وأراد أن يرتقي مع مولاه فتح الله عين بصيرته، لأن المريد الصادق كلما عُرض عليه أمرٌ من أمور الغيوب لم يلتفت إليه لشغله بحضرة علام الغيوب، ودائماً يقول لنفسه ولحقائقه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (٥٠الذاريات) فر من كل هذه الحقائق؛ من الملك والملكوت والعوالم كلها إلى حضرة الله ﷻ.

فإذا فرَّ من هذه العلامات الطيبة أكرمه الله ﷻ ففتح عين بصيرته، وكاشفه بعالم الملكوت، ودخل في قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) أي أن الموقنين جميعاً يُكاشفوا بعالم الملكوت الأعلى.

فإذا أكرمه الله ﷻ ولم يلتفت بعد سياحة روحه في عالم الملكوت، أكرمه الله ﷻ برؤية الحبيب المصطفى، فيواجهه بأنواره، ويكشف له من كنوز أسراره، ويجعله دائماً وأبداً ملحوظاً بعين عنايته، مرعياً بعين رعايته.

فإذا واظب على ذلك دخل إلى مقامات يقول فيها الإمام الغزالي رضي الله عنه وأرضاه:

فكان ماكان مما لستُ أذكره فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

أسأل الله ﷻ أن يُمتِّعنا بما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١١٦ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

١١٧ جامع البيان للطبري عن ثوبان رضي الله عنه

قسوة القلب[118]

تحدثنا عن بعض الأمراض التي تصيب القلب – نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة – بإيجاز، ونريد أن نتحدث عن أحدها وأهمها، وهو مرض قسوة القلب.

وقسوة القلب مرضٌ يقول فيه الله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢٢الزمر) مرضٌ يجعل صاحبه موضع سخط الله وغضب الله، ولا يواجهه برحمته ولا شفقته ولا حنانته لأن قلبه قاسي.

أسباب قسوة هذا القلب ترجع إلى عدة أمور بالنسبة للمؤمنين والمؤمنات.

قسوة القلب للكافرين واضحةٌ جلية لأن القلب مملوءٌ بالشرك وليس فيه بصيصٌ من الأنوار الإلهية فلا بد أن يكون كما قال الله: ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ ﴾ (٧٤البقرة) فهو أشد قسوةٌ من الحجارة.

لكن المؤمن الذي استضاء قلبه بنور الله قد يقسو قلبه إذا فعل أشياء نهى عنها الله، وحرَّمها سيدنا رسول الله ﷺ، وقد تكون أشياء مباحة ولكنها إذا أكثر الإنسان منها فوق الطاقة والإمكان، حولت قلبه إلى صخر جلمود، لأنه تجاوز الحدود.

أولاً: كثرة الكلام بغير ذكر الله

فأول سبب من أسباب هذه القسوة كثرة الكلام في غير ذكر الله، والإنسان في أي زمان ومكان عنده شهوة الكلام، ولكن الإيمان يقتضي عليه أن يقتصر هذه الشهوة في أمورٍ قال فيها الله في قرآنه: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ (١١٤النساء)، فجعل الله ﷻ للسان الإنساني للرجل التقي المسلم مجالاتٌ محدودة، إذا تكلم فيها يكون كلامه في صحيفة حسناته، ويُثاب عليه عند الله في الثواب الجزيل والأجر الكبير، ولذلك قال ﷺ محدثاً في هذا الباب:

{ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي }[119]

والكلام بغير ذكر الله إما لغوٌ، والمؤمنون من أوصافهم:

---

١١٨ الجميزة – السنطة –الغربية ١١ من شوال ١٤٤٣هـ ١٢/٥/٢٠٢٢م
١١٩ جامع الترمذي والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ (٣المؤمنون) واللغو هو الكلام الذي لا يفيد، وهو الكلام في أي أمر لا يستفيد الإنسان منه في أُخراه بثواب وحسنات عند الله، ولا يستفيد منه في دنياه بفوائد دنيوية تعود عليه بالخير والنفع له ولمن يعول.

فإذا كان الكلام على سبيل التسالي، أو على سبيل الفراغ لقضاء الوقت فهذا من المقت، فإن المؤمن أثمن ما يملك هو أنفاسه التي يتنفسها، ولذا يحاسب نفسه دائماً على أن تكون هذه الأنفاس في طاعة الله، وفي رضا الله ﷻ.

يقول الإمام الشافعي ﷺ: (صحبت الصوفية سنتين فاستفدتُ منهم كلمتين، الأولى: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وثانيتهما: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل).

فالنفس إذا لم يشغلها الإنسان بما يحبه الرحمن، وما أوصى به النبي العدنان، دخلت إلى الإنسان فجعلته يشتغل بما فيه حتفه، وبما به هلاكه، أو بما به بُعده من الله ﷻ ورسوله ﷺ.

حتى أن الرسول ﷺ نهى عن اجتماع أي قوم وأن يكون الاجتماع ليس فيه ذكرٌ لله، ولو بذكر آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله، أو شيء نافع من سيرة السلف الصالح، وجعل هذا المجلس قبيحاً، قال ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }[١٢٠]، وفي رواية أخرى:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَصَلاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ إِلا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيفَةٍ }[١٢١]

تشنيعاً لهذا العمل السيئ الذي نهانا عنه الله، وقال فيه في كتاب الله:

﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) ..

والظالمين هنا: ... أولاً ظالمين لأنفسهم لأنهم أنفقوا أوقاتهم وهي أثمن ما عندهم في غير ما يحبه الله ويرضاه، وثانياً ظالمين لغيرهم لأنهم جعلوهم يشاركونهم في هذا الإثم وفي هذا الجُرم حتى لو كانوا صامتين، فقد ورد بالأثر:

(السامع والمغتاب في الإثم شريكان).

---

١٢٠ مسند أحمد وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

١٢١ شعب الإيمان للبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

ومن هنا فقد حرَّم الله ﷻ في الكلام بيننا وبين بعضنا الكذب، وقال فيه ﷺ:

{ إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيلًا مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ }[١٢٢]

الملائكة الموكلون بتسجيل كلامه يتباعدون عنه إذا كذب.

ويتباعد الإنسان عن الغيبة، والغيبة هي ذكرك أخاك بما تكره، ويتباعد عن النميمة وهي الحديث الذي يفرق الجماعات أو الأفراد بوشاية تحدث بينهم عن طريق اللسان، ناهيك عن السب والشتم واللعن وكل ذلك.

وآفات اللسان جمعها الأئمة الكرام فيما يزيد عن السبعين آفة على المؤمن أن يراجعها جميعاً، وأن يخرجها من قاموس كلماته، وأن يكون مع الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة).

ثانياً: الحديث مع النساء

الأمر الثاني الذي يسبب قسوة القلب هو المزاح والكلام الهيّن اللين مع النساء الأجنبيات، وهذا نهى عنه الله في صريح الآيات، فقد أمر زوجات النبي وأمهات المؤمنين ومن على شاكلتهن من نساء المؤمنين والمؤمنات، بأن لا يقلن إلا القول المعروف، ولا يتحدثن إلا بما هو مألوف، وحذَّرهم من الوقوع في ذلك فقال: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٣٢الأحزاب).

فإن المرأة إذا تبسمت لرجل أجنبي، يظن في نفسه الظنون نحوها، فما بالكم إذا كلَّمته كلاماً هيناً لينا؟! فما بالكم إذا أخذت تشكو له من زوجها؟! أمورٌ حرَّمها الشارع الشريف وقاية للإنسان المؤمن وحفظاً لقلبه من قساوة القلب، لأن هذا الداء من أكبر الأدواء التي تُقسِّي القلوب، وتنسيها ذكر حضرة علام الغيوب ﷻ.

يضاف إلى ذلك فضول النظر، فإن الله ﷻ قال للمؤمنين: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ ﴾ (٣٠النور) وقال للمؤمنات: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (٣١النور).

وغض البصر أي أن لا تقع عين الإنسان مع عين محدثه أو محدثته، فإذا تكلم الإنسان مع إنسانة غريبة عنه ليست من محارمه، فلينظر إلى أعلى، أو ينظر إلى الأرض، أو ينظر إلى

---

١٢٢ سنن الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

ذات اليمين، أو ينظر إلى ذات الشمال، المهم أن يحرص حرصاً بالغاً أن لا تلتقي العينان، فإذا التقت العينان تحرك القلب والجنان فيفسد باطن الإنسان، وهذا ما لا يحبه الرحمن، فهو يحب أن يكون الباطن دائماً كما قال في قرآنه: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

وفضول النظر في عصرنا هذا ليس قاصراً على مواجهة البشر، ولكنه أصبح في داخل وسائل التواصل الحديثة، كالمواقع الإباحية، والفيس بوك، وغيرها من الأسماء التي زادت في عصرنا هذا، وأصبحت النساء تتباهى أن يظهرن فيها شبه عاريات لتُغري من يراها على هذه الشاشة الصغيرة، وهو يتلذذ بنفسه بالنظر بعينه، وهذا أمر نشر الفحشاء والمنكر في مجتمعنا، ولذلك يجب أن نتنبه إلى ذلك، ونغض أبصارنا حتى عند النظر في هواتفنا، أو في أي وسيلة من وسائل التواصل فيما بيننا، أو في التلفزيون، أو في السينما، أو غيرها، يجب على الإنسان المؤمن بأن يغض بصره عند النظر إلى الأجنبيات، وكذلك المؤمنة يجب أن تغض نظرها عن النظر إلى الأجانب، قال ﷺ محذراً من هذه الفتنة:

{ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }[١٢٣]

فكأنه إذا نظر يفقد حلاوة طعم الإيمان، وحلاوة الذكر والطاعة لحضرة الرحمن، لأنه ارتكب ما نهى عنه الله، ونظر إلى ما حرَّم الله ﷻ النظر إليه.

ثالثاً: المطعم الحرام

كذلك من هذه الآفات التي تطبع على قلب المرء، وتجعله في قسوة بالغة، أن يكون الإنسان مطعمه من حرام، فإذا كان الإنسان مطعمه من حرام، وملبسه من حرام، وغُذي بالحرام، فإن القلب يزداد قسوة على مر الدهر، ولا يُقبل منه عمل ولا دعاء، ولا حتى توبة إلا إذا تاب إلى الله توبة نصوحاً، وعزم على أن لايعود إلى أكل الحرام مرة ثانية، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ؛ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }، وقال ﷺ: **{ مَنِ اشْتَرَى ثَوبًا بِعَشَرَةِ دَراهِمَ فِي ثَمَنِهِ دِرهَمُ حَرامٌ لَم يَقبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً ما دامَ عَلَيهِ }**[١٢٤]

فالدرهم الحرام يفسد كل الحلال الذي يمتلكه الإنسان !!!

---

١٢٣ الحاكم في المستدرك ومسند الشهاب عن حذيفة بن اليمان ﷺ

١٢٤ الأول: معجم الطبراني عن ابن عباس ﷺ، والثاني: سنن الدار قطني ومسند أحمد عن ابن عمر ﷺ، وقيل اللفظ له

ولذلك أفضل عبادة كلَّفنا بها الله وأمرنا بها سيدنا رسول الله هي الورع، والورع يعني اتِّقاء المحرمات، قال ﷺ:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[١٢٥]

فأعبد الناس الوَرِع، والورِع هو الذي يتقي حتى ما فيه شبهات – كما ذكرنا الآن – فإذا كان أمر يشتبه عليه هل فيه حرمة أم كله حلال، يتركه كله خوفاً من الله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن).

ويروى في هذا الباب أن هارون الرشيد الحاكم المسلم خليفة المسلمين، حلف على امرأته يمين طلاق أنه لن يقربها إلا إذا تأكد أنه من أهل الجنة، وبعد أن رجع إلى صوابه أتى بالعلماء ليجدوا له مخرج، فقالوا له: ومن الذي يضمن لك الجنة؟!.

فسمع بذلك الليث بن سعد فقيه مصر الذي يقول فيه الشافعي رضي الله عنه: كان الليث أفقه من مالك إلا أن تلاميذه ضيعوه، فلم يحملوا علمه وينشروه بعده.

فذهب الليث إلى الخليفة، وطلب منه أن يُخرج مَن عنده من العلماء، ويختلي به، وبعد أن اختلى به قال: يا أمير المؤمنين ألم تذكر الله ﷻ مرة ففاضت عيناك بالدمع؟ قال: بلى، ومرات كثيرة، قال: تقسم على ذلك، فأقسم على ذلك، قال الليث: أنا لم أحلفك تهمة، لكن الله تعالى يقول:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن) جنتان وليست جنة واحدة.

هاتان الجنتان ومن دونهما جنتان؛ لأهل الورع الذين يتقون الشبهات، والرسول ﷺ يقول:

{ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ }[١٢٦]

فاتقاء الشبهات:

هو الأساس الذي يضمن صفاء القلب ونقاؤه ...

ويجعل صاحبه يتذوق لذة الطاعات وحلاوة القربات، .... ويشعر دائماً وأبداً ... بأنه يأنس بالله عند ذكره ﷻ.

---

١٢٥ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٢٦ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

رابعاً: الشبع

أما الأمور المباحات ولكنها قد تؤدي إلى قسوة القلب:

فمنها الشبع.

وهو أول داء، كما تقول السيدة عائشة ﵂:

{ أَوَّلُ بَلاَءٍ حَدَثَ فِي هذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا الشِّبَعُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا شَبِعَتْ بُطُونُهُمْ؛ سَمِنَتْ أَبْدَانُهُمْ، فَضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ، وَجَمَحَتْ شَهَوَاتُهُمْ }[١٢٧]

فلم يكن أصحاب رسول الله يأكلون إلا لماماً، يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ }[١٢٨]

لم يقُل أرغفة ولا كسرات، بل قال: لقيمات يقمن صلبه، ولا يزيد عن الثُلث، وقال:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[١٢٩]

لا يأكل حتى يجوع، وإذا أكل لا يشبع، لأنه لا بد أن يقوم من الطعام وهو يشتهيه، وهذه سُنَّة الحبيب ﷺ، وهذا هو الرأي المصيب الذي كان عليه الأتباع المقربون من الحبيب ﷺ، ولذلك سأل قومٌ الإمام الجنيد ﵁:

نحن نصلي فلِمَ لا نجد لذة الخشوع في الصلاة؟ فقال ﵁:

(يعمد أحدكم إلى بطنه فيجعل بينه وبين الله مخلاةٌ من الطعام، ثم يريد أن يجد لذة الخشوع!!).

فإن الإنسان إذا أكل وملأ بطنه يذهب معها الخوف، ويذهب معها لذة العبادة وحلاوة الطاعة، لأن الإنسان في هذه الآنات كما قال الإمام علي ﵁ وكرم الله وجهه:

(ما ملأتُ بطني قط، إلا هممت بمعصية).

---

١٢٧ رواه البخاري في كتاب الضعفاء، وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع
١٢٨ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﵁
١٢٩ زاد المعاد والبداية لابن كثير

فإن الشبع يملأ الجوارح بالدم، ويجعلها تميل إلى المعاصي ولا تميل إلى الطاعات إلا إذا كانت في حالة خُلو من الطعام الدسم، ومن الشبع الذي نهى عنه رسول الله ﷺ.

ورُوي أن سليمان بن داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، اشتكى إلى أمه أنه أصبح يتكاسل عن قيام الليل، فقالت:

لا بد أنك تأكل وتشبع، وقالت له: إذا أكلت فلا تشبع يتيسر لك قيام الليل، فعمل بوصيتها، فكان بعد ذلك يقوم الليل إلا قليلاً يناجي ربه ويأنس به ويتمتع بمناجاته ويجد لذة ذكره وطاعته ﷻ.

خامساً: كثرة المنام

وأيضاً من المباحات التي تؤثر على القلب فتُقسيه كثرة المنام، أي أن الإنسان يتكلف النوم، والنوم بعيدٌ عنه، ويتقلب يميناً وشمالاً حتى ينام، والإنسان المؤمن السوي التقي النقي لا ينام إلا إذا غلبه النوم.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم ينام في سجوده، وبعضهم ينام في وقوفه وهو يصلي لله، وبعضهم ينام في ركوعه، وبعضهم صنع لنفسه حبلاً يربط نفسه به في سارية المسجد، أي عامود المسجد، فقال ﷺ:

{ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ }[١٣٠]

يعني لا تشقوا على أنفسكم، إذا وجدتم من أنفسكم طاعة فاعبدوا الله ﷻ، وإذا غلب عليكم المنام فناموا.

هم كانوا كما قال الله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ (الذاريات ١٧) لأن الإنسان المؤمن يعد نومه من طاعته ومن عبادته لله ﷻ، فيجعل نومه خفيفاً، وينام على ذكر الله حتى يُحسب له نومه كله طاعة لمولاه.

أسأل الله ﷻ أن يصلح عوج نفوسنا، ... وأن يصفي ويطهر لحضرته قلوبنا، ... وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٣٠ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

أمراض العلماء الربانيين[١٣١]

العلماء الربانيون هم الذين سلَّحهم الله ﷻ بالفقه في دينه، ووهب لهم ﷻ علم الرعاية في أحكامه، فمعهم الفقه في الدين، ومعهم علم الرعاية في تنفيذ أحكام هذا الدين، حتى علموا حكمته ﷻ في كل حُكم، فسارعوا إلى المراد له جل جلاله فيما حَكم لا إلى الحُكم، فهمُّهم كله هو مراد الله من أحكامه عند العمل، لا العمل بهذه الأحكام فقط دون ملاحظة شيء آخر.

وأمراض هؤلاء العلماء خفية عن العقول، غامضة عن النفوس، لأنهم مع كمال الإخلاص لله ﷻ يشوب توحيدهم شوب بواعث الهمة عن العمل، فقد يُحجبون عن خالص مشاهد التوحيد، إما لعلة في الباعث على هذا العمل، أو لعدم تصفية مشهد التوحيد، فينسبون العمل لأنفسهم ويشهدون المجاهدات منهم، وينسون فضل الله وتوفيق الله ومعونة الله ﷻ.

الشرك الخفي

وقد يقوى هذا المرض حتى يدعو إلى شهود الإلهية في العامل من حيث لا يشعر، فيأنس بالعمل ويطمئن بالعرفان والأنس بالعمل.

والطمانينة بالعرفان شركٌ أخفى في طريق الله ﷻ، لأن من شغله العرفان عن المعروف، والعلم عمن هو مُولِّي وجهه شطره، واحتجب بنسبة العمل لنفسه، فهو مشركٌ في طريق الله ﷻ وإن كان شركٌ خفي، حتى وإن كان هذا الرجل من أهل الفردوس الأعلى، ... وهذا المرض العضال؛ مرض الإلهية أعظم مرض يُصاب به العلماء الربانيون، ومن أهم أمراض الخفا للعلماء الربانيين:

المرض الأول: الفرح بإقبال الناس سكوناً إليهم:

يفرح بإقبال الناس سكوناً إليهم من غير ملاحظة فضل الله وتوفيق الله، .... يعني يفرح إذا توجَّه الناس إليه، ويزيد فرحه إذا أقبلوا عليه، ولا يفرح بالله الذي وجَّههم إليه، وأقبل بقلوبهم عليه.

---

١٣١ الجميزة – السنطة –الغربية ٣ من ذي القعدة ١٤٤٣هـ ٢/٦/٢٠٢٢م

وهذا مرضٌ عضال يحتاج إلى أن الإنسان في هذا المجال يفرح بالله، ويسكن بكله إلى ربه، ويفرح بفضل الله وبرحمته، ويسبحه ويستغفر عند إقبال الخلق، ولا يفرح بحال ولا عمل، لأن العصمة من الزلل بالله ﷻ، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في أهل هذا المقام المجملين بجمال الله:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم ... قاموا بحولٍ منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم ... بالهدي هدي المصطفى المختار
وإذا رأيت الخلق مقبلة فلا ... تركن ركون مُقرب من نار

ويقول أيضاً في حِكَمه: (الجاهل يفرح بالإقبال، والعالِم يفرح بالقبول) أي القبول من الله ﷻ.

المرض الثاني: أن ينظر إلى أهل المعصية بعين ملؤها المقت والغضب:

وهذا داءٌ عضال، فإن الإنسان لا يدري ما كُتب لهذا الإنسان في ألواح التقدير، فربما يراه بعيداً وهو عند الله ﷻ سيكون من المقربين.

ولذلك فقد كان أحد الصحابة واسمه نعيمان لا يستطيع السيطرة على نفسه في شرب الخمر، فلعنه بعض أصحاب النبي ﷺ، فقال ﷺ لهم:

{ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[١٣٢]

ومادام يحب الله ورسوله ﷺ، فإن حب الله ورسوله سيتغلب على كل بواعث الشهوة عنده في يوم من الأيام بتوفيق الله وإكرام الله، فيتحول إلى ولاية الله، وإلى مقام القرب من مولاه جل وعلا.

وهذه المرأة التي اعترفت للرسول ﷺ بأنها زنت، وحاول ﷺ أن يتلمَّس لها الأسباب، ولكنها قالت: إني حامل، فأوصى رسول الله ﷺ عمَّها وهو أقرب الناس إليها أن يستوصي بها خيراً حتى تضع ما في بطنها.

وبعد ولادتها جاءت برضيعها إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن تذهب حتى تُتم رضاع طفلها، فجاءت له بعد تمام رضاعته وفي يده ابنها لقمة خُبزٍ يأكلها بأسنانه، فأمر ﷺ أن

١٣٢ صحيح البخاري عن عمربن الخطاب ﷺ

يقام عليها الحدُّ، وبينما خالد بن الوليد ﷺ وأرضاه يقذفها بحجر إذا بالدم يتطاير منها ويقع على ثيابه فلعنها، فنهاه النبي ﷺ وقال:

{ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى }[١٣٣]

ومن هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب النبي ﷺ في قول الله تعالى: (رحماء بينهم): **(كان الصالح منهم ينظر إلى الطالح ويقول: اللهم تُب عليه واعفُ عنه واغفر له - نظرةٌ برحمة - ويقول الطالح عندما ينظر إلى الصالح: اللهم زده صلاحاً وتُقى وألحقني به)**، فلا ينظرون نظرة مقت ولا غضب، وإنما نظرة رفق وشفقة وحنان، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: **(من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مَقَتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عَذَرهم)**.

فيلتمسون الأعذار في نظرهم لإخوانهم حتى ولو كانوا عصاة ومذنبين لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

المرض الثالث: الأنس بما يشهدونه وإن خالف ما عليه الجماعة

وهذا يحدث لمن له إقبال شديد على الله في نفسه، ولا يهتم بشهود الجماعة على الدوام، فقد يرى في مشاهد قلبية أو مشاهد نفسية أنه خير من هؤلاء لما يراه في نفسه ولما يشهده في نفسه، بينما قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور ٦٣) أي أن أمر الله ورسوله وشرعه وسُنَّة حبيبه هي المقَدِّمة والمقَدَّمة عند أُولي الألباب من العلماء الربانيين.

وقد يجد في خلوته مثلاً صفاءًا ونقاءًا لأنه يجد فيه حضوراً واستحضاراً، وقد يجد في حضور الجماعة مع المؤمنين في المسجد شيئاً ربما يُعكِّر صفوه، أو يُكدِّر خاطره، فيؤثر أن يُصلي مفرداً على أن يُصلي في الجماعة، مع قوله ﷺ: **{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ }**[١٣٤]

فهنا يؤثر إتباع الشرع والشريعة على ما يجده في نفسه من لذة في عبادة، أو شهوة في زهادة أو غيرها.

---

١٣٣ صحيح مسلم والترمذي عمران بن حصين ﷺ
١٣٤ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

المرض الرابع:

استعجال النقمة لمن خالفهم، والكرامة لمن وافقهم جهلاً بسر القدر

فتجد الرجل منهم لاطمئنانه بأنه على قَدَم في ولاية الله، يظن أن الله ﷻ يُجري له في الدنيا ما يريد على حسب هواه، فإن كان رجلٌ لا يوافقه ولا يقدره ولا يقيم له وزناً أو يستهزئ به، فيتمنى من الله أن ينفذ مراده بإهلاكه أو بإصابته أو بشيء يحدث له يغيره إلى أسوأ حال.

وإذا كان رجل خادمٌ له أو معاونٌ له، يرجو من الله ﷻ أن تتيسر أموره، وأن تتسع أحواله، وأن يجد الخير الذي يطلبه ويريده، مع أنه لا يعلم في كلا الرجلين مراد الله ﷻ.

فعلى الرجل العالِم العارف الرباني أن يسلِّم لمراد الله ﷻ ...

فإذا سأل الله يفوض الإجابة إلى مولاه ..

ولا يطلب حتى لنفسه أن يجيبه الله فيما يراه، لكن أن يجيبه مولاه فيما يراه حضرة الله، فإن الله ﷻ علام الغيوب !!

وسر القَدَر غيبٌ حتى على أهل النفوس الزكية، ولذلك يجب التسليم بالكلية.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

المرض الخامس:

الغضب على من لم يقم بالواجب عليه لهم

وذلك مما يدسُّه عليهم عدوهم من أن المقصر في حقهم مقصرٌ في حق رسول الله ﷺ، والحقيقة غير ذلك.

وهذا معناه أن الرجل من أهل الكمال يرى له حقوقاً على من دونه، فإن أخلُّوا في القيام بهذه الحقوق، ربما لجهلهم، وربما لما يغيب عن معرفته من نياتهم، يتغير عليهم وقد يعاملهم بما لا يليق بهم.

بينما الأمر الذي اتفق عليه الصالحون أجمعون أن الرجل الكامل في مقام الرجولية يقوم للخلق جميعاً بما لهم عليه، ولا يطالبهم بما له عندهم.

فإن قاموا بذلك فقد خدموا أنفسهم، وإن لم يقوموا بذلك يلتمس العذر لهم، لأنهم ربما لا يعرفون، وربما لا يعلمون، وربما تناسوا لما يشغلهم من متطلبات الحياة الدنيا، وربما أخذتهم المفاجأة عندما شاهدوه فنسوا ما ينبغي عليهم أن يقوموا به له، وهذا وإن كان من غير أهل الكمال، ولكنه يتناسى ذلك لشغله بذي الجلال والإكرام ﷻ.

المرض السادس: الغرور:

فقد يُغَر الإنسان بما يهب الله له من الفقه والفهم ...

- حتى قد ينظر إلى السابقين من العلماء العاملين والأئمة المعتبرين بعين المساواة، ويظن أنه يساوي السابقين، بل ربما تخدعه نفسه فيظن أنه يتفوق عليهم، وهذه من خِدع النفس الإبليسية، ولا يقع في هذه الهفوة أصحاب النفوس الزكية.
- وقد يُغَر بما يتفضل الله ﷻ به عليه من صوت حَسَن، وجمال الصوت من الله وليس من الأوتار التي تتحرك في الحنجرة إلا إذا شاء الله ﷻ، فإذا تعالى بصوته على غيره وظن أنه أفضل منهم بسبب صوته، فعليه أن ينسب الصنعة للصانع، ويعلم علم اليقين أن جمال صوته فضلٌ عليه من ربه ﷻ، .... وهذا الفضل يحتاج إلى شكر:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

- وقد يجد في نفسه فضيلة من فضائل أهل القرب:
  - كأن يخصُّه الله ﷻ بشيء من الفراسة النورانية، أو بشيء من الإلهام أو العلوم الوهبية.
  - أو بشيء من التوفيق للقيام بالأعمال الاجتهادية التي يقوم بها لرب البرية .....
    - كل ذلك يحتاج إلى علاج شديد ليخرج من هذا المرض الشديد وهو مرض الغرور.

ولذا نجد أن هؤلاء العلماء الربانيين دائماً وأبداً يقفون عند معرفة نفوسهم، ويتذكرون دائماً أنهم في مقام يقول فيه الله:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون) أو مقام يقول فيه الله: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ (مريم) أو مقام يقول فيه الله:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان).

فيرى نفسه أنه بغير فضل الله الذي عمَّه؛ لا شيء، لأنه إما ترابٌ وإما طينٌ وإما ماءٌ مهين وإما لا شيء، وكل هؤلاء لا يسمعون ولا يبصرون ولا يتكلمون وليس لهم ميزة ولا قيمة في عالم الخلق إلا إذا تفضَّل عليهم الخالق بواسع فضله ﷻ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

علمت نفس أني كنت لا شيء ... فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنَّزه صرت الآن موجوداً ... به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا؟ عدمٌ الله جملني ... فصرتُ صورته العليا بلا نيل

المرض السابع: أن تميل نفوسهم إلى مجالسة الأمراء والوزراء والعظماء:

وهذا يكون بدسيسة خفية عليهم، وهي أن يكونوا أعواناً للحق، ويقضون مصالح الخلق، فيعظم الداء، لأن من جالس جانس.

وإنما ما كان يقوم به الصالحون في الأزمان السالفة كان تكليفاً إلهياً أو أمراً نبوياً، وليس من عند أنفسهم ولا رغبة لهم في ذلك، وإنما كانوا يقوموا مضطرين إلى ذلك تنفيذاً لأمر الله، أو لتوجيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هذه الأمراض السبعة التي ذكرناها ليست كل الأمراض !!!

لكن هي أصول الأمراض التي تتفرع منها كل أمراض العلماء الربانيين.

حفظنا الله ﷻ من هذه الأمراض ظاهراً وباطناً، حتى نكون كما يحب ويرضى ﷻ.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

أمراض الأخفى[١٣٥]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله على فضله العظيم، والصلاة والسلام على نوره الذي هو في القلب مقيم، سيدنا محمد وآله وصحبه وورثته والقائمين بدعوته إلى يوم الدين، واجعلنا منهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

تحدثنا عن أمراض العلماء الربانيين، وقلنا أن هناك لهم أمراضٌ في الخفا، ونتحدث الآن عن أمراض الأخفى، فالله ﷻ يقول: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٧طه) فنهاك السر وهناك الخفا وهناك الأخفى، ومن جملة أمراض الأخفى:

المرض الأول: اشتغالهم بتربية المريدين وتعليمهم وترك جهاد أنفسهم:

يشتغلون بتربية المريدين وتعليمهم فيهملون مجاهدة أنفسهم ورعايتها حق الرعاية، فإذا أقامه الله ﷻ داعياً لحضرته اشتغل بالطالبين وزياراتهم ومجالستهم، ونسي جهاد نفسه، مع قول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه: (لا ينتهي جهاد النفس مع كُمَّل العارفين؛ حتى خروج النَفَس الأخير)

فما دام الإنسان يتنفس في هذه الدنيا، فهو مُعرضٌ للإبتلاءات، ومُعرضٌ للفتن من قِبَل النفس، ومعرض للحُجُب من قِبَل القلب، وكل هذه تحتاج إلى يقظة دائمة.

ولذلك قلَّ من الكُمَّل من يلاحظ ذلك، فيقوم بما هو واجبٌ عليه نحو تلاميذه وأحبابه، ولكن لا ينسى جهاد نفسه، لأنه لا نهاية لكمالات الله، وكذلك لا نهاية في مقامات الوصول إلى حضرة الله ﷻ.

فلا يزال المرء يترقى في أعلى المقامات، ومع ذلك لم يصل إلى ما كان عليه سيد السادات، والذي قال له ربه معلماً ومؤدباً لنا: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) ومعناها زدني فتحاً، وزدني شهوداً، وزدني عطاءًا، وزدني هبات، وزدني تجليات، وزدني من مكاشفة أسرار حضرة الذات .. زيادات لا حدَّ لها ولا انتهاء لها.

ولذلك فأي مراد لله يُقام في أي مقام لا يقف عند هذا المقام، بل يطلب الزيادة من الله على الدوام، وذلك بملاحظة جهاد نفسه وصفاء قلبه وهيام روحه في ذات الله ﷻ على الدوام.

---

١٣٥ الجميزة – السنطة –الغربية ١٠ من ذي القعدة ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٦/٩م

وإذا كان هذا نقوله للأفراد والكُمَّل من العارفين، فما بالكم بالمريد الذي يفتح الله عليه ربما بنَفَس من الفتح، أو بما يشبه خُرم الإبرة من الفتح، فيظن أنه من كبار الواصلين، ويحاول أن يجمع حوله المريدين، ويظن أنه انتهى من جهاد نفسه ووصل إلى مراده عند ربه ﷻ، وهذا داءٌ عضال قلَّ أن ينجو منه أحدٌ من المريدين إلا إن فنى عن نفسه وكله في شيخه، وسلَّم كله لشيخه ولله ولرسوله.

المرض الثاني: الشوق إلى المفارق:

كأن يشتاق إلى حب الظهور، بأن يظهر بالرياسات، أو يظهر بالكرامات، أو يظهر بالفتوحات، وأن يرى إقبال الخلق عليه فيظن أنه فتحٌ من الله فيفرح بهم وبثنائهم عليه وبتقبيلهم ليديه، وهذه آفة عُظمى عند الصادقين، قال إمامنا أبو العزئم ﷺ: (العالم يهتم بالقبول – أي من الله ﷻ – والجاهل يهتم بالإقبال) أي إقبال الخلق عليه، وهذه وحلة من أوحال التوحيد يقع فيها هذا العبد، نسأل الله ﷻ الحفظ من ذلك على الدوام.

فما بالكم بمن يشتاق إلى الأشياء الدنيوية؟! والشهوات النفسانية؟! كالطمع فيما عند المريدين من أموال، أو النظر والمجالسة للنساء، أو الطمع في أي شيء فانٍ كرياسة أو غيرها، وهذا أمرٌ نسأل الله ﷻ أن يحفظنا منه بصدقنا أجمعين.

المرض الثالث: الظن أنه وصل إلى مقام كن فيكون:

وهو أن يمن الله عليه فيكشف له نور:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ (الجاثية ١٣)

فيظن أنه وصل إلى مقام كن فيكون، ويريد أن يتصرف في الكون وفي الخلق بإرادته، ويظن أن هذا رحمة منه وشفقة بالعباد.

والعبد الصادق مع مولاه يقول كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

(كن) جزتها كان المراد لرتبتي والعين مقصـــودي وياء إمامي

تجاوز عن رتبة (كن) عندما خلعها عليه مولاه، حتى لا يُحجب بها عن الوصول إلى كمال القرب من حضرة الله جل في علاه.

ونضرب مثالاً لذلك، فلو أن رئيساً في أي عمل كلَّف نائباً له بالقيام بهذا الذي يقوم به، هل يوافق على أنه يتصرف في الأمور بإرادته ومشيئته دون الرجوع إليه؟ لا، فالله ﷻ وحده هو الفعال لما يريد، فإذا تفضَّل على عبد بمقام (كن) فهذا يكون اعلاءًا لشأنه ورفعة لمقامه، لكن الأنقياء المخلصين لا يقفون عند هذا المقام، بل يقولون: لا نريد إلا جمال وجهك، ولا نريد الكون ولا الكائنات بل نريد الله ﷻ:

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (٤٢النجم).

فإذا حُجب الإنسان بأي مقام وقف، والوقف لفتةٌ عن الطريق، واللفتة حجاب، ولذلك قالوا:

من لفتة حجبة والحجب نارلظى من فوق نارالغضا سيري لمنان

فما بالكم بمن يُحجب بنشره في مواقع التواصل كالفيس وغيره لبعض الحكم المنقولة، ويفرح بثناء بعض المحبين عليه، ويظن أنه بلغ مقام المشيخة لأن الناس يثنون عليه؟!!.

أو بمن بلغ مقام الكشف!!

والكشف أنواعٌ لا تُعد ولا تُحد، فيفرح إذا أخبر الناس بما يجول في خواطرهم، أو بما يجول في نفوسهم، لأنهم يعظموه ويكرموه، ونسى أن الصالحين يرون أن كل فضل وكل خيرٍ يحدث لهم يرفعونه وينسبونه إلى الله ﷻ:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ (٧٩النساء).

سُئل الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه:

لِمَ تفرح بثناء الصالحين والمحبين عليك؟

قال: وهل يثنون عليَّ؟!

إنما يثنون بما تفضَّل الله تعالى به عليَّ، فأنا أرى أنهم يثنون على الحق، وعلى مواهب الحق التي أكرمني بها.

فالثناء في الحقيقة لله:

(والعبد عبدٌ وإن علا، والرب ربٌ وإن تنزَّل).

الأمراض الظاهرة لعلماء الدنيا

أما الأمراض الظاهرة لعلماء الدنيا الجهلاء بالآخرة !!! ..

وإن كان بعضهم يتظاهر بالسير والسلوك لمعرفته بحب الخلق إلى هذا الصنف:

المرض الأول

الجدال بالباطل

الرجل منهم إذا أخطأ في حُكم وفشى بين الناس وعورض فيه، كره أن يخضع للحق وقام مجادلاً بالباطل ينصر نفسه على الحق خوفاً من أن يسقط من عين الناس !!!! أو تقل هيبته لديهم !!!، وهذا ليس من آداب العلماء العاملين ...

فنحن جميعاً ننصر الحق إن ظهر على لساننا أو لسان غيرنا.

يقول الإمام الشافعي ﷺ:

(ما ناظرتُ أحداً قط إلا وودتُ أن يظهر الحق على لسانه لا على لساني أنا)

لأنه هذَّب نفسه ويريد إظهار الحق بأي كيفية !! ...

أما الآخر ... فربما تتحرك نفسه فيغضب لعدم نصرة رأيه !!!!، فيجادل بالباطل ليحول الحق إلى باطل.

انظر إلى الشيخ العز بن عبد السلام ﷺ وأرضاه، وكان شيخاً للإسلام في بلاد الشام ثم انتقل شيخاً للإسلام في مصرنا ..

سأله سائل عن فتوى فأجابه، وكان السائل على عَجَل من أمره فمشى، وبعد أن مشى السائل وغاب عن ناظريه تذكر فيما أفتاه به، فوجد أن الفتوى غير صحيحة، والفتوى الصحيحة هي كذا وكذا، فأرسل يبحث عن السائل فلم يجده، فجاء بمنادٍ ينادي في كل شوارع القاهرة: أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى بكذا وهذه الفتوى خاطئة، وصحتها كذا وكذا، ودار المنادي في كل أرجاء القاهرة، لأن هؤلاء يقول فيهم الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب).

فإذا رأيت من يتكبر على الإعتراف بالخطأ والخضوع للحق فاعلم أنه جهولٌ وقريبٌ من الشيطان، ولا يشم رائحة العرفان أبداً مهما كان ظاهره !!! ...

لأن الله ﷻ يرجو أن يكون باطنه ممن قال الله فيهم:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن)

أن يخاف الله أولاً عند فتواه، أو عند قوله، أو عند شهادته، أو عند أي أمر يُستشار فيه، فيخشى الله فيقول ما يرضي الله ولو كان الذي أمامه ذو سلطان أو ذو صولجان أو ذو مال أو غيره، لأنه مندوبٌ عن النبي العدنان يقول الحق ولو كان الغير لا يرضاه، قال ﷺ:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا }[١٣٦]، وقال ﷺ:

{ وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[١٣٧]

المرض الثاني

تأويل الأحكام بما يناسب هوى الخلق

هذا المرض استشرى في هذا الزمان، فهو يقوم بتأويل الأحكام بما يناسب هوى الخلق، والعمل بالرخص لجلب الأموال وميل القلوب إليهم، فيأخذون من الناس أموالاً على أن يبيحون لهم شيئاً لا يبيحه الله، وعلى أن يفتوهم بجواز شيء وتحليله وهو محرمٌ في محكم كتاب الله، كمسائل الطلاق ومسائل المواريث ومسائل المعاملات وغيرها.

وانظر إلى الإمام مالك ﷺ، أراد والي المدينة في عصره أن يستفتيه في طلاق المكرة الذي أُكره على الطلاق، فقال: لا يجوز، فأراد أن يجوزّه له فلم يرضى لأنه يخالف شرع الله، فجلده وسجنه ولكنه لم يغير رأيه، لأنه مندوبٌ عن رسول الله في الإخبار بالأحكام كما قال له الله:

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (١٠٥النساء).

ولذلك كان العلماء في هذا الزمان الفاضل يهربون من القضاء خوفاً من ضغط الحكام، فالإمام أبو حنيفة ﷺ جُلد ليتولى القضاء فرفض رفضاً باتّاً، .... وسفيان الثوري دُعي إلى القضاء فتظاهر بالجنون.

---

١٣٦ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر ﷺ
١٣٧ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب ﷺ

وكان أصحاب رسول الله ﷺ وخيار التابعين يُسأل أحدهم عن الفتوى فيتدافعها، ويحول المستفتي إلى رجل آخر، وأحياناً كانت الفتوى تتحول إلى أكثر من سبعين رجلاً ثم تعود للأول، وكلهم كان يتحاشى الفتوى لقوله ﷺ:

{ أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ }[١٣٨]

فلا يُفتي إلا بما يعلم:

- أن فيه رضاء الله، وموافق لإجماع أئمة المسلمين.
- ولا يذهب إلى الفتاوى الشاذة مهما كان شأنها، ومهما كان برهانها، ومهما كان بيانها لقوله ﷺ: **{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ }**[١٣٩]

المرض الثالث

إهمال العناية بكتاب الله وسُنّة نبيه

إهمال العناية بكتاب الله وما أُلف فيه من العلوم، وبسُنَّة رسول الله، وبأقوال أئمة الهدى.

وضياع الأنفاس في علومٍ لا تغني ولا تُثمن من جوع:

كأن يشتغل الإنسان بعلوم الجدال، أو العلوم التي يحب فيها ويُستحب فيها التأويل ليظهر ويُظهر أمر نفسه، وهذا منتشرٌ في كتب أهل الجدل والمناظرة والفِرق المختلفة من علوم المتكلمين، ولذلك نحن لا شأن لنا بعلم الكلام وفِرقه وفروعه المختلفة، وإنما نرجع إلى قول السلف الصالح فيما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام في فهمهم للقرآن، وفي تأويلهم لسُنَّة النبي العدنان، فهذا هو المنجاة من فتن هذا الزمان.

نسأل الله ﷻ ....

أن يحفظنا من هذه الأمراض ... وأن يعالجنا من كل هذه الأغراض، وأن يجعلنا على بصيرة من أمرنا، وأن يجعلنا دائماً وأبداً ناظرين إلى عيوب نفوسنا وحسنات أحبابنا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٣٨ سنن الدارمي
١٣٩ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

الفصل الخامس

أمراض القلوب عند السالكين

تمهيـــــد

تداعيات الخواطر أهمية الخواطر أصناف الخواطر
علاج جميع وساوس الشيطان مداخل الشيطان إلى القلب

أمراض السالكين الصادقين

المرض الأول: شهوة الكلام

فضل الكلام الكلام النافع فضيلة الصمت الإفلاس والمفلس
تعلم الصمت نماذج للحكماء آفات اللسـان

المرض الثاني: الغضب

قوة الغضـــب الوقاية من الغضب
آثار الغضب على الإنســان تحول الغضـــب
صفة غضب النبي ﷺ أسبـــاب الغضب
العلاج الناجع لتجنب الغضب العلاج العملي للغضب

المرض الثالث: الحقـــد

السبب المساوئ العـلاج العفـو الرفـق

المرض الرابع: الحســـد

بين الحســـد والغبطة الحســـد المذمـوم
موقف المؤمن من الحسد طبيعـــة الحسـد
أسباب الحسد: ١: الغِيرة ٢: التكبر والغلو والاعتزاز بالنفس
٣: حب الرياســة وطلب الجاه ٤: الخوف من فوات المقصـد
٥: العداوة والبغضـاء ٦: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله
علاج الحســـد المناعـة من الحسد

المرض الخامس: حب الدنيا

الدنيا المذمومة الدنيا المحمـــودة القول الجـــامع
الزهـــد في الدنيـــا حب الدنيا ومشاكل الإنسان
ســـلفنا الصالح والدنيـا حكمة المؤمن في الحياة الدنيا

المرض السادس: البخل وحب المال

فتنة المال المال خير فوائد المال آفات المال
الشح والبخل الوقاية من البخل السخاء والإيثار

المرض السابع: فتنة حب الجاه والشهرة

أسباب الميل إلى الجاه الزهـد في الشهرة
الخمول والجاه الأتقياء الأخفياء فتنة الشهرة
أثر الثنـاء علاج حب الجاه الملامتية حسن الخاتمة

المرض الثامن: الرياء

حقيقة الرياء أسباب الرياء
إخلاص العمل لله ذم الريـاء أنواع الريـاء
درجات الريـاء علاج الرياء إظهار العمل لقصد حسـن

المرض التاسع: الكبر

علامات الكبر ذم الكبر التواضع لله
صور المتكبرين أسباب الكبر ١: العلم
٢: العبادة ٣: الحسب والنسب ٤: الجمال علاج الكبر
١: معرفة حقيقة نفسه ٢: تذكر أحوال السلف الصالح
أخلاق المتواضعين صفة رسول الله ﷺ

المرض العاشر: العجـب

ذم العجب بين العجب والذنوب آفات العجب
عـلاج العجب إعجاب المرء برأيه

المرض الحادي عشر: الغـرور

حقيقة الغرور أصناف الغرور
وصف الصالحين المخلصين أصنـاف المغترين
النجـاة من الغرور

الفصل الخامس

تمهيد[١٤٠]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العزيز العليم، والشكر لله ﷻ على ما أولانا به من كل أنواع النعم والنعيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم مصدر كل خير لنا عميم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه ومشى على دربه إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين.

تداعيات الخواطر

ما الآثار التي تتجدد وتدخل إلى القلب وتغير ما بداخله وتجعله تتوارد عليه الخواطر المحمودة، أو الخواطر المذمومة؟.

قلب كل إنسان يستمد ما فيه ظاهراً من حواسه التي بها يحصِّل من العالم الخارجي ويوصِّل إلى القلب ..

وله استمداد آخر من عالم الباطن، من الخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان، وينتج عن هذه المداخل الظاهرة والباطنة الخواطر في باطن القلب.

أهمية الخواطر

والخواطر هي ما يحصل في القلب من الأفكار والأذكار ..وهي المحركة للإرادات .

فإن الإنسان بداية يأتيه الخاطر في باطن القلب، ... والخاطر يحرك الرغبة في الفعل، كأن يرغب في فعل خير إن كان خاطراً محموداً، أو في فعل شر إن كان خاطراً مذموماً.

والرغبة تحرك العزم والعزيمة في الإنسان بأن يعزم على أن ينفذ ما طلبه منه الخاطر.

والعزيمة تحرك النية فينوي أن يفعل هذا الفعل.

والنية هي التي تحرك الأعضاء.

والأعضاء جنود تنفذ ما يُلقى إليها من البنود، ولذلك جعلهم الله ﷻ على الإنسان

---

١٤٠ الجميزة – السنطة –الغربية ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/١١/١٧م

شهود، لأنهم لا يفعلون إلا مايؤمرون به من الخواطر القلبية.

إذاً أي عمل يعمله الإنسان تكون بدايته خاطرة، والخاطرة تحرك الرغبة في هذا العمل، والرغبة تحرك العزيمة فلا تزال بالإنسان حتى يعزم على فعل هذا الأمر، وإذا عزم فإن النية هي التي تحكم على هذا العمل وعليها يُثاب أو يُعاقب، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[١٤١]

والنية بعد ذلك هي التي تحرك الأعضاء لتفعل وتنفذ ما تريده الخاطرة التي تغلَّبت على باطن القلب.

أصناف الخواطر

- الخوطر صنفان:
- إما خواطر مذمومة:

وهي التي تدعو إلى الشر في الدنيا وإلى الضرر والخسران في الآخرة.

وهذا الخاطر نسميه وسواس.

وهو الذي يتهيأ به الإنسان لقبول وسواس الشيطان، وإذا قَبِل ذلك نسمي هذا العمل اغواء وخذلان لأن الشيطان أغواه بأن يفعل شيئاً يخالف شرع الله أو يُغضب الله جل في علاه.

- وإما خواطر محمودة:

والخاطر المحمود هو الذي يدعو الإنسان إلى فعل الخير في الدنيا والشيء النافع له والرافع له في الدار الآخرة.

والذي يدعو إلى ذلك نسميه إلهام.

والإلهام يأتي من المَلَك، فكما أن الوسواس يأتي من الشيطان، فالإلهام هو اللُّطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير، وهذا اللُّطف نسميه توفيق:

---

١٤١ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨هود).

إذاً ما يوسوس به الشيطان للإنسان يكون نتيجة لخذلان يتعرض له هذا الإنسان عقوبة له وحرمان لشيء فعله يُغضب الرحمن ﷻ.

والذي يُلهَم به الإنسان لفعل الخير يكون توفيقاً من الله عن طريق المَلَك، لأن الله يريد لهذا الإنسان خيراً، قال تعالى:

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ (٧٠الأنفال)

وقال مُفصلاً ذلك رسولنا الكريم ﷺ:

{ إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ }[١٤٢]

وقال ﷺ عن حقيقة صُنع الله للإنسان:

{ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ }[١٤٣]

وحاشا لله ﷻ عن الأصابع الحسية، وإنما أشار بذلك الصالحون إلى أن القلب يتردد بين القبض وبين البسط، بين الجلال وبين الجمال:

فإذا واجهه الله ﷻ بجماله فرح وسُر وانبسط وأقبل على الطاعات والقربات وهو فرح ومسرور، وإذا واجهه الله ﷻ بجلاله انقبض عن فعل الطاعات، وهنا قد يتدخل له الوسواس فيهوي به إلى السوء والفحشاء، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة.

وقال ﷺ موضحاً ببيانٍ أجلى هذا الأمر:

{ مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلا لَهُ شَيْطَانٌ، فَقُلْتُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَنَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ }[١٤٤]

---

١٤٢ سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ
١٤٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﷺ
١٤٤ صحيح مسلم وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها

وهنا استنبط العلماء العاملون من كلمة: (فأعانني عليه فأسلم) أنه إما أن يكون نطق بكلمة الإسلام وأصبح مسلماً، أو أسلم يعني سلَّمه الله ﷻ من شره.

ونحن نقول: أنه بالنسبة للحبيب ﷺ أسلم الشيطان لله وأصبح طيّعاً هيّناً ليّناً مع حبيب الله ومصطفاه، أما بالنسبة لجميع المؤمنين؛ فإن الله يُسلِّمهم من شره، ويُدخلهم في قوله ﷻ:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر)

فلا يكون له تسلط على قلب المؤمن التقي النقي بوسوسة ولا بدسيسة ولا بخديعة ولا بإغواء ولا بإضلال .. لأن الله حفظه بحفظه وصيانته ﷻ:

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٦٤يوسف).

علاج جميع وساوس الشيطان

علاج الوساوس الشيطانية يكون بذكر الله والاستعاذة والتبري من الحول والقوة، وهو معنى قولك: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وذلك في قول ربنا ﷻ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (٩٨النحل).

وهكذا إذا أردت أي عمل خيّر أو عمل برّ :

- عليك أن تبدأ قبله بقولك: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).
- ثم تتبرأ من نسبة هذا العمل لنفسك فتقول: (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فتأتيك المعونة من ربك، وتدخل في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) ... نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

والذي يعين على وساوس الشيطان وعدم قبول القلب لها، قوله ﷺ:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ}[١٤٥]

١٤٥ ورد في التفسير الكبير للرازي، وذُكر في الإحياء، وقال العراقي متفق عليه دون قوله "فضيقوا مجاريه بالجوع "

فسلاح الشيطان هو:

- الهوى والشهوات.

وأغمض أنواع علوم المعاملة هي الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان، وهي لا تُتلقى إلا من فم العارفين الصادقين، وهذه العلوم فرض عين على كل عبد.

ولا ينجي من كثرة الوساوس إلا سد أبواب الخواطر كلها:

الحواس الخمس من الظاهر .

وأبوابها من الداخل كالشهوات وعلائق الدني ...

فإذا سدَّ العبد المؤمن هذه المداخل دخل في قوله ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ }[١٤٦]

ويُنضي يعني يُضعف.

مداخل الشيطان إلى القلب

ما المداخل التي يدخل منها الشيطان إلى القلب؟

له أبواب عظيمة يدخل منها إلى القلب:

١- الغضب والشهوة:

فإن الإنسان إذا غضب فقد صوابه، وقد يغيب وعي عقله فيأتي بكل ما يرضي الشيطان من الخصومة والبغضاء والتفرقة والأذى.

وكذلك الإنسان إذا غلبته شهوة قاهرة واستسلم لها جرفته في كل واد سحيق، رُوي أن موسى كليم الله عليه وعلى نبينا أفضل السلام لقي إبليس، فقال له إبليس:

{ يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلمك تكليماً إذ تبت، وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليَّ، قال موسى: نعم، فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقي موسى إبليس، قال:

---

١٤٦ مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

قد أُمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال إبليس: يا موسى إن لك عليَّ حقاً بما شفعت لي إلى ربك، فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن، اذكرني حين تغضب فإني أجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته حتى يولي، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها }[١٤٧]

٢- الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً:

فإن الشبع يقوي الشهوات، والشهوات تغذي الشيطان في أعماق الإنسان وتقويه، رُوي أن إبليس ظهر ليَحيَ بن زكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فرأى عليه معاليق من كل شي، فقال له:

{ يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم، قال: فهل لي فيها من شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا، قال: لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً، قال إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً }[١٤٨]

٣- من أبواب إبليس الواسعة حب التزيُّن من الأثاث والثياب والدور:

فإن الشيطان إذا رأى ذلك على قلب إنسان لا يزال يدعوه إلى عمارة الدنيا وتزيين بيوته، فإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى عن الاشتغال به مرة ثانية، لأن بعض ذلك يجره إلى البعض، فلا يزال الإنسان ينساق من أمر إلى أمر حتى ينتهي الأجل ولم يُحصِّل ما به النجاة يوم لقاء الله ﷻ.

٤- الأموال من الدراهم والدنانير وغيرها من أصناف الأموال العربية والأجنبية:

فإن الغزالي ﷺ يقول: (إن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان، فإنه من كان قوته معه فهو فارغ القلب).

---

١٤٧ أخرجه ابن أبي الدنيا وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عمررضي الله عنهما
١٤٨ تاريخ دمشق لابن عساكر

قال ثابت البناني: لما بُعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو؟ فانطلقوا ثم جاءوا وقالوا: ما ندري، قال: أنا آتيكم بالخبر ثم ذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله محمداً.

قال ثابت فجعل إبليس يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين، ويقولون: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيُمح ذلك كله عنهم، فقال لهم إبليس: رويداً بهم عسى أن يفتح الله لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا.

فحبُّ المال يجر معه الكثير من الصفات المهلكة، كالبخل والحرص وخوف الفقر والادخار والكنز، وربما يجر إلى منع حق الفقير، وربما يجر إلى الطمع بما في أيدي الناس، وكل هؤلاء يمنعون الإنسان من الاستقامة على الطريق القويم والصراط المستقيم.

٥- التعصب للمذاهب والأهواء والأشخاص:

وما تفرقت الأمَّة الإسلامية وتمزقت إلا من تعصبها للمذاهب وللأشخاص ولآراء الأفراد، ولكنهم لو تعصبوا لدينهم وتعصبوا لقرآنهم وتعصبوا لنبيهم وقالوا: كل ما بعد النبي إنما هو رجل نأخذ من كلامه ونترك، لانصلح حال الأمة جمعاء لأنهم سيكون أمرهم جميعاً.

قال الله ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ (١٥٩الأنعام)

شيعاً يعني أحزاباً.

وقال الله تعالى للمؤمنين الصادقين:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (١٠٣آل عمران).

٦- سوء الظن بالمسلمين:

فإن الواحد منهم يتجنب أذى الناس، وإذا أصيب بسوء الظن يتربى على الخوف من الآخرين لسوء ظنه بهم، فإذا أخطا أحد معه سارع إلى القول: لقد تحقق ظننا، ونسي أن ديننا أمرنا أن نلتمس للأخ في الله إلى سبعين عذراً، فإن لم أجد له عذراً من السبعين أقول:

العيب فيَّ وليس في أخي.

فسوء الظن بالمسلمين باب واسع من أبواب الشيطان ... نسأل الله أن يحفظنا منه أجمعين ... وأن يجعلنا نظن الخير بجميع المسلمين.

وعلى الجملة ..

فإن سلاح الشيطان فينا:

- هو كل صفة مذمومة عقلاً وشرعاً.
- فمن تنقَّت أعماقه من كل صفة مظلمة أشرقت أنوار السلام فيه وارتحل الشيطان عنه لأنه لا يعيش في النور أبداً.

وعلاج الإنسان من الشيطان:

- يكون بتطهير القلب من هذه الصفات.
- وأن يُكثر من ذكر الله، فإن المؤمن إذا ذكر الله فإن الشيطان يخنس، وإذا غفل عن ذكر الله فإن الشيطان له يوسوس.

قال حكيم من الحكماء مُلخصاً هذا الباب:

(الشيطان يأتي ابن آدم من قِبَل المعاصي، فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبَى أمره بالتحرك والشدة حتى يُحَرِّم ما ليس بحرام، فإن أبَى شكَّكه في وضوئه وصلاته حتى يُخرجه عن العلم، فإن أبى حبَّب إليه أعمال البروهونها حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه فيُعجب بنفسه وبالعُجب يُهلكه، وعند ذلك يشتدُّ إلحاحه فإنها آخر درجة، والشيطان يعلم أنه لو جاوزها المسلم المؤمن أفلت منه إلى الجنة).

نسأل الله ﷻ أن يقينا من كل وساوس الشيطان ودسائس النفس ..

وأن يجعلنا دائماً وأبداً من عباد الله الذين يلهمهم الله بالخير على الدوام، ويوفقهم لفعل الخير على مدى الأيام ...

ويكمل لهم التوفيق بالعمل على اتِّباع خير الأنام حتى نُحشر معه يوم الزحام.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

أمراض السالكين الصادقين[١٤٩]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي أقامنا في مقام يحبه ويرضاه، ووالانا دوماً بخيره وبره وفضله ونعماه، ورزقنا بغير حول ولا طَول منا حُسن المتابعة لحبيبه ومصطفاه، والصلاة والسلام على نور قلوب الأصفياء، وعنبر مشام الأتقياء، سيدنا محمد وآله النجباء، وصحابته الأتقياء الأنقياء، وكل من تابعه على هذا الهُدى والنور إلى يوم العرض والجزاء، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين في الدنيا والآخرة يا أكرم الأكرمين.

تحدثنا فيما سبق عن أمراض الخفا ثم أمراض الأخفى، ثم أمراض العلماء الجهلاء بأمر الله وبالآخرة التي سندخلها جميعاً عاجلاً أو آجلاً كما أخبر عنها الله.

ونبدأ في شرح أمراض السالكين الصادقين، لعل الله ﷻ ينبهنا ظاهراً وباطناً ويخلصنا من كل هذه الأمراض، ويعافينا من هذه الأعراض، ويشفينا من كل الأغراض، حتى لا يكون لنا غرض إلا النظر إلى وجهه الكريم، وجوار حبيبه الرؤوف الرحيم ﷺ.

المرض الأول: شهوة الكلام

أول أمراض السالكين وأكثرها شدة وأعظمها شهوة هو مرض شهوة الكلام، فإن للكلام شهوة عند معظم الأنام قلَّ من ينجو منها إلا من تولاه الله، وأدَّبه بما أدَّب به حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فضل الكلام

ليس معنى أن الكلام له شهوة أن نترك الكلام ونديم الصمت، فإن الكلام فريضة خُلُقية وفريضة دينية، فإذا كان في نُصرة إنسان مظلوم لا بد أن أدافع عنه، ومن رأى مظلوماً ولم يدافع عنه يكون كما ورد بالأثر: (الساكت عن الحق شيطان أخرس).

ولذلك ما أكثر الشياطين في زماننا الذين يمتنعون عن شهادة الحق، مع سماعهم ورؤيتهم لكل ما دار، لنجاة إنسان من العقوبات الدنيوية، ويحرم نفسه من الفوز بما أعدَّ الله ﷻ لأهل شهادة الحق، ويجر نفسه بنفسه إلى النار، لأن شهادة الزور من الكبائر.

كذلك الكلام فريضة في قول الحق، ولذلك قال سيد الخلق ﷺ:

---

١٤٩ الجميزة – السنطة –الغربية ١٧ من ذي القعدة ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٦/١٦م

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا }[١٥٠]، وقال ﷺ:

{ قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[١٥١]

فالإنسان المؤمن مطالبٌ بأن يتكلم في مثل هذه الحالات ولا يصمت !!!

فإن صمت فهو شيطان.

كذلك الكلام فريضة خُلُقية ودينية في تعليم أي إنسان ما ينفعه في الدنيا أو في الآخرة، فإن الإنسان لا يستطيع أن يتعلم تعليماً صحيحاً إلا من مُعلم ...

وقد يتعلم من المُعلم من صمته وسجاياه وأخلاقه، ولكن لا بد أن يعبر عما في قلبه وجنانه ومكنون علمه لينفع به غيره.

ولذلك رفع الله العلماء إلى درجة الأنبياء، فقد قال الله ﷻ في حق سيد الأنبياء:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب)

وقال ﷺ في حق العلماء الذين هم أولياء:

{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ }[١٥٢]

فهذه المنزلة وَرَثها لأنه يُعَلِّم كما أمر الله ﷻ الأنبياء بالتعليم.

ولذلك قال رسولنا الرؤوف الرحيم ﷺ:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا }[١٥٣] وقال ﷺ:

{ بالتعليم أُرسلت }[١٥٤]

أي أرسله الله ﷻ ليُعلِّم غيره.

---

١٥٠ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر ﷺ
١٥١ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب ﷺ
١٥٢ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﷺ
١٥٣ سنن الدارمي وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٥٤ رواه ابن ماجة في سُننه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مجلسان مجلس يتفقهون ومجلس يدعون الله تعالى ويسألونه فقال: « كِلا المجلسين إلى خير أما هؤلاء فيدعون الله وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل هؤلاء أفضل بالتعليم أرسلت » ثم قعد معهم.

الكلام النافع

فإذا لم يكن الكلام في مرافعة أو تعليم أو صُلح أو مذاكرة أو مجلس ذكر لله، فالصمت منه أولى ومنفعته أكبر للإنسان وللمجتمع وللفرد وللجماعة.

وفي ذلك يقول الله ﷻ:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١١٤النساء).

فبيَّن ﷻ أن الذي يستحبه من الكلام من جميع الأنام ما حددته آيات القرآن، وما سواه قد يكون كبيرة على الإنسان، أو يكون أمراً لا يستحبه حضرة الرحمن، أو على الأقل أمر ليس فيه نفع في الدنيا أو الآخرة للإنسان.

فضيلة الصمت

ولذلك ركَّز نبينا ﷺ مع صحبه الكرام في أول فضيلة درَّبهم عليها علماً وعملياً، وهي فضيلة الصمت، فقد قال ﷺ:

{ الصَّمْتُ حِكَمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ،
وَمَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ } [١٥٥]

قلَّ من يصمت !!!

لأن الإنسان تدفعه شهوة الكلام إلى الكلام في أي مجال وفي أي كلام، وهذا ما نراه قد استشرى في زماننا هذا.

فترى كثير من الناس في مجتمعنا في هذا الزمان يتكلم في الدين كأنه عالمٌ بالدين، ويتكلم في السياسة كأنه سياسي محنَّك !!!، ويتكلم في الرياضة كأنه ناقد رياضي مشهور، ويتكلم في الإقتصاد كأنه خبير اقتصاد عالمي !!!، ويتكلم في المسلسلات والأفلام والأغاني كأنه موسوعة كبيرة في هذا المجال !!!، ويتكلم في أي مجال ولو كان في غير تخصصه !!!، لأنه يريد أن يتكلم ويظهر، وهذا لأنه لم يجاهد شهوة الكلام التي استهوتها له النفس، وترك نفسه على سجيتها.

---

١٥٥ جامع المسانيد والمراسيل، العسكري عن أبي الدَّرداءِ رضيَ اللَّهُ عنهه.

ويتكلم الساعات الطوال !!! فإذا طلبت منه أن يذكر الله أو يقرأ في كتاب الله تجد منه مللاً سريعاً، وتجد منه ضيق صدر، وتجد منه أنه يريد الفرار، مع أن هذا هو الأمر النافع له في الدنيا والآخرة كما بيَّن الله ﷻ، قال ﷺ مبيناً آفة الكلام:

{ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ }[١٥٦]

كلما تكلم الإنسان أكثر كلما كانت أخطاؤه أكبر، وهي إما في حق الله، وهذا يُؤاخَذ به، ولا يتحمل أحدنا المؤاخذة يوم لقاء الله، فإن من الناس من يتهدَّل وجهه وينزل لحمه حياءًا من الله وخجلاً من الله عندما يواجه مولاه.

الإفلاس والمفلس

ويا خيبته إذا كان يتحدث عن الخلق، فذلك يتركه مفلساً من الحسنات يوم القيامة، لأنه ربما ينتهي رصيده من الحسنات من كثرة حديثه عن الخلق، فكلما تكلم عن رجل أُخذ من حسناته بالقدر الذي تكلَّم به وحُولت إلى رصيد غيره، فإذا داوم على ذلك نفد الرصيد، ونبهنا النبي ﷺ إلى هذا فقال ﷺ:

{ أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا:
الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ،
قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ،
وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذا، وَضَرَبَ هَذَا،
فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،
فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ،
أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ،
ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }[١٥٧]

إذاً ما الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن؟ رسم لنا ﷺ الهَدْي المبارك الذي ينبغي أن نكون عليه، فقال ﷺ:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ }[١٥٨]

---

١٥٦ المعجم الأوسط للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٥٧ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
١٥٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

إذا لم يتكلم بكلام فيه خير له أو لغيره فليلتزم بالصمت، بل وأمرنا أننا إذا رأينا رجلاً يديم الصمت أن نذهب إليه لأن الله يلقنه الحكمة، وهو بدوره إذا ذهبنا إليه يلقننا الحكمة، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ }[١٥٩]

تعلم الصمت

وكان ﷺ يُعلِّمهم الصمت عملياً، فكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وهو من أفراد هذا المقام يقول:

(كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام) [١٦٠]

لذلك كان رضي الله عنه عندما يمشي يضع حصاة على لسانه، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما هذا يا خليفة رسول الله؟ فقال رضي الله عنه وأرضاه وأمسك بلسانه: (هذا الذي أوردني الموارد) يعني هذا الذي يضع الإنسان في الموارد التي لا يحبها الله إن لم يستطع أن يسيطر على شهوة الكلام وعلى حظه وهواه، وبيَّن النبي ﷺ أن علامة النجاة في الدنيا لمن أراد أن ينجو من عذاب الله غداً، هي قوله ﷺ:

{ مَنْ صَمَتَ، نَجَا }[١٦١]

فمن يصمت ويديم الصمت إلا في الضرورات فقد نجا من الشرور والآثام، ونجا من مظالم وحقوق العباد، وينجو بفضل الله إلى محاب الله ومراضيه.

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (والذي لا إله غيرُه ما على ظهرِ الأرضِ شيءٌ أحوجُ إلى طولِ سجنٍ من لسانٍ) يعني اللسان هو الذي يحتاج إلى أن يسجنه الإنسان، ولذلك جعل الله له بوابتان وليست بوابة واحدة، البوابة الداخلية هي الأسنان، والبوابة الخارجية هي الشفتان، ولكن الذي يحرك ويمسك اللسان هي نفسك التي بين جنبيك، فينبغي أن تجاهد حتى تتحكم في لسانك ويكون كما يحب الله، وتدخل في قول الله:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ (البقرة ٢٦٩).

---

١٥٩ الرسالة القشيرية وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير رضي الله عنه

١٦٠ وفي مكارم الأخلاق للخرائطي عن أبي حبيب القاضي، أن أبا الدرداء، كان يقول: «تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام، فإن الصمت حكم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكا من غير عجب، ولا مشاء إلى غير أرب يعني إلى غير حاجة»، وورد قريب منه في قوت القلوب وفي فيض القدير عن السلف رضى الله عنهم أجمعين.

١٦١ سنن الدارمي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ولذلك سيدنا عبد الله بن مسعود :

ﷺ كان له تلميذ يُسمى الربيع بن الخيثم، وكان من كُمَّل الصالحين، وكان يقول له عبد الله: **(لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك)** لماذا؟

كان هذا الرجل يحضر كل يوم ورقة وقلماً، ويكتب فيها كل كلام يتفوه به لسانه، ثم يحاسب نفسه على هذا الكلام في آخر النهار، فإذا وجد ما يستوجب الاستغفار ندم واستغفر لله، وإذا وجد كلاماً طيباً حمد الله وشكره واستزاده من عطاياه.

سيدي مكين الدين الأسمر ﷺ وأرضاه :

وهو من تلاميذ سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، وقال فيه سيدي أبو الحسن: **(مكين الدين رجلٌ من الأوتاد)** يعني بلغ مقام الأوتاد، والأوتاد أربعة يثبت الله بهم قلوب الرجال الصادقين في كل أرجاء المعمورة.

كان هذا الرجل يشتغل حائكاً – يعني خياطاً – والخياط كما نعلم دائماً حانوته مملوء بالزائرين والوافدين، ولكنه كان يقول: **أقوم كل ليلة قبل غروب الشمس، وأحاسب نفسي على ما تفوهت به من كلام في هذا اليوم، فأجدهم لا يزيدون عن أربع عشرة كلمة، فما وجدتُ فيها من خير حمدت الله واستزدته من ذلك، وما وجدت فيها غير ذلك استغفرت الله وتبت وندمت على هذا الفعل، ودعوت الله أن يحفظني من هذا الصنيع.**

وهكذا كان السلف الصالح ....

وسيرهم مملوءة بما لا نستطيع ذكره من هذا الفيض الكبير في :

- جهادهم لآفات اللسان.
- وفي جهادهم لإلتزام صمت اللسان عن الكلام.
- وصمت القلب والجنان عن الفكر والخواطر في غير حضرة الرحمن، أو حضرة النبي العدنان ﷺ.

آفات اللسان

ولذلك كانوا يذاكرون آفات اللسان مذاكرة طيبة، ليُحسنوا تجنبها ولا يقعون فيها.

وآفات اللسان أكثر من عشرين آفة.

- منها قسم هو ضررٌ محض: لأنه يُعرض صاحبه للأذى في الدنيا والآخرة، فلا بد له من السكوت عنه كالغيبة والنميمة والكذب والقول الفاحش والسب واللعن والسخرية والاستهزاء وأوصاف النفاق وإفشاء الأسرار.
- وقسمٌ هو نفعٌ محض: وهو قول الحق، ونُصرة المظلوم، وتعليم الإنسان ما ينفعه، ومجالس الصُلح، ومجالس ذكر الله، ومواساة المرضى ومن لهم ميتٌ، ومن له شدةٌ وقع فيها.
- أما القسم الذي قد يضُر ولا ينفع: فكلام الإنسان فيما لا يعنيه؛ فهذا ضرر لا نفع فيه، وكذلك فضول الكلام، يعني الكلام رغبة في الكلام لا رغبة في نفع الأنام، وهو ما نسميه التسالي وتزكية الوقت بالكلام، وهذا ضرر لا نفع فيه، وكذلك مثلهم الخوض في الباطل، والمراء – يعني الجدال – بين الناس فيما لا نفع فيه ولا فائدة فيه، وسؤال العوام عن ما لا يمكنهم أن يفهموه من علم التوحيد، فما لهم ولهذا الشأن؟ فهذا شأنٌ لا يخصهم.
- أما القسم الذي قد يكون فيه ضرر وقد يكون فيه نفع: كسماع الغناء والمزاح والمعاريض في الكذب والمدح للآخرين وتزكية النفس، فهذا يتوقف نفعه على نية صاحبه وضرره على قدر نية قائله.

وقد فصلنا هذه الآفات في كتابنا (آداب المحبين لله) فعلى الأحبة الرجوع إليه ودراسته – وليس قراءة فقط – لنعلم آفات اللسان، فنتوقف عن الخوض فيما لا يعنينا منها جميعاً، ونهذب أنفسنا بفضيلة الصمت التي هي فضيلة النبيين والمرسلين والصديقين والصالحين.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على جهاد أنفسنا، وأن يجعلنا بما سمعنا عاملين، وأن يبلغنا ما نصبوا إليه من رفعة عند رب العالمين، ومن سمو مقام عند أمير الأنبياء والمرسلين، وأن يجعلنا من وجهاء الله ﷻ في الدنيا والآخرة أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المرض الثاني: الغضب[١٦٢]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على واسع فضله وعظيم عطائه.

والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين بمنك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الغضب قوة وضعها الله في الإنسان في قلبه، قال فيها ﷺ:

{ أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ }[١٦٣]

والإنسان لما كان فيه عناصر الأرض الأربع التراب والماء والهواء والنار، وكل عنصر من هذه العناصر له وظيفة حددها له الرحمن يقوم بها في حياة الإنسان، فإن النار التي جعل الله جزء منها في قلب الإنسان يتولد منها قوة الغضب.

قوة الغضب

قوة الغضب ...

وضعها الله ﷻ في الإنسان ليتمكن بها من صد العداوات عن نفسه، ومواجهة الشدائد، أو ليوجهها للنفس وجندها لكي يستطيع جهاد نفسه فيصل بالصفاء والنقاء إلى معرفة ربه ﷻ.

ومن هنا فإن الغضب منه الغضب المذموم ومنه الغضب المحمود.

فالغضب المذموم:

- إذا كان الإنسان يغضب من أجل نفسه.
- أو من أجل شيء في نفسه.
  - وهذا نهى عنه الله ﷻ.
  - وحمد من كظم غيظه وتملَّك غضبه.

---

١٦٢ الجميزة – السنطة –الغربية ١٥ من ذو الحجة ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٧/١٤م

١٦٣ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ولذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

{ أَوْصِنِي قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ }[١٦٤]

وجاء رجل إلى النبي وقَالَ لَهُ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي قَوْلًا وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعْقِلُهُ، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا تَغْضَبْ }[١٦٥]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ قائلاً:

{ مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: لَا تَغْضَبْ }[١٦٦]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:

{ مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ }[١٦٧]

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

{ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ}[١٦٨]

وعن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ:

{ مَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ }[١٦٩]

وقال أبو الدرداء:

{ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ }[١٧٠]

---

١٦٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٦٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن الأحنف بن قيس ﷺ
١٦٦ مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٦٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ
١٦٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
١٦٩ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٧٠ المعجم الأوسط للطبراني عن أبي الدرداء ﷺ

الوقاية من الغضب

فإذا نظرنا إلى هذه الأحاديث فإن العمل الذي يقي الإنسان من غضب الله، والعمل الذي يقي الإنسان من دخول جهنم والعياذ بالله، والعمل الذي يُدخل الإنسان الجنة هو كله عملٌ واحد وهو أن يكف الإنسان نفسه عن الغضب الذي نهى عنه الشارع الحكيم والقرآن الكريم والنبي الرؤوف الرحيم ﷺ.

والذي يتناوب قلب الإنسان إذا تمكن من السيطرة على الغضب هو الرضا؛ أن يرضى ويكون راضياً عن الله وعن عباد الله ﷻ.

فالغضب والرضا شعوران يتناوبان على قلب الإنسان يتداولان سلطانهما على باطنه كله، فالغضب شعور الإنسان وردَّة فعله الطبيعية أمام أي شيء يكرهه من الحياة، وكل أذى يصيبه من صاحب أو عدو، لذلك ينبغي علينا إذا غضبنا أن نراعي حدود الله في غضبنا، وأن نستعيد جمال الرضا في أعماقنا.

آثار الغضب على الإنسان

والإنسان عندما يغضب فإن الغضب له آثارٌ كثيرة:

- سواءٌ على قلب الإنسان.
- أو على قالبه وجسمه وأعضائه.
- فإن الغضب الكثير المفرط قد يُذهب عافية البدن وقوته.
- وقد يعبث بطمأنينة النفس.
- وقد يُقلق سكينة العقل.
- وقد يطمث شفافية الروح.
- بل يسبب الكثير من الأمراض:
  - منها العصبي كالنرفذة والتوتر الدائم.
  - ومنها البدني ابتداءاً من أمراض البشرة والجلد إلى أمراض الجهاز الهضمي إلى أمراض الجهاز الدموي إلى أمراض القلب.

- ولذلك نجد الشرع يحث الإنسان على عدم الغضب.
- والعقل كذلك – لمصلحة الإنسان – يدعوه إلى ترك الغضب.
- بل والطب – لما يسببه الغضب من أمراض – ينصح الإنسان بعدم الغضب.
  - فالغضب في هذا – كما ذكرنا – يضر الإنسان في نفسه.
  - ويضر المجتمعات التي يحدث فيها ويكثر فيها الغاضبون من أهلها وسكانها.

لكن هناك أمرٌ لا بد أن ننتبه له:

وهو أن الإنسان إذا فقد الغضب يجعل الإنسان عاجزًا عن إصلاح نفسه ورياضتها، لأن الرياضة للنفس والتهذيب لها يكون بتسليط القوة الغضبية على قوة الشهوة، فيحدث الاعتدال للإنسان ويتمكن الإنسان من الحياة الطيبة التي قال فيها الله ﷻ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل).

وهناك أمرٌ آخر يحدث للإنسان عند الغضب، ونراه جميعاً ونتحاشى هذا المنظر، ولو دققنا منظر الإنسان عند الغضب وهيئته وشكله لأمسكنا جميعاً عن الغضب، وتجملنا بالعفو والصفح والحلم والأخلاق الكريمة التي دعانا إليها الله، ولذلك يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه:

(لو رأى الغضبان قُبح صورته عند غضبه؛
لسكن غضبه حياءًا من قبح صورته واستحالة خلقته).

فالغضب يؤثر على كل أعضاء الإنسان، ويجعل الإنسان لا يستطيع السيطرة على لسانه فربما يشتم، وربما ينطق بالفاحش من القول، وربما يضطرب بالنطق فلا يستطيع أن يأتي بالألفاظ على وجهها الصحيح، وربما يتخبط في النطق بالحروف، كل ذلك لأنه فقد السيطرة على لسانه.

- فإذا جئنا إلى الأعضاء نجد الإنسان عند الغضب قد يلجأ أحياناً إلى الضرب، أو إلى التهجم على من يرى فيه عداوة له، أو إلى القتل، أو إلى الجرح عند التمكين، وقد يضرب ما يجده أمامه إذا لم يتمكن من عدوه إن كان جماد أو حيوان، فقد يكسر مائدة أو يكسر باباً.

- وإن هرب منه المغضوب عليه وعجز عن التشفي رجع الغضب إلى صاحبه فربما يمزق ثوبه، أو يلطم خده، وقد يضرب بيده على الأرض ويجري سريعاً، وقد يصدر منه أفعال لا تصدر إلا من المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها، وهذا أمر نشاهده أجمعين ساعة الغضب، نسأل الله الحفظ والسلامة.
- أما آثاره في ظاهر الإنسان:

فنجد أن لونه قد تغير، ... ونجد أطرافه قد ترتعش من شدة غضبه، ... وتخرج أفعاله عن الترتيب والنظام، وتضطرب عنده الحركة ويضطرب الكلام، حتى يظهر على أشداقه زَبَدٌ كزَبَد البحر أثناء الحديث أو أثناء الكلام، ... وتحمر أحداقه ... وقد تنقلب مناخيره وتستحيل خلقته.

وقد يكون بعد ذلك لا يستطيع أن يُظهر كل ذلك، ولكن الأمر إذا خرج عن نطاق سيطرته ظهرت هذه الأمور عليه رغماً عنه، وإن أنكرها عندما يرجع إلى طبيعته، وعندما يُهدئه من حوله ويظهر في حالته الطبيعية.

تحول الغضب

أما إذا لم يستطع الإنسان أن يُظهر غضبه فيما ذكرناه:

- فإن الغضب ينقلب إلى قلبه فيتحول إلى حقد وحسد لمن هو غاضب عليه.
- وقد يتحول إلى إضمار السوء له.
- وقد يشمت فيه إذا أصابته مصيبة، وقد يحزن إذا جاءه ما يفرحه.
- وقد يعزم على إفشاء سره الذي حكاه له فيما بينه وبينه ليغيظه.
- وقد يريد أن يهتك ستره ويستهزئ به.

كل ذلك من تأثير الغضب في القلب.

نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة من هذه الأحوال جميعها.

ومع ذلك فإن الشرع الشريف يدعو إلى الغضب عندما تُنتهك حرمات الله، وعندما يكون هناك أمر لا يرضي الله ولا يوافق عليه شرع الله.

- ومن فقد حمية الغضب لله:
  - فإنه يكون عنده قلة أنفة.
  - وقد يرضى بالذل ولا يتحرك.
  - وقد يفقد غيرته على حَرَمه وحرماته ولا يتأثر.

وهذا الذي يقول فيه ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَيُّوثٌ }[١٧١]

والديوث هو الذي لا يغار على نسائه.

وعندما غضب سعد ابن معاذ لذكر نسائه قال ﷺ:

{ أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟!
فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي }[١٧٢]

- وقد يسكت أيضاً عند مشاهدة المنكرات، ويأتي بأسباب تنكرها جميع التشريعات، ويقول: ما دام الأمر بعيد عني فليس لي شأنٌ به، مع أن المؤمنين جميعاً كجسد واحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

صفة غضب النبي ﷺ

قد يسأل سائل: هل كان النبي ﷺ يغضب؟

نقول نعم كان يغضب.

ولكن غضبه يقول فيه الإمام علي رضي الله عنه:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَغضَب للدُنيا، فإذا أَغْضَبهُ الحقّ لم يَعرِفهُ أَحَد، ولَم يَقُم لِغَضَبهِ شَيءٌ حَتَّى يَنتَصر لَه }[١٧٣]

فكان يغضب لله وللحق مع عباد الله ﷻ.

---

١٧١ المطالب العالية لابن حجر والبيهقي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه
١٧٢ صحيح مسلم وابن حبان عن سعد بن عبادة رضي الله عنه
١٧٣ الشمائل للترمذي

ومع ذلك قال ﷺ معتذراً لمن غضب عليهم لأمر قد يشكُّون فيه:

{ اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٧٤]

وكان إذا غضب أيضاً لا يتحول عن الحق، فقد قال أهل قريش لعبد الله بن عمرو بن العاص وكان يكتب أحاديث النبي: أتكتب أحاديث النبي وهو يغضب كما يغضب البشر؟!، فذهب عبد الله بن عمرو لرسول الله ﷺ وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ عَنْكَ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلا حَقًّا }[١٧٥]

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

وغضبت السيدة عائشة رضي الله عنها ذات مرة، فقال لها رسول الله ﷺ مازحاً ليُهدئها:

{ يَا عَائِشَةُ أَخَذَكِ شَيْطَانُكِ؟ فَقُلْتُ: أَمَا لَكَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلا لَهُ شَيْطَانٌ، فَقُلْتُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَنَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ }[١٧٦]

إذاً كان ﷺ كما تقول السيدة عائشة:

{ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ }[١٧٧]

- لا ينتقم لنفسه قط، ولا يغضب لنفسه قط.
  - ولكن يغضب إذا انتُهكت حرمات الله ﷻ.
    - وهذا الذي ينبغي علينا أن نقتدي به، وأن نمشي على أثره في حياتنا لنكون من أهل معية نبينا ﷺ.

---

١٧٤ صحيح مسلم وسنن الدارمي ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٧٥ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٧٦ صحيح مسلم وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها
١٧٧ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

أسباب الغضب

وقد يسأل سائل: ما الأسباب التي تُهيج غضب الإنسان؟

السبب الأول:

قد يكون سبب الغضب من المخالطين للإنسان:

فقد يخالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ، ويعدون ذلك بطولة وشهامة، كأن يقول أحدهم: أنا دمي حار ولا أتحمل ضيماً ولا ذلاً، فإذا استفزني إنسان لا بد أن آخذ بحقي في الوقت ولو أدَّى ذلك إلى قتله، !!! وهذا يستفزه الشيطان، إن كان من شياطين الجن أو من شياطين الإنس:

﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ (١١٢الأنعام).

كيف نعالج ذلك؟

- عدم خُلطة السفهاء وأهل الجفاء.
- ومخالطة الصالحين ومجالسة المتقين.
  - وأن يسترجع الإنسان معهم دوماً حكايات الحلم والحلماء والعفو والعافين عن الناس وكظم الغيظ، وما أكثر هذه الحكايات في كتب الصالحين، نسأل الله ﷻ أن يلحقنا بهم أجمعين.

السبب الثاني:

قد يكون الإنسان لم يُتم جهاد نفسه، فيعتز بشخصيته، ويرى نفسه إنساناً كبيراً له كيان، ويزيد عنده الكبر، فإذا أساء أو قيل له قولاً في نظره هو إساءة، وهو مُعجب بنفسه ومغرور بسلطانه أو ماله أو هيئته، ولم ينخلع بالكلية من الكِبر، قد يغضب ويقول:

أتقول ذلك لي أنا؟! ألا تعرفني؟! أنا كذا وكذا !!!

وهذا من الأسباب التي تهيج الإنسان للغضب، فإذا رد عليه الآخر بمثل ما قال، زاد غضبه وخرج عن حد السيطرة وخرج منه ما ذكرناه فيما سبق.

السبب الثالث:

الإحساس بالظلم:

- فإن الإنسان إذا ظُلم ظلماً شديداً، وعجز عن رفع هذا الظلم فإنه يغضب، وإذا لم يستطع أن يكظم غيظه، أو يعفو عمن أساء إليه، فإن هذا الظلم قد يتحول إلى الغضب فيحاول أن يسيئ إلى من ظلمه أو ينتقم منه، أو على الأقل يتشفَّى فيه أو يشوه سمعته، وذلك بسبب غضبه وعدم رفع أمره إلى الله، وإن الله وعد المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) فلو لم يدفع عن نفسه فإن الله ﷻ سيدفع عنه.

فقد رُوي أن رسول الله ﷺ كان جالساً مع أبي بكر الصديق:

وجاء رجل من المنافقين وأخذ يسب أبا بكر، وأبو بكر ساكت، فلما همَّ أبو بكر أن يرد عن نفسه، قام النبي وترك المجلس، فلحق به أبو بكر مسرعاً وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ!، قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ }[١٧٨]

السبب الرابع:

المزاح الثقيل الزائد عن الحد؛ فإن الإنسان له طاقةٌ في التحمل.

- فإذا أراد إنسان أن يمزح مع إنسان فليكن لطيفاً وخفيفاً ولا يثقل عليه في المزاح، فإنه إذا ثقل عليه في المزاح تحركت ثورة الغضب في داخله وأراد أن ينتقم لنفسه، وأن يشفي غيظه فيهيج الغضب عنده.
- وكذلك إذا كان الإنسان يقول أقوالاً هزلية يقصد بها إنساناً وسط جماعة، وهذا ما نراه كثيراً، أو إنسان في جماعة يستضعفونه فيتفقون ولو بدون قصد أن يجعلونه محل سخريتهم، وهذا ينطق بكلمة وهذا ينطق بجملة فتُستثار قوة الغضب في نفسه، فيهيج وربما يتحول إلى ثورة من الغضب كالبركان لا تُبقي ولا تذر على من حوله.

---

١٧٨ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة ﷺ

السبب الخامس:

التعيير بنسب أو عمل لأي إنسان كائناً ما كان:

- فإن الإنسان مهما كان لا يحب أن يُعيِّره أحدٌ وخاصة في عائلته أو نسبه أو بنيه وزوجه وأولاده، أو يُعيِّره بعمل عمله ولم يستحسن هو هذا العمل، فليس بذلك تنصلح هذه الأمور:وإنما تنصلح بالملاطفة والملاينة والتوجيه السديد الرشيد وليس أمام الخلق.

فقد بلغني مثلاً أن رجلاً من كبار الأحباب، ونراه ذا علم كبير، يحضر المجلس فإذا تكلم غيره يقاطع المتكلم في بعض الآنات ويصلح له في نظره مما يتحدث به:

وهذا ليس من الآداب التي علَّمنا إياها سلفنا الصالح، فإن النصيحة على الملأ فضيحة.

إذا أردت أن توجه أحداً أو تظهر علمك أو تظهر مكنون ما في قلبك:

- فيكون ذلك بعد انتهاء أخيك من كلامه.
- ويكون بينك وبينه وبلطف ولين.
- لكن النصيحة على الملأ لتُعلم الحاضرين أنك أعلم منه فهذا لا يتوافق مع أحوال الصالحين حتى المبتدئين منهم، لأن هذا ليس من أخلاق النبيين ... وليس من أخلاق الصالحين.
    - والأسباب المهيجة للغضب كثيرة:

ولكن يجمعها أصلٌ واحد هو الحب والكره.

- فإذا أحب الإنسان إنساناً تغاضى عن كل ما يحدث منه،فلا يُتستثار ولا يحدث غضباً.
- وإذا كره الإنسان إنساناً يتلمس فيه الأوزار ويتلمس فيه الذنوب ويتلمس فيه العيوب ويريد أن يظهرها للغير، وليس ذلك من أخلاق المؤمنين، ولا حتى من أخلاق عوام المسلمين، فقد قال سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }[١٧٩]

١٧٩ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

العلاج الناجع لتجنب الغضب

كيف يعالج الإنسان منا هذا الداء الوبيل؛ داء الغضب؟

أولاً: يتعلم ويعلم فضل العفو والصفح وكظم الغيظ والحلم والاحتمال، حتى تتشوق نفسه إلى ثواب هذه الأعمال.

ثانياً: أن يخاف على نفسه من عقاب الله له، فيقول كما علَّمنا سلفنا الصالح:

(إذا دعتك قدرتك على ظلم هذا الرجل، فاعلم علم اليقين أن قدرة الله ﷻ عليك أعظم من قدرتك عليه)

وما دام هناك قدرة الله فالإنسان لا بد وأن يغفر لكل مسلم خطاياه، وأن يسامح إخوانه أجمعين طلباً لمرضاة الله ﷻ.

ثالثاً: أن يحذر الإنسان نفسه ويتفكر ويتدبر في عاقبة العداوة والانتقام إذا عادى هذا الإنسان، فإن هذه العداوة قد تجعل هذا الإنسان يحاول أن ينتقم منه بأي طريقة، والمؤمن في الدنيا ليس له أعداء إلا المنافقين، والمنافقين يكفيه شرهم رب العالمين ﷻ.

ولأن يكون الناس لك أحباب وليس لك عدوٌ واحد، هذا هو المنهج الذي كان عليه ولا يزال الصالحون في كل زمان ومكان.

رابعاً: كما ذكرنا عن الإمام الغزالي:

أن يتفكر في قُبح صورته عند الغضب، بأن ينظر صورة غيره عند الغضب، ويقول لنفسه: إذا كنت لا أستملح هذه الصورة لهذا الرجل، فكيف أرضاها لنفسي عند الغضب؟! فلا يسمح لنفسه قط أن تظهر بهذه الصورة، فيدخل في قول الله: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤آل عمران) وقد يرقيه الله إلى مقام الحلم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤التوبة) والحلم سيد الأخلاق.

خامساً: أن يتفكر الإنسان في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، ويمنعه من كظم الغيظ، إذا كان بسبب خاص بي فأتنازل عنه، وإذا كان بسبب مخالفة شرع الله أو انتهاك حرمة كتاب الله أو الإساءة لرسول الله هنا ينبغي عليَّ الغضب بالكيفية التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والصالحين من عباد الله أجمعين.

العلاج العملي للغضب

أما العلاج العملي للغضب:

- أن يقول الإنسان بلسانه إذا غضب:(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).
- ويسكت ولا ينطق.

قال ﷺ:

{ إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ }[١٨٠]

- خير علاج في هذه الحالة السكوت.
- فإذا لم ينته غضبه يغير وضعه الذي يكون عليه، فإن كان قائماً يجلس، وإن كان جالساً ينام.
- وإن لم يهدأ غضبه بعد ذلك فليتوضأ أو يغتسل ويصلي ركعتين لله، فإن الله ﷻ يجعله من الكاظمين الغيظ كما في كتاب الله، وكظم الغيظ يقول فيه ﷺ:

{ مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ؛
مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ }[١٨١]

أعظم جرعة يتجرعها الإنسان أن يجرع غيظه، وخاصة إذا كان ذا قدرة على تنفيذ غضبه، كأن يكون قائداً أو مديراً أو رئيساً في مصلحة.

ولذلك ما أكثر ما ورد في كتب القوم عن الصالحين وعن الأمراء وعن الخلفاء، أنهم كانوا إذا غضبوا غضباً شديداً يقولون لأحدهم:

(والكاظمين الغيظ) فيكظم غيظه !

ويقولون له: (والعافين عن الناس) فيقول لمن غاظه عفوت عنك !!

يقولون له: (والله يحب المحسنين) فإن كان عبداً يقول له: أنت حرٌ لوجه الله ﷻ.

وهناك حكايات كثيرة في هذا الباب ليت الأحباب يجمعونها ويتصفحونها ويطالعونها.

---

١٨٠ مسند أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٨١ سنن ابن ماجة والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال سيدنا عمر ﷺ:

(من اتقى الله لم يشف غيظه – لا يشفي غيظه أبداً لأنه من الكاظمين الغيظ – ومن خاف الله لم يفعل ما يريد – ولكن الله ﷻ يفعل ما يشاء – ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون) [١٨٢].

وجاء رجل إلى سلمان وقال:

(يا عبد الله أوصني قال: لا تغضب،
قال: لا أقدر، قال:
فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك).

وهكذا فكظم الغيظ هو تهدئة الغضب بالعقل والفكر والدين.

وإذا ارتقى الإنسان عن كظم الغيظ والعفو يرتقي إلى الحلم، والحلماء يقول فيهم الله:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان ٦٣)

قال الحسن:

(علماء إن جُهل عليهم لم يجهلوا).

وقال الإمام علي ﷺ:

(لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ،
وَلكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَتَنَاهى فِي عِبَادَةِ رَبكَ،
إِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ)[١٨٣]

نسأل الله ﷻ .. أن يجعلنا من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والمحسنين لمن أساء إلينا .. وأن يجمّلنا بأخلاق عباده الحلماء ..

وأن يجعلنا دائماً وأبداً من خيار المتبعين لإمام المرسلين والنبيين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٨٢ حلية الأولياء عن إبراهيم بن أدهم، عن أبي عبد الله الخراساني وفي إحياء علوم الدين وشعب الإيمان للبيهقي.
١٨٣ جامع المسانيد والمراسيل عن الإمام علي بن أبي طالب، وتمام الأثر قوله ﷺ: (لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُ ذَلِكَ بِتَوْبَةٍ، أَوْ رَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ فِي دَارِ الدُّنْيَا).

المرض الثالث: الحقـــــد[184]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله رب العالمين على فيض فضله وجوده القديم الذي واجهنا به قبل التقويم، وجعلنا دائماً وأبداً في أعين حضرته وبمراعاة نعمه وخيره وبره وفي كفالته ﷻ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نقاه مولاه وصفاه وصافاه وجعله الأسوة الطيبة لكل الصالحين ولأئمة المتقين من بدء البدء إلى نهاية النهايات، صلى الله عليه وعلى آله الأصفياء وأصحابه الأنقياء وكل من مشى على هديهم إلى يوم العرض والجزاء، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

الأمراض القلبية:

هي أكبر حاجب يحجب السالكين عن مشاهدة أنوار الله المنبثة في الكائنات، وعن مشاهدة تجليات الله وإشراقاته التي يحظى بها الصالحون والمتقون في كل زمان ومكان.

سبب الحقـــــد

وقلنا أن مرض الغضب يحدث للإنسان لخلاف بينه وبين غيره لا يستطيع الإنسان فيه أن ينتصر بالكلية لنفسه، فيظهر عليه الغضب، وتظهر عليه ملامحه التي سقناها فيما سبق.

فإذا استطاع الإنسان كظم غيظه عن التشفي لغضبه فإنه يكون تحت احد أمرين:

- إما أن يكون كظم غيظه ولم يتشفَ لغضبه ابتغاء رضاء الله ووجه الله وهذا حال النبيين والصالحين وأئمة المتقين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين
- فإذا لم يستطع الإنسان كظم غيظه ولم يستطع أن يشفي غيظه بنفسه احتقن الغضب في باطنه فصار حقداً، وهذا هو الذي نهى عنه نبينا وكتابنا، فكتابنا يقول:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)

من أي غل وحقد وحسد وغيرهم، وكما ورد بالأثر: (الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ) فالمؤمن لا يعقد في قلبه حقداً على أحد، لأنه حتى لو لم يشف غضبه فإنه يكظم غيظه طالباً رضاء الله، وراجياً متابعة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

---

١٨٤ الجميزة – السنطة –الغربية ٢٢ من ذي الحجة ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٧/٢١م

مســـــاوئ الحقـــــد

ونهى نبينا ﷺ عن الحقد وبرَّأ المؤمن من الحقد، لماذا؟

لأن الحقد يثمر مساوئ وأمور كثيرة لا تنبغي أن تكون في المؤمن الذي يتقرب إلى ربه ويرجو أن يكون من أهل عطائه ونواله:

الأمر الأول:

الحقد ينبعث منه في قلب الإنسان الحسد:

وهو أن يتمنى زوال النعمة عن أخيه الذي حدث بينه وبينه جفوة:

- فيغتَّم إذا جاءته نعمة.
- ويُسَّر إذا وافته مصيبة والعياذ باللهّ ّ

وهذا لا ينبغي أن يكون حال المؤمن في أي زمان أو مكان.

الأمر الثاني:

أنه ربما لأنه يرى نفسه على الحق ولم يستطع أن يشف غيظه، فيظن أن الله ﷻ سيوفي له بحقه من عنده:

فإذا أصابت أخيه مصيبة يشمت فيه ويقول: هذا جزاء ما فعله معي، أو هذا لأنه فعل معي كذا وكذا، ويظن أن هذا البلاء الذي نزل بأخيه إنما هو غضب من الله ﷻ لأجله وليس بهذا تُوصف هذه الأشياء.

الأمر الثالث:

أن هذا الإنسان إذا حقد على أخيه فإن هذا يدعوه إلى هجره وخصامه، والخصام ليس من سُنَّة المؤمنين، فقد قال ﷺ:

{ لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ }[١٨٥]

وإذا طالت المدة عن ذلك يقول ﷺ:

---

١٨٥ البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ

{ مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ }[١٨٦]

فمن هجر أخاه وخاصمه لمدة سَنَة كان كأنه في الجرم قتله !!!

ويُحاسب على ذلك على أنه قتله عند الله ﷻ.

لذلك لا ينبغي لمؤمن أن يقطع أخاه المؤمن لأي سبب من الأسباب الدنيوية:

فإذا هجره فإنما لوقت، ثم يرجع إليه وخيرهما الذي يبدأ أخاه بالسلام.

الأمر الرابع:

أنه قد يُعرض عن أخيه لكِبْرٍ في نفسه، فيرى أخاه أصغر منه وأحقر منه، فيبعد عنه احتقاراً له، واستصغاراً لأمره، وهذا لا ينبغي لمؤمن، فقد قيل:

(كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه، والشر في إخوانه).

الأمر الخامس:

أنه بمجرد هجره وخصامه يظن أنه قد أُحلَّ له ما حرَّمه الله من الكذب عليه، ومن الغيبة في شأنه، ومن إفشاء أسراره، ومن هتك ستره، وغيرها من الأشياء التي هي محرمات، ومن أجلها كانت الأوامر في سورة الحجرات واضحة بينه لكل من يطيع الله ورسوله في كل زمان ومكان.

الأمر السادس:

أنه ربما يتحدث عن أخيه، وأثناء حديثه يحاول أن يحاكيه – أي يقلده – في الحديث استهزاءًا به، أو يحاكيه في حركاته، أو يحاكيه في مشيه، وكل ذلك سخرية منه !!!!:

﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ (١١الحجرات).

الأمر السابع:

أنه ربما تهيج نفسه ولا تسكن إلا إذا آذاه، كأن يؤذيه بضرب أو بشيء يؤلمه في بدنه أو في أهله أو في ماله، لكن كما قال ﷺ:

---

١٨٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي خراش السلمي ﷺ

{ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ }[١٨٧]

فلا ينبغي للإنسان أن ينتهك عرض أخيه المسلم بأي وسيلة كانت .... لأن ذلك نهانا عنه الله ورسوله.

الأمر الثامن:

أنه قد يدعه الحقد إلى أنه لا يستوفي أخيه حقه إن كان له حقٌ عنده:

- **كأن يكون مديناً له فيرفض سداد دينه.**
- **أو يكون من ذوي رحمه فيترك صلته.**
- **أو يكون قد ظلمه فيرفض رد مظلمته.**

وكل ذلك حرام حرَّمه ديننا.

الأمر التاسع:

أن يظلمه !!!

وهذا الجور الذي نهى عنه الله ونهى عنه رسول الله ﷺ.

فما أعظم مساوئ الحقد الذي نسأل الله ﷻ أن يبرئنا وإخواننا وأحبابنا منه أجمعين.

إذاً الذي ينبغي على المسلم في كل هذه الأمور هو:

العدل.

والعـــدل:

- **أن يستوفي حقه إن كان له حق بغير زيادة ولا نقصان.**
- **أو الإحســـان.**
  - **والإحسان أن يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطي من حرمه، وذلك هو الفضل وتلكُم هي عبادة النبيين والصديقين والصالحين في كل زمان ومكان.**

---

١٨٧ سنن ابن ماجة وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

علاج الحقـــــد

وعلاج الحقد كما بيَّنه الله، وكما مشى عليه سيدنا رسول الله ﷺ في أخلاق الإسلام السمحاء النبيلة الراقية، فإن أخلاق الإسلام تدعو إلى العفو عند المقدرة، وتدعو الإنسان أن يلاين أخاه، وأن يعامله ويعاشره لوجه الله ﷻ، وهذا الخُلُق وهو العفو صعبٌ على بني الإنسان، ككل الصفات الطيبة، فهي صعبةٌ على نفس الإنسان، لكن الإنسان يعالج نفسه في ذلك بنتيجة هذه الصفات الطيبة.

العفـــــو

فإن الإنسان إذا عفا عن أخيه فإنه يحدث له أمرٌ عاجلٌ في نفسه، فإن طبيعة أي إنسان أنه مجبولٌ على حب من أحسن إليه، كما قال ﷺ في حديثه الشريف:

{ جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا }[١٨٨]

فإذا أحسن الإنسان إلى أخيه فإنه لا بد أن يتبدَّل بغضه وحقده إلى حب وإلى مودة وإلى خُلُق كريم مع أخيه الإنسان.

كذلك الإنسان إذا عفا عن أخيه فإنه يشعر في باطنه براحة عميقة، إذ تزول الأحقاد من قلبه، وعندما تزول الأحقاد تنهمر مكانها شلالات من النور الإلهي تشيع الرضا والسكينة فيه.

ويكون جزاء ذلك تقوى وورع وعبادة يراها الإنسان المحسن في علاقاته بالناس، وفي علاقته بالمجتمع، وفي علاقاته مع مولاه.

فيرى من مولاه مزيداً من النفحات والعطاءات الربانية والتجليات الروحانية، ويرى مع الناس أنه يتعامل معهم بالسكينة والحلم ويذهب عنه التوتر والتشنُّج والتعصُّب، لأنه أنبت في نفسه شجرة الرضا وسقاها بماء العفو، فهو ينظر إلى الناس نظرة المتسامح الكريم.

وإمامنا في ذلك رسولنا ﷺ في نماذج لا تُعد ولا تُحد !!

نكتفي منها بموقفه الكريم عندما فتح الله ﷻ عليه مكة، ودخل الكعبة فاتحاً ووقف على باب الكعبة وجاء أهل مكة جميعاً فقال لهم:

---

١٨٨ أخرجه البيهقي في (الشَّعب)، عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً وتمامه { وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا }.

{ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَيَا أَهْلَ مَكَّةَ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ }،
وفي رواية أخرى: { فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾}[189]

وهكذا كان السلف الصالح على نهج طيب في العفو ...

فقد قال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه:

(كِلِ الظالم إلى ظلمه؛
فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن ألا يفعل).

وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال:

(بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس).

وعن مبارك بن فضالة قال:

وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر المنصور فكنت عنده إذ أتى برجل فأمر بقتله، فقلت: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن، قال: وما هو؟ قلت: سمعته يقول: (إذا كان يوم القيامة جمع الله ﷻ الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم منادى فينادي: من له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا) فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت: والله لسمعته منه، فقال: خلينا عنه.

وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين، فقيل له: اقطع يده فإنه من أعدائنا، فقال: بل أسترعليه لعل الله يسترعليَّ يوم القيامة.

وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاماً فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت، فقال: لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله:

---

١٨٩ الحديث الأول: تاريخ الطبري عن قتادة بن ملحان ﷺ، والثاني : سنن النسائي والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ.

(اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها،
وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه).

وقال الفضيل:

ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليَّ في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه، فجعل يبكي، فقلت: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله ﷻ فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له؟

يكفي أن الله ﷻ خصَّ النبي ﷺ بالعفو، فقال له:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف)

وقال لنا ﷻ محبذاً لهذا الوصف الجميل:

﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢٣٧البقرة)

ولذلك قال ﷺ لمن يدَّعي أن العفو قد يُعرضه للمذلة ... أو المسكنة ... أو الضعف والإستهانة:

{ ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ:
لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا،
وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ؛
إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا أو زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ }[١٩٠]

ويقول ﷺ فيما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من التواضع والعفو:

{ التَّوَاضُعُ لا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلا رِفْعَةً، فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمُ اللَّهُ،
والْعَفْوَ لا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلا عِزًّا، فَاعْفُوا يَعِزَّكُمُ اللَّهُ،
وَالصَّدَقَةَ لا تَزِيدُ المَالَ إِلا كَثْرَةً، فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمْكُمُ اللَّهُ }[١٩١]

وقال عُقبة بن عامر الصحابي الجليل رضي الله عنه:

---

١٩٠ مسند أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
١٩١ رواه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه

لقيت رسول الله ﷺ يوماً فابتدرته فأخذتُ بيده، فقال:

{ يَا عُقْبَةُ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ }[١٩٢]

بل قال ﷺ فيما يرويه عن موسى كليم الله، قال موسى عليه السلام:

{ يَا رَبِّ أيّ العِبَادِ أَعَزُّ عَلَيْك؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَا }[١٩٣]

وهذا العفو لا يكون إلا في الأمور الخاصة بي، أي الأمور الشخصية,

أما الأمور الخاصة بالشريعة الإلهية أو بالذات المقدسة الإلهية فإن الإنسان لا ينبغي عليه أن يعفو عنها، بل يكون أشد حنقاً على الظالمين، لأن الله ﷻ جعل ذلك شيمة في سيد الأولين والآخرين، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ قَطُّ مَا لَمْ يُنْتَهَكْ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ، فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا }[١٩٤]

الرفـــــق

والذي يعين الإنسان على فضيلة العفو:

- أن يتسم بالرفق في كل أحواله، في تعاملاته مع أهله، وفي تعاملاته مع أحبابه، وفي تعاملاته مع جيرانه، وفي تعاملاته مع كل خلق الله ... فإن الرفق هو أساس الخُلُق الحسن.

قال ﷺ:

{ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ }، وقال ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ الرِّفْقَ }[١٩٥]

---

١٩٢ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عقبة بن عامر ﷺ
١٩٣ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة ﷺ
١٩٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها
١٩٥ الأول: سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ، والثاني: مسند أحمد عن عائشة ﷺ

وقال ﷺ للسيدة عائشة:

{ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ }،

وقال ﷺ: **{ يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا؛ دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ }**[١٩٦]

وقال ﷺ: { مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ كُلَّهُ }[١٩٧]

أسأل الله ﷻ أن يجمّلنا بالعفو والصفح، وأن يكرمنا ويُدخل علينا فضيلة الرفق، وأن يجعلنا ممن يتأسون بخير الأنبياء وإمام المرسلين الصالحين في كل وقت وحين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المرض الرابع: الحســـــد[١٩٨]

الحسد هو:

تمني الحاسد زوال نعمة الغير.

وسعادته أن يرى الآخرين في شقاوة وعذاب !!

فالحسد لا يكون إلا على نعمة.

- والإنسان في هذه النعمة على حالين:
  - إما أن يكره تلك النعمة ويحب زوالها عما هي عليه.
    - وهذه الحالة تسمى حسداً.
  - وإما أن لا يحب زوالها ولا يكره وجودها وبقاءها ولكن تشتهي نفسه أن يكون له مثلها.
    - وهذه تسمى غبطة أو منافسة.

---

١٩٦ الأول: صحيح مسلم والترمذي، والثاني: مسند أحمد، وكلاهما عن عائشة ﵂.
١٩٧ سنن أبي داود وابن ماجة عن جرير ﵁
١٩٨ الجميزة – السنطة –الغربية ١٣ من محرم ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/٨/١١م

بين الحسد والغبطة

فإذا رأى المؤمن على أخيه المؤمن أي نعمة إن كانت في الجسم أو في المال أو في الولد أو في المنزل أو في الجاه أو في المركب الذي يركبه أو في أي شيء له أو حوله:

- فإن كان يتمنى زوال هذه النعمة وفقط، فهذا هو الحسد الذي ذمَّه القرآن وحذَّر منه النبي العدنان ﷺ.
- أما إن كان لا يتمنى زوال هذه النعمة، إن كانت نعمة في الدنيا أو نعمة في الدين كقيام الليل وصيام النهار والمداومة على تلاوة القرآن، والإكثار من ذكر الله ﷻ، ويود أن يكون له مثلها فقط، فهذه هي الغبطة أو المنافسة التي قال فيها ﷺ وهو لا يقول إلا الحق:

{ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ }[١٩٩]

وكلمة (لا حسد) هنا يعني لا غبطة، فكون الإنسان يتمنى أن يكون له نِعمٌ مثل هذه، فهذه هي الغبطة أو التنافس الذي يقول فيه الله:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (٢٦المطففين).

الحسد المذموم

أما الحسد المذموم فقد ذمَّه الله ﷻ في القرآن ...

بل وأمر المؤمنين بضرورة الإستعاذة من الحسد والحاسد، فقال ﷻ:

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٥الفلق) وقال في هؤلاء الذين يتمنون زوال نعمة الغير: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٥٤النساء).

وبيَّن الله ﷻ في القرآن أن الحسد من صفة المنافقين وضعفاء الإيمان أو الكافرين، فقال عن الكافرين وحسدهم:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (١٠٩البقرة)

---

١٩٩ البخاري ومسلم

فهم هنا يحسدون المؤمنين على الإيمان ويتمنون زوال هذا الإيمان !! وهذا الحسد لا يكون إلا من الكافرين والمشركين والجاحدين.

وقال تعالى في المنافقين:

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (١٢٠آل عمران).

ومن هنا فإن المؤمن عليه أن يعتقد تمام الاعتقاد أن الحسد لا يغير نعمة كتبها الله تعالى له، ولا فضلاً ساقه الله إليه، كما يحدث من كثير من المسلمين في عصرنا، فإنهم ينسبون كل ضرر يلحق بهم إلى الحسد، وكل شيء يصيبهم إلى الحسد، وهذا يتنافى مع كلام الله: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (١٢٠آل عمران) ومع قول رسول الله ﷺ:

{ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ }[٢٠٠]

موقف المؤمن من الحســـــد

أما المؤمن خالص الإيمان صافي القلب للرحمن بيَّن الله تعالى في القرآن أنه ليس من صفاته الحقد ولا الحسد وليس في قلبه غلٌ، بل صدره نقي نظيف لجميع إخوانه المؤمنين، فقال عنه الله ﷻ:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر).

ومن هنا فينبغي على السالك في طريق الله ﷻ أن يجاهد حتى يُخرج هذه الصفة الخبيثة وهي الحسد من داخل نفسه، ومن سراديب قلبه حتى ينطبق عليه ما قال الله فيهم:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر).

أما في السُنَّة المشرَّفة، فقد حذَّر ﷺ المؤمنين فقال:

{ إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ}[٢٠١]

---

٢٠٠ جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢٠١ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

وقال ﷺ مبيناً متى تتم الأخوة للإنسان، ويكون أخاً لإخوانه في الدين، فقال ﷺ مبيناً ما ينبغي على كل مؤمن أن يتقيه وأن يخرجه من صدره حتى تتحقق أُخُوته:

{ لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا }[٢٠٢]

أي أن الأُخُوة لا تتم عند أي مؤمن إلا إذا تطهَّر من الصفات التي أشار إليها نبينا الرؤوف الرحيم ﷺ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

{ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ، قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ }[٢٠٣]

وروى سيدنا أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وكانوا جالسين معه قال لهم:

{ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ، فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ

---

٢٠٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٠٣ سنن ابن ماجة والطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ }[٢٠٤]

إذاً هذه المنزلة العالية:

لمن طهَّر قلبه ونزع ما فيه من غش وحسد وحقد على المسلمين ...

وملأ قلبه بالحب لهم أجمعين.

ولذلك قال ﷺ محذراً هذه الأمة من الذي حدث للأمم السابقة وتسبب في إهلاكهم وتفريق جموعهم وعدم توحيد صفوفهم:

{ دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ}[٢٠٥]

ولذلك قيل:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْبِطُ وَالْمُنَافِقَ يَحْسُدُ }[٢٠٦]

- فالمؤمن يتمنى أن يتساوى مع أخيه في استباق الخيرات وعمل الصالحات:
  - ولكنه لا يتمنى زوال نعمة عن أخ له في الدين، أو أخ له من المؤمنين أو المسلمين.
    - وإنما الذي يتمنى ذلك يكون من المنافقين:
      - ويحتاج إلى جهاد كبير حتى يقتلع هذه الصفات من نفسه ليكون من المؤمنين الذين يحبهم رب العالمين ﷻ.

---

٢٠٤ مسند أحمد والنسائي عن أنس ﷺ

٢٠٥ سنن الترمذي ومسند أحمد عن الزبيربن العوام ﷺ

٢٠٦ أورده كثير من أصحاب التفاسير منسوبا لرسول الله ﷺ، ولكن العراقي (صاحب تخريج أحاديث الإحياء) قال: لم أجد له أصلا مرفوعا، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، وكذا قال العجلوني، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

طبيعة الحســـد

وطبيعة الحسد هو انفعال كريه يحدث في باطن الإنسان يَنمُّ عن حقد الحاسد وكراهيته وبغضه للمحسود بسبب ما هو فيه من نعمة كالمال أو الصحة أو الجاه أو الجمال أو النجاح، فيتمنى زوال المحسود ونزعها منه.

وهذا المرض اللعين بدأ مع إبليس اللعين عندما حسد أبانا آدم على أنه خليفة لله، ولما أمره الله أن يسجد هو والملائكة لآدم رفض أن يسجد: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ (ص٧٥).

ودفعه هذا الحقد إلى أنه لم يرتح حتى سوَّل لآدم في الجنة أن يخالف أمر مولاه ويأكل من الشجرة التي نهاه عنها الله، وكان سبب خروجه هو وحواء من الجنة الحسد الذي كان عليه إبليس.

وظهر هذا الحسد أيضاً في قلب ولدي آدم اللذان يسميان قابيل وهابيل، وإن كان الله ﷻ لم يذكر اسمهما في القرآن، إلا أن هذه الأسماء وردت عن الكتب السماوية الأخرى.

فأحدهما حسد أخاه على أنه سيتزوج أخته الجميلة، وهو سيتزوج أخته القبيحة، فكانت النتيجة أن الحسد دبَّ في صدره واستشرى وزاد، حتى قتله كما ذكر الله ﷻ عندما احتكما إلى السماء وقدَّم كل واحد منهما قرباناً، فلما وجد أن الله تقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه زاد الحقد والحسد عنده فقتل أخيه، فكان أول ذنب في الأرض، قال ﷺ.

{ لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ }[٢٠٧]

وهذا الحسد ظهر أيضاً في قلوب المشركين عندما اختار الله نبينا ﷺ من بينهم وأنزل عليه النبوة، وكان الوليد بن المغيرة زعيم قريش وأغنى أغنيائها في هذا الوقت، فقال: لم يجد الله من يختاره لرسالته غير هذا الرجل الفقير! لِمَ لم يختارني أنا أو يختار عُروة بن مسعود الثقفي زعيم الطائف؟ ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ (الزخرف٣١)

فمنعهم الحسد من الإيمان به !!!

بل وأضمروا له وكل من تبعه الشر وسقوهم من ألوان العذاب حقداً وحسداً للنبي ﷺ.

---

٢٠٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

أسباب الحســـد

السبب الأول

الغِـــيرة

قابيل عندما قتل أخاه هابيل كان غِيرة منه لما حدث بينهما.

وإخوة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما أرادوا إبعاده عن أبيه يعقوب لحب أبيه له ولأخيه، وغِيرتهم منه.

وذكر الله ﷻ ذلك وقال عنهم أنهم قالوا:

﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (٩يوسف)

ولذلك أبوهم كان يعلم ذلك مسبقاً بعلم الله له.

فعندما رأى يوسف رؤياه قال له:

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ (٥يوسف)

وذلك بسبب الغِيرة التي دبَّت بينهمز

والغِيرة عادة ما تكون بين الأقارب لأنهم يتنافسون فيما بينهم:

إن كان في مظاهر الدنيا، أو كان في أمور الآخرة ...

أو في أي نعمة يمن الله ﷻ بها على أحدهم ... فيريدون أن يكون لهم مثله أو أن تذهب النعمة عنه.

كذلك تكثر الغيرة والحسد بين أصحاب المهنة الواحدة.

فنجد الطبيب لا يحسد إلا طبيباً مثله بل وفي تخصصه ..!!

والتاجر لا يزاحم إلا تاجراً مثله ..!!

والقارئ لا يحسد إلا قارئاً مثله ..

والصانع صاحب الحرفة لا يحسد إلا صانعاً مثله، وهكذا.

السبب الثاني

التكبر والغُلو والاعتزاز بالنفس

إذا كان الإنسان عنده نزعة الكِبْر وهي إبليسية، لأنه كان من أسباب عدم سجوده لآدم قوله: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (١٢الأعراف) وهذه نزعة الكِبْر، فإذا كان الإنسان عنده نزعة الكِبْر ومعتزاً بنفسه لا يريد أحداً أفضل منه في أي نعمة من نعم الدنيا، فيحسد غيره إذا وجده قد وصل إلى ما لم يصل إليه، أو إذا وجد الناس يحبونه أكثر منه، أو إذا وجد أولاده يبارك الله فيهم، أو إذا وجد ماله ينمو ويبارك الله فيه، وهكذا كل ذلك من الكِبْر الذي يمنع الإنسان من الرضا عن قضاء الله.

وهؤلاء الذين عندهم نزعة من الكِبْر عليهم أن يكون يقينهم في الله ﷻ أنهم لن يستطيعوا أن يضُّروا أحداً أو ينفعوا أو يمنعوا أو يُعطوا أحداً إلا بإذن الله، ويعلموا علم اليقين أن توزيع العطاء كله بالله ومن الله، فيُلزموا بذلك قلوبهم فيزول الكِبْر من عندهم.

السبب الثالث

حب الرياسة وطلب الجاه

إذا كان الإنسان يطمع في منصب، ولا بد أن له منافسين في الوصول إلى هذا المنصب، فإنه ربما يحسدهم ويتمنى أن تزول منهم بعض النعم والمؤهلات التي تؤهلهم لهذا المنصب حتى لا يتبقَّى إلا هو، ويتوافر فيه الصلاحيات للمنصب بمفرده، وهذا أيضاً يسبب الحسد، نسأل الله ﷻ السلامة منه أجمعين.

السبب الرابع

الخوف من فوات المقصد

وذلك إذا كانوا متزاحمين على مقصد واحد، كأن يكون في كل دائرة متنافسين على عضوية مجلس النواب مثلاً، أو على عضوية مجلس الشورى، وكل واحد منهم يتمنى لأخيه الهزيمة، ويتمنى له الخذلان، ويتمنى له عدم التأييد ليفوز وحده بهذا المأرب، وهذه أيضاً ليست من صفات المؤمنين.

السبب الخامس

العداوة والبغضاء

إذا كانت هناك عداوة بين اثنين، فأمرٌ طبيعي أن كل واحد منهم يتمنى لأخيه زوال نعمه التي هو فيها، وهذا أصل الحسد.

وإذا كان هناك بغُضٌ بين شخصين فالعداوة والبغضاء هي التي تؤجج نار الحسد في القلوب، وربما تُفضي أحياناً إلى التنازع، وربما تذهب إلى أبعد من ذلك فتذهب إلى التقاتل، بل ربما تذهب إلى الشكايات في كل الجهات الرسمية، وربما تظل هذه العداوة والبغضاء طوال الحياة، مع أنه لا ينبغي لأي مسلم إلا أن يحب الخير لجميع المؤمنين، قال ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٢٠٨]

السبب السادس

خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله

إذا كان الإنسان – نسأل الله الحفظ والسلامة – نفسه خبيثة وشحيحة بالخير، وهذه من نفوس المنافقين، فلا تفرح بالخير لأي إنسان، بل تفرح بالضر إذا وقع فيه إنسان، وتشمت وتُظهر الحسد جلياً عياناً لأي إنسان، بل ربما يتحدث بذلك بين الأهل والأحباب والخلان، وهذه النفس الخبيثة، نسأل الله ﷻ أن يعافينا منها أجمعين، وأن يجعل نفوسنا ملكوتية تحب الخير لنا وللناس أجمعين.

قد تجتمع هذه الأسباب لواحد ...

وقد يجتمع أكثرها لواحد فيعظم عنده الحسد ويكون عظيماً في الحسد !!

وقد يكون بعضها ...

وهذا يسهل عليه العلاج.

نسأل الله أن يُبرئنا أجمعين من هذا الداء اللعين.

---

٢٠٨ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

علاج الحسد

كيف يتم علاج الحسد؟

كما بيَّن الله، وكما فصَّل رسول الله ﷺ:

الأمر الأول: لكي يعالج الإنسان نفسه من هذا الداء الوبيل:

ينبغي أن يتخلق بخُلق الرضا عن الله ﷻ في كل ما أعطاه: فيرضى عن الله في عطاياه ولا يتسخَّط ولا يتبرَّم ولا يرى أن له حقٌ والله ﷻ منعه، فإن الله يحب الخير له وللناس أجمعين، ويؤدي عمله قدر جهده وينتظر الخير والفضل والنتيجة من ربه ﷻ.

الأمر الثاني:

أن لا ينظر إلى من هو فوقه في الدنيا، بل ينظر إلى من هو دونه في الدنيا.

ووضع لنا النبي ﷺ ميزاناً قَيِّماً في هذا العلاج، فقال ﷺ:

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ }، وقال في الحديث الآخر: { إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ }[٢٠٩]

فإذا نظر الإنسان إلى من هو أقل منه في الخير والعطاء الإلهي:

- **يحمد الله على عطاياه .**
- **ويشكره على ما آتاه.**

وإذا نظر إلى من هو فوقه في الدين والقرب من الله والتودد إلى حضرة الله :

- **فإنه يبذل جهده كله ليلحق به ويكون معه.**
- **ويكون:**

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (٦٩النساء).

---

٢٠٩ الأول: معجم الطبراني والأمالي الخميسية للشجري عن أبي ذر ﷺ، والثاني: البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

الأمر الثالث:

من جملة هذا العلاج الرقية الشرعية.

وهي علاج سنَّه لنا النبي ﷺ:

فقد ورد عَنْ **عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عن** أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ :

{ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ لِجَارِيَةٍ، فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ، رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً (أى صفرة) فَقَالَ: بِهَا نَظْرَةٌ. فَاسْتَرْقُوا لَهَا }[٢١٠]

أي ارقوها.

والرقية الشرعية تكون بالآيات القرآنية، وبما في الرقية من الأحاديث النبوية.

فعن أبي خُزامة عن أبيه قال:

{ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا؛ هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ }[٢١١]

وكان النبي ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين ولديّ ابنته السيدة فاطمة ﷺ أجمعين، فيقول:

{ أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ}[٢١٢]

وهذه رُقية طيبة تفيد الأطفال على الدوام ليتنا نحفظها ونكررها لهم كلما تغيروا على مدى الأيام، وعن عائشة أنها قالت:

{ كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ }[٢١٣]

وهناك كثيرٌ من الرقيات الشرعية الواردة عن رسول الله ﷺ، جمعنا بعضها في كتابنا (مفاتح الفرج) من أرادها فليرجع إليه فإن فيه الفرج إن شاء الله.

---

٢١٠ صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها
٢١١ سنن الترمذي
٢١٢ صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢١٣ صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها

المناعة من الحسد

ما الذي يجعل الإنسان في مناعة كاملة من الحسد؟

الذي يجعل الإنسان في مناعة من الحسد ولا يتطرَّق الحسد إلى قلبه طرفة عين ولا أقل أن يفهم ويتفهَّم ويعيش في هذه المعاني الآتية:

الأمر الأول:

- **أن يعلم أنه بالحسد سخط على قضاء الله !! وكره نعمته التي قسمها بين عباده.**

وفي ذلك يقول القائل:

ألا قُل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما كتب

فإن الله قال في القرآن:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٣٢الزخرف)

فالذي يتمنى زوال نعمة أنعم الله بها على عبد كأنه لا يعجبه هذه القسمة !!!

ولا يرضى بها ويتسخَّط عليها !!!!

وكفى بهذا بؤساً في نظرته وعقيدته في الله.

الأمر الثاني:

- **أن الحسد فيه غشٌ لرجل من المؤمنين .. فإنك غششته لأنك تتمنى زوال نعمته ... وينبغي عليك أن تنصحه :**

- **بأن يشكر الله على نعمه ليزيده عليها: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم)، لكن كونك لم تنصحه بالشكر على هذه النعمة، وتتمنى زوالها فهذا غش للمؤمنين، وقال ﷺ:**

{ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا }[٢١٤]

---

٢١٤ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

الأمر الثالث:

- **أنك فارقت أولياءه وأنبيائه في حبهم الخير لعباد الله أجمعين.**
  - **فإن الذي يريد أن يكون ولياً لله ينبغي أن يكون كأنبياء الله ورسله:**
    - **يتمنى الخير في الدنيا والآخرة للناس أجمعين.**
    - **بل إنه يحزن إذا أصاب همٌ أو غمٌ حتى المبغضين أو الكافرين.**
      - **ويدعو الله بكشف الضُر عنهم.**
      - **كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ.**

الأمر الرابع:

- **أنك شاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم نزول البلايا للمؤمنين وزوال النعم عنهم:**
  - **فلا يتمنى زوال النعم عن المؤمنين ونزول البلاء عليهم إلا الكافرين، ويتنزَّه عن ذلك الموحدون والمؤمنون، لأنهم يحبون الخير للناس أجمعين.**

الأمرالخامس:

- **أن الحاسد إذا ترك نفسه لحسده، فإن هذا الحسد يؤلمه دائماً، ويعذبه إن كان في الدنيا:**
  - **ولا يزال في غم وهم وكبد حتى يتحقق ما في نفسه من مآرب لمن يتمنى أن تزول عنهم النعم، ويتمنى أن ينزل بهم الضُر.**
    - **وهذا لا ينبغي أن يكون لرجل يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.**

أسأل الله ﷻ أن ينقي قلوبنا أجمعين من البغض والكره والحقد والحسد وكل شيء نحو إخواننا المسلمين ...

وأن يضع في قلوبنا الحب والود والإيثار لجميع عباد الله المؤمنين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المرض الخامس

حب الدنيـــــــــــا[215]

حب الدنيا:

هو من أكبر الأمراض التي يتعرض لها أي سالك ...

وتظهر أعراضها عليه جلية وتعرضه للمهالك ...

ولكن لا بد لنا من تجلية هذا الأمر بما جلّاه الله ...

وبما بيَّنه لنا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

فكلمة الدنيا من الدناءة.

ولذلك كان الصالحون يقولون دوماً: (الدنيا الدنية).

والدنيا الدنية :

- **عدوة لله.**
- **وعدوة لأولياء الله.**
- **وعدوة كذلك لأعداء الله.**

ولكن الدنيا كما فهمها العارفون:

تنقسم إلى قسمين:

- **هناك الدنيا التي ينعون عليها ولا يحبون السلوك فيها ويتهمونها دوماً بإبعادهم عن القرب من حضرة الله:**
  - **وهذه تسمى الدنيا المذمومة.**
  - **وهناك الدنيا المحمودة:**

وهي التي يعيش فيها العارفون والصالحون والسالكون الصادقون.

---

215 الجميزة – السنطة –الغربية ٢٠ من محرم ١٤٤٤هـ ١٨/٨/٢٠٢٢م

الدنيا المذمومة

فالدنيا المذمومة هي التي فيها حظ عاجل للنفس، وليس فيها حظ للآخرة، ويُعبَّر عنها بالهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعات).

والدنيا أمرٌ معنوي :

وليس أمرٌ محسوس يظهر في أمور نراها حولنا أو بين أيدينا أو فينا.

فالهوى جمعه الله ﷻ في خمسة في قوله ﷻ وهو يُعلمنا حقيقة الدنيا:

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ (٢٠الحديد) واعلموا أي تعلموا.

- فإذا كان الإنسان مشغولاً باللعب سيكون في هذه الآنات غافلاً عن مولاه وعن ذكر الله وعن التقرب إلى الله، فيكون في الدنيا وفي الدنو، ويكون كذلك في سهو ونسيان لما يحبه الله ويرضاه.
- وإذا انشغل الإنسان باللهو والملهيات من الأغاني والمسلسلات وما شابهها، يكون أيضاً غافلاً عن ذكر مولاه، ويكون في الدنيا المذمومة التي ذمها الله وحذَّرنا منها رسول الله.
- وإذا كان الإنسان مشغول بالكلية بالزينة سواءٌ الزينة في نفسه في الثياب أو غيرها، أو الزينة في أثاثه ورياشه في بيته، أو الزينة في منصب يتعالى ويتباهي به، أو الزينة في سيارة أو مركب يركبه يتفاخر به، فهي دنيا مذمومة لأنها تباعد بينه وبين رضوان الله ﷻ.
- وإذا كان الإنسان مشغول كذلك بالتكاثر في الأموال ليظهر في الأرض بين الناس بغناه، ويتفاخر عليهم بما ربه أعطاه، أو بأولاده يتباهى بهم بين خلق الله لأمور دنيوية محضة.

▪ كل ذلك هو الدنيا التي تشغل المؤمن عن الله.

وجعل الله ﷻ مجامع الهوى سبعة في قوله ﷻ:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ (١٤آل عمران)

زُيِّن للناس وليس للمؤمنين.

فجعل الدنيا هنا زائدة عما ذكره في الآية الأولى، لأنه زاد فيها عن الشهوات وقسمها ﷻ كما رأينا، وجمع الله ﷻ الدنيا كلها في القرآن في آية واحدة في أمرين، يقول فيهما ﷻ:

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (٣٢الأنعام)

اختصرها في اللعب واللهو.

الدنيا المحمودة

فإذا نظرنا إلى الأمور التي ذكرها الله ﷻ، وذكر أن الإنسان إذا كان فيها كان في الدنيا، لا نجد بينها التفكر ولا ذكر الله ولا التنافس في الطاعات ولا الصلاة ولا الصيام ولا مجالس القرآن ولا مجالس الذكر ولا مجالس الصلح وغيرها من أعمال البر والتقوى.

فكأن الإنسان إذا كان في عمل من هذه الأعمال القويمة فهو في الآخرة وإن كان في الدنيا، لأنه في عمل من الأعمال التي توصله إلى مراضي الله في الآخرة.

ولذلك قال الله تعالى للمؤمنين عندما يكونوا مجتمعين حول رسول الله ﷺ يتعلمون من حضرته ويتفقهون في الدين: ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ (١٥٣آل عمران) أي حال دعوة الرسول لكم وتعليمه لكم تكونون في الآخرة وليس في الدنيا في هذه الحالة، وكذلك الإنسان لو وقف بين يدي مولاه في الصلاة يكون في الآخرة، وإن كان يظن من حوله أنه ما زال في دنيا الناس، لأنه منشغلٌ بعمل من أعمال الآخرة، وهذه هي الدنيا المحمودة التي يحمدها الله، والتي يعمل الإنسان فيها عملاً يحبه الله ويرضاه، ويقصد بهذا العمل وجه الله، أو يقصد بهذا العمل الدار الآخرة التي رغَّبنا فيها الله، وهكذا نجد الأمر كما قيل.

فإذا كان قصد الإنسان في أي عمل حظ النفس وشهواتها فهو من الدنيا، وإن كان قصد الإنسان بأي عمل الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته أنه يؤديه في الدنيا، قال ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا اسْتِعْفَافًا عَنْ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى أَهْلِهِ وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مُكَاثِرًا بِهَا حَلَالًا مُرَائِيًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ }[٢١٦]

القول الجامع

فنستطيع أن نختصر الدنيا المحمودة والمذمومة في هذه الحكمة الجلية:

فكل عمل لله ليس من الدنيا، وكذلك ما يكون الإنسان فيه في ضروراته من قوت لا بد له منه، أو من مسكن وملبس لا غنى له عنه هو وأولاده، إن قصد به وجه الله فليس من الدنيا، وإن قصد به الاستكثار منه والفخر والمباهاة والتنعم على خلق الله فهو دنيا دنية.

قال في ذلك ﷺ: **{ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ }**[٢١٧]، ومخيلة أي خيلاء يعني زهو أو فخر.

ولذلك نجد كثير من العارفين المتمكنين يمدح الدنيا ولا يذمها كما نسمع من الزاهدين، فهذا الإمام أبو العزئم رضي الله عنه يقول:

آه يا دار الفنا فيك البقا ... فيك رضا الله فوزٌ باللقا
فيك منهاج الحبيب المصطفى ... سُلَّمٌ للوصل سهل المرتقى

كيف يرتقي الأولياء والصالحون؟ ... بالأعمال التي يعملونها لله في الدنيا.

وكيف يقرب الله ﷻ المقربين؟

بزهدهم فيما حذَره الله ﷻ من الشهوات في الدنيا، وإقبالهم على الطاعات والنوافل والقربات طلباً لمرضاة الله، وعملاً بقول الله في حديثه القدسي:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[٢١٨]

---

٢١٦ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢١٧ مسند أحمد والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٢١٨ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

الزهد في الدنيا

فإذا استمعنا إلى ذم الدنيا من الزُهَّاد والعُبَّاد فهؤلاء سمعوا الأحاديث والآيات التي تذم الدنيا من سيدنا رسول الله وتأثروا بها وعملوا بها حتى يستكثروا من الطاعات والقربات ويكونوا من أهل الآخرة أو من أهل المقبلين على وجه الله ﷻ.

ولما كان الإنسان يتأثر دوماً بما تراه عينه، وما تشمه أنفه، وما تسمعه أذنه، وما تمسه حواسه، أي يتأثر بحواسه الظاهرة وما تلمسه وتراه وتسمعه وتشاهده، فإن النبي ﷺ حذَّرنا من الركون إلى ذلك حتى لا نتعرض للمهالك، وأمرنا أن نحفظ أنفسنا من هذه الأشياء، ونُقبل على طاعة الله والتقرب إلى الله متأسين بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

مشى رسول الله ﷺ مع أصحابه ليبغض إليهم الدنيا عياناً ومروا على شاة ميتة، فقال ﷺ:

{ أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا؟ قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا }، وقال ﷺ:

{ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ؛ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ }[٢١٩]

وقال ﷺ لمن ينظر إلى من حوله من الكافرين، وكيف أن الله ﷻ زَيَّن لهم كما قال في القرآن شهوات الدنيا وحظوظها:

{ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }[٢٢٠]

سجن المؤمن لأنه يمنع جوارحه عن الخوض في الشهوات التي حرَّمها الله وبغَّضها إلينا رسول الله، وجنة الكافر لأنه لا ينظر إلى الآخرة ولا يحرص عليها، ويظن أنه ليس له حياة إلا الحياة الدنيا، ويقولون كما قال الله في شأنهم: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ (٢٤ الجاثية).

وقال ﷺ:

{ أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا؛

---

٢١٩ الأول: سنن الترمذي ومسند أحمد، والثاني: سنن الترمذي والطبراني عن سهل بن سعد ﷺ

٢٢٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ }[٢٢١]

ولما علم ﷺ أن هناك قومٌ يظنون أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين حب الدنيا وحب الآخرة، والعَبُّ من شهوات الدنيا وأن لا يُحرموا من الآخرة، قال لهم ﷺ مُحذراً:

{ مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ؛ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى }[٢٢٢]

حب الدنيا ومشاكل الإنسان

ووجَّه ﷺ نظر أصحابه والصادقين من المؤمنين من بعده إلى يوم الدين إلى سبب المشاكل التي تحدث بين الناس أجمعين:

والمشاكل لها أسباب متعددة ...

لكن هناك سبب يجمع كل هذه الأسباب فقال ﷺ:

{ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ }[٢٢٣]

فأي خطيئة أو ذنب يرتكبه الإنسان نحو نفسه أو نحو غيره من بني الإنسان سببه طمعه وحبه للشهوات وللدنيا، وميله عن العمل بما أمرنا به الرحمن وما جاء في القرآن وما كان عليه النبي العدنان ﷺ.

ولما كان ما يهم الناس في الدنيا وما يسهلها هو المال، وكان جُلَّ هَمّ الناس الذين يحبون الدنيا هو جمع المال من حرام أو من حلال، قال ﷺ:

{ (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ) يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ }[٢٢٤]

ما أكلته فإنه يفنى، ولذلك قيل:

من كان همُّه بطنه فقيمته ما يخرج منه، ومن كان همُّه لبسه فإنه لا بد يتعرض للبلى، أو يبلى الإنسان ويتركه لغيره.

---

٢٢١ سنن الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٢٢٢ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي موسى الأشعري ﷺ
٢٢٣ الزهد لابن أبي الدنيا
٢٢٤ صحيح مسلم والترمذي

أما الذي يبقى له عند الله هو ما يتصدق به، ولذا ذبح نبينا ﷺ شاة، وأمر عائشة رضي الله عنها أن توزعها على فلان وفلان وفلان، وعدَّ لهم نفراً من فقراء المسلمين، ثم خرج وتركها، فلما رجع ﷺ وهو نعم المربي والمعلم سألها:

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا}[٢٢٥]

أي أن ما تتصدق به يكون كما قال الله: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل)، ووصف رسول الله ﷺ الدنيا وصفاً جامعاً، قال فيه:

{ الدُّنيا دارُ مَن لا دارَ لَهُ، ومالُ مَن لا مالَ لَهُ، ولَها يجمعُ مَن لا عقلَ لَهُ، وعليها يُعادي مَن لا عِلم لَهُ، وعليها يَحسُدُ مَن لا فِقهَ لَهُ، ولها يسعَى مَن لا يقينَ لَهُ }[٢٢٦]

فنسأل الله أن يجعلنا من المستبصرين في هذا الحديث الجامع لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

سلفنا الصالح والدنيا

مشى سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين والصالحين على هذا النهج المبارك من الزهد في الدنيا.

وعملوا بقول رسول الله ﷺ:

{ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ ﷻ،
وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ}[٢٢٧]

فزهدوا في شهوات الدنيا وأهوائها، وسخَّروها وجعلوها كلها للأعمال الصالحة والنوافل والقربات التي يطلبونها ويجدونها عند الله ﷻ.

وانظر إلى الإمام علي رضي الله عنه وهو من أئمة أهل الورع والزهد حيث يقول:

(من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً، من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتَّبعه، وعرف الباطل فاتَّقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها)

---

٢٢٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
٢٢٦ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها
٢٢٧ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد رضي الله عنه

فنِعْمَ ما قال مدينة العلم ﷺ وكرَّم الله وجهه.

ووصف الإمام علي ﷺ ما يتمتع المرء به في دنياه، وردَّه إلى أصله الذي جاء منه ليزهدنا في هذه الشهوات، فقال:

(إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البروالفاجر، وأشرف الملبوسات الحرير- يقصد الحرير الطبيعي - وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس وعليه يُقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مَبال في مَبال، وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها - يقصد وجهها - ويُراد أقبح شيء منها، وأشرف المشمومات المسك وهو دم).

والمنجى من ذلك ما قاله أبو حازم ﷺ في نصيحة لرجل سأله وقال له: أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار، فقال ﷺ: (انظر ما أتاكه الله منها فلا تأخذه إلا من حِلِّه، ولا تضعه إلا في حقه، ولا يضرك حب الدنيا).

ونِعمَت النصيحة، فلو كل إنسان منا وقف عند هذه النصيحة فقط لنجا من الدنيا وأهوائها وفتنها، فلا يأخذ أي شيء منها إلا من حلال أحلَّه شرع الله، ولا يدع أي شيء ملكته يداه إلا في حق أوجبه عليه الله، وهنا يكون عمله كله لله لأنه يعمل كل أموره لله ﷻ.

وزار رابعة العدوية بعض أصحابها فأخذوا يذكرون الدنيا ويذمونها، فقالت ﷺ:

(اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها؛ لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره).

ولذلك نجد دائماً وأبداً من يكثر من ذكر الدنيا وذمها الزهاد والعُبَّاد والوعاظ، أما العارفون فعلموا أن الدنيا هي الباب الذي يتقربون فيه إلى الله، والذي ينالون فيه منح الله وعطاءات الله، والذي ينالون فيه الدرجات العُلى في القرب من حبيب الله ومصطفاه، فانشغلوا بذلك ونسوا ما خلاف ذلك، فالدنيا كما قال ﷺ فيها:

{ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا }[٢٢٨]

٢٢٨ مسند أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

حكمة المؤمن في حياته الدنيا

ونخرج من هذا الحديث بحكمة عظيمة:

- أنه ليس من المهم أن تعتزل الدنيا ومسراتها، وأن تهجر نعيمها وأفراحها:
- ولكن المهم أن لا تجعل للدنيا سلطاناً على قلبك، فيميل معها كلما مالت.
- فالمؤمن الحق هو الذي يعيش وأقدامه في الدنيا، ويكافح فيها ويناضل فيها.
- بل ويغرس راياته في حدقة الكون إن استطاع، ولكن عيونه تتطلع إلى طريق السلف الصالح، وإلى نهج الأنبياء والمخلصين، وإلى قيم الشرع الإلهي ينصرها في وجه شريعة الحياة والغاب والمصلحة الشخصية.

ولذلك سُئل الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ عن الزهد في الدنيا وما مكانته في معرفة الله والقرب من الله؟ وهل التنعم بنعيم الدنيا يمنع من معرفة الله؟

فقال لأبي العباس المرسي ﷺ:

(يا أبا العباس اعرف الله وكن كيف شئت).

ولذلك منهجه ومنهج السادة الشاذلية أجمعين لا يدعون إلى التقلل من الدنيا والزهد فيها، بل يحولونها إلى أعمال الآخرة وإلى شكر الله عليها، فينالون بها منه النعم الفاخرة.

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

(كُل أفخر الطعام، واشرب أشهى الشراب، والبس أجمل الملابس، وتزوج أجمل النساء، و افرش أجمل الفراش، على أن يكون ذلك من حلال، وعلى أن تشكر الله ﷻ عليه، وعلى أن لا يشغلك عن الواجبات والفرائض التي فرضها الله ﷻ عليك).

فهنيئاً لمن استطاع أن يجعل الدنيا في يديه تخدمه ولم يمكنها من قلبه لتستخدمه.

نسأل الله ﷻ أن يُسخِّر لنا الدنيا، وأن يُسخِّرنا أجمعين لحضرته، وأن لا يشغلنا بنعمها ومتعها عن شكره وطاعته وعبادته طرفة عين ولا أقل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المرض السادس: البخل وحب المال[٢٢٩]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم وآله وصحبه وكل من تمسك بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بفضلك ومنك وجودك يا أرحم الراحمين.

فتنة المال

من أعظم الفتن التي يتعرض لها السالك فتنة المال وما يتبعها من الفتن التي سببها المال، فقد قال إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

(أول ما نختبر به السالك في طريق الله المال، فإن نجا من هذه الفتنة فما بعدها أيسر منها، وإن لم ينج من هذه الفتنة فما بعدها شر منها).

والمال فتنة من فتن الدنيا.

وفتن الدنيا كثيرة ومتشعبة لكن أعظم فتنها هو المال، حيث أنه لا غِنى لأحد في الدنيا عنه، فإن الإنسان إذا فقد المال حدث له الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً، وإن وُجد ولم يكن معه عناية من الله حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خُسراً.

وشر المال ما كان سبباً في معاصي الله.

وخير المال ما كان مساعداً على طاعة الله.

ولذلك حذَّر الله ﷻ المؤمنين الصادقين منه في كتاب الله فقال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (٩المنافقون) وقال تعالى أيضاً: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٥التغابن)، ونلاحظ أن الله ﷻ قدَّم فتنة المال على فتنة الولد لعظم ما تفعله بالإنسان إذا لم يمشي على منهج عباد الرحمن، ويكون من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

وقال ﷺ مبيناً لنا وظائف الذين حولنا وننشغل بهم، ومنهم المال:

---

٢٢٩ الجميزة – السنطة –الغربية ٥ من محرم ١٤٤٤هـ ١/٩/٢٠٢٢م

{ أَخِلَّاءُ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ، وَالثَّانِي إِلَى قَبْرِهِ، وَالثَّالِثُ إِلَى مَحْشَرِهِ، فَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ فَمَالُهُ، وَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْرِهِ فَأَهْلُهُ، وَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى مَحْشَرِهِ فَعَمَلُهُ }[٢٣٠]

وحكى لنا نبينا ﷺ ماذا تقول الملائكة وهم يشيعون الرجل إلى قبره، فقال ﷺ:

{ إِذَا مَاتَ الميِّتُ تَقُولُ المَلائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ وَتَقُولُ النَّاسُ: مَا خَلَّفَ؟}[٢٣١]

ما خلَّف؟ يعني ما ترك؟ ... ولذلك الصحابة المباركون علموا وعرفوا هذه الحقيقة فكانوا الأسوة الطيبة والقدوة الصالحة، نسأل الله أن يرزقنا التأسي بهم وبأحوالهم أجمعين.

فهذا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه يضع درهماً على كفه، ثم قال مخاطباً له:

(أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني) أي ما لم تخرج عني لعمل صالح أو صدقة جارية أو مثلها فإنك لن تنفعني يوم القيامة عند الله.

ورُوي أن التابعي محمد بن كعب القُرظي أصاب مالاً كثيراً، فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك؟ قال: لا، ولكن أدخره لنفسي عند ربي، وأدخر ربي لولدي.

ورُوي أن عمر بن عبد العزيز ﷺ عند موته دخل عليه ابن عمه مسيلمة بن عبد الملك، وقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحدٌ قبلك، تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار، فقال عمر: أقعدوني، فأقعدوه، فقال:

أما قولك لم أدع درهماً ولا ديناراً فإني لم أمنعهم حقاً لهم، ولم أعطهم حقاً لغيرهم، وإنما ولدي أحد رجلين: إما مطيعٌ لله فالله كافيه لأنه سبحانه يتولى الصالحين، وإما عاص لله فلا أُبالي على ما وقع.

وقال يحي بن معاذ ﷺ:

مصيبتان لم يسمع الأولون ولا الآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل وما هما؟ قال: يؤخذ منه ماله كله ويُسأل عنه كله، لأن المال يتحول للورثة، والحساب يكون على المورث صاحب المال.

---

٢٣٠ مسند أحمد والطبراني في الكبير والأوسط عن النعمان بن بشير ﷺ
٢٣١ رواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة ﷺ

المال خير

لكن القرآن الكريم نظر لنا جماعة المؤمنين وتوسَّم فينا الخير، فذكر لنا المال في الجانب الخير الذي ينبغي علينا أن ننفقه فيه، فسَمَّ القرآن المال خيراً في مواضع كثيرة كقوله تعالى:

﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ (البقرة) وقال ﷺ موضحاً ذلك:

{ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ }[٢٣٢]

وقال ﷺ في كراهية التجرد بالكلية من المال بحجة الزهد:

{ كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا }[٢٣٣]

إذاً نظرة القرآن والسُنَّة إلى المال أنه وسيلة للإنسان، إما وسيلة يتقرب بها إلى الله بالعمل الصالح الذي يفعله به، وإما وسيلة يهوي بها في جهنم إذا استخدمه على وفق حظه وهواه.

فالمال لا يُكره لذاته ولا يُذم لذاته، بل لما فيه من قواطع، ولما يطويه من شهوات تتيسر بوجوده وإنفاقه في غير الأبواب التي فتحها لنا الله لنرتقي بها في مقامات القرب من حضرته ويفتح لنا بها أبواب جنته.

ولذلك استحب القرآن والسُنَّة أن يكون المال في يد المرء على قدر الكفاية.

والمال إذا زاد عن الحد يكون خطر عظيم على صاحبه إن لم يوفقه الموفق ﷻ.

ولذلك قال ﷺ يقول:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا }[٢٣٤]

يعني رزق يوم بيوم، وقال ﷺ فيمن كان همهم في المال، ويحبون المال حباً جماً:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ }[٢٣٥]

يعني إذا دخل في قدمه شوكة لا يجد ملقطاً يلتقط به الشوكة ليستريح منها.

---

٢٣٢ صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص ﷺ
٢٣٣ أخرجه ابن أبي الدنيا في (إصلاح المال)
٢٣٤ صحيح ابن حبان والنسائي عن أبي هريرة ﷺ
٢٣٥ البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

فوائد المال

المال له فوائد وله آفات.

أما فوائد المال فهي إما فوائد دنيوية أو فوائد دينية:

الفوائد الدنيوية هي معروفة لنا جميعاً، فلا يتحرك مجتمع وينشط ويعمر ويبني ويقيم الطرق والكباري والمصانع والمدارس وغيرها إلا بالمال.

وأما الدينية فهي أيضاً كثيرة، فقد يستفيد المسلم من المال في دينه لنفسه بأن ينفقه على نفسه في عبادة كأن ينفقه في السفر للحج إلى بيت الله الحرام أو أداء العمرة أو التجهز للجهاد في سبيل الله، أو يستعين به على عبادة من العبادات كالزكاة التي ينفق مالها ليرضي الله ﷻ على الفقراء الذين جعلهم الله ﷻ أصحاب هذا المال، فقد ورد في الأثر عن الله ﷻ: **(الأغنياء وكلائي والفقراء عيالي، فإذا بخل وكلائي على عيالي أذقتهم نكالي ولا أُبالي).**

وأمرنا الله أن نصرف أموال الزكاة في المصارف الثمانية الواردة في الآية القرآنية:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (٦٠التوبة)

وقد يصرف الإنسان المال إلى الناس لينفع به الناس.

- وذلك كأن ينفقه على هيئة صدقة، والصدقات تدفع سبعين باباً من البلاء عن صاحبها، قال ﷺ:{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ }[٢٣٦]
- أو ينفقه كمروءة كأن يستضيف بعض أحبابه أو أهله زيادة في المودة والمحبة.
- أو يزورهم ويتودد إليهم، أو ينفقه وقاية لعرضه كأن يعطيه للشعراء أو السفهاء حتى يسلم من ألسنتهم، وقد قال ﷺ:

{ مَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ }[٢٣٧]

- أو يعطيه كأجرة لاستخدام الناس في أعمال الخير وأعمال البر التي يكلفهم بها رغبة في رضاء الله ﷻ.

---

٢٣٦ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﷺ
٢٣٧ الحاكم في المستدرك وسنن الدارقطني عن جابر ﷺ

وقد يصرف الإنسان المال في خير عام كبناء المساجد وبناء المدارس والمستشفيات والكتاتيب وغيرها من وجوه البر والخير، ويجمعها جميعاً الأوقاف التي كانت هي العمل الاجتماعي الأصلي في مجتمعات المسلمين إلى يومنا هذا.

والمال فوق ذلك يجعل الإنسان المسلم عزيزاً، والله ﷻ جعل العزة لنفسه أولاً، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (يونس) ثم جعل العزة لرسوله وللمؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون) فالمال يُخلص الإنسان من ذل السؤال والحاجة ومن حقارة الفقر، ويمكنه من الوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء ويعطيه وقاراً في المجتمع وكرامة في القلوب، ولذلك فإن المال بهذه الكيفية يحبه الله ﷻ على أن لا يكون الإنسان في ذلك يمشي على حسب هواه، وإنما ينفق المال في الأبواب التي وضحها كتاب الله، وبيَّنها بعمله وفعله سيدنا رسول الله ﷺ.

آفات المال

أما آفات المال فهي:

أولاً:

إذا زاد المال عن حده، أو إذا كان الإنسان يمشي وفق حظ نفسه قد يجره المال إلى المعاصي كأن ينفقه في المخدرات أو في المسكرات أو في الجري وراء النساء المومسات، أو فيما شابه ذلك من المنكرات والمخالفات، ومنها القمار، ومنها قطع الوقت فيما يغضب الواحد القهار، وذلك باب يجر الإنسان إلى النار، فيشتري الإنسان النار بماله الذي أعطاه الله له وسماه خيراً ليحظى بالنعيم بسببه وبرضا الله بإنفاقه.

ثانياً:

قد يجر المال إلى التنعم بالمباحات التي ليست ضرورات بحجة أن الإنسان يعتبر أن المال ماله وهو حرُّ التصرف فيه، ولو كان الإنسان حر التصرف في ماله ما سُئل عن كسبه وإنفاقه، فإنه يُسأل عن كل مال سؤالين ذكرهما حضرة النبي يوم لقاء الله ﷻ:

{مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ }[٢٣٨]

٢٣٨ سنن الترمذي والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ

هل اكتسبه من حلال أم من حرام؟

وهل أنفقه في حلال ضروري أو في مباح غير ضروري؟ ويكون ذلك من باب الإسراف، والله ﷻ قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١الأنعام) أو قد يبذره هنا وهناك وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (٢٧الإسراء).

هذا فضلاً عن أنه لو مال إلى المباحات وهي الأشياء التي ليست ضرورية، ولكن لو صنعها الإنسان لا تكون معصية لله ﷻ، فقد تجره المباحات إلى الشبهات التي أمرنا النبي ﷺ أن نتقيها، قال ﷺ:

{ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ }[٢٣٩]

وقد تجره الشبهات إلى المعاصي وهو لا يشعر.

إذاً على الإنسان أن يقي نفسه هذه الفتنة ويعمل بقول الله في عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧الفرقان) ذكر الله ﷻ أن للمال آفتان ينبغي أن يبتعد عنهما الإنسان والذي يتسبب فيهما المال، وهما الإسراف والتبذير في الإنفاق بغير داع شرعي، أو التقتير وهو البخل، وهو مرض يجره حب المال إذا استكن في قلب الإنسان، وأصبح الإنسان يحب المال ذاته، والمال وسيلة فيحبه الإنسان من أجل ما يقضي به حوائجه، ولا يحبه لذاته لأنه غير مقصود لذاته.

ثالثاً:

قد يكون الإنسان من حبه للمال يجعل كل وقته وكل همه في ليله ونهاره مشغول بالمال، مشغول في جمعه وفي محاولة تنميته وفي محاولة تكبيره، وقد يلهيه ذلك عن ذكر الله وعن التفكر في آلاء الله، وذلك ما حذَّرنا منه الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٩المنافقون).

ومن لهاه المال عن ذكر الله، يعني عن إقامة الصلوات المفروضة في وقتها، وعن إخراج الزكاة من هذا المال، وعن إخراج حق الفقراء منه، وعن رزق المجاورين والمحبين منه، فإن هذا المال يكون وبالاً على صاحبه وليس خيراً له، فهذه آفات يجب أن نحرص عليها، وأبغض هذه الآفات هو البخل والطمع.

---

٢٣٩ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

الشح والبخل

فإن حب المال لذاته يُنتج البُخل، والبُخل نتيجة للشح، والله ﷻ نهانا عن الشح فقال: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩).

وحذَّرنا الله ﷻ من الإقبال على المال لذاته، فقال على لسان حبيبه ﷺ:

{ لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ }[٢٤٠]

وبيَّن ﷺ أن هذا الداء يلازم الإنسان حتى موته، فقال ﷺ:

{ يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ }[٢٤١]

يعني كلما طال عمره كلما زاد حرصه وطمعه في المال، ولذلك قال ﷺ مطالباً المسلمين بالتخفف من ذلك:

{ طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ }[٢٤٢]

طلب منا القناعة والقناعة كنزٌ لا يفنى، وقال ﷺ لمن يزعمون أن الغنى عن كثرة المال، أو كثرة الخيرات، كالعقارات والأرض وغيرها:

{ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ }[٢٤٣]

وكثرة العرض أي الخيرات التي أشرنا إليها، ورُوي أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال:

{ يَا رَسُولَ الله عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَاجْمَعْ الْيَأسَ مِمَّا فِي يَدَيْ النَّاسِ}[٢٤٤]

مرض البخل هو الداء العُضال، وضده السخاء الذي يطالب به الله المؤمن، فالمؤمن بالمال إذا مشى بما يرضي الله انتقل إلى مقام السخاء والإيثار الذي يحبه الله، وإذا أمسك

---

٢٤٠ صحيح البخاري والترمذي عن أنس ﷺ
٢٤١ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ
٢٤٢ سنن الترمذي ومسند أحمد عن فضالة بن عبيد ﷺ
٢٤٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٢٤٤ مسند أحمد وابن ماجة عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ

على نفسه كان مرض البخل، قال ﷺ في الصنفين:

{ السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَالشُّحُّ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ }[٢٤٥]

أسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة، وقال ﷺ:

{ السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ }[٢٤٦]

الوقاية من البخل

ولذلك وجَّهنا النبي ﷺ إلى منهج كامل نمشي عليه حتى يقينا الله من داء البُخل، وهو أشد داء يُذهب بالإنسان إلى جهنم ويباعد بينه وبين الجنة وأهل الجنة.

الأمر الأول:

أمرنا ﷺ أن نقتصد في المعيشة ونترفق في الإنفاق، وقال ﷺ:

{ الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ }[٢٤٧]

وفي بعض الأثر:

(التدبير نصف المعيشة)

أي أن الإنسان لا بد أن يحرص جيداً أن لا يُنفق قرشاً إلا فيما يرضي الله.

فلو أنفق الإنسان ماله كله فيما يرضي الله لم يكن مسرفاً ...

وإذا أنفق قرشاً واحداً فيما يغضب الله صار مسرفاً ...

والدليل على ذلك :

---

٢٤٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٢٤٦ جامع الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٢٤٧ المعجم الأوسط للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

سيدنا أبو بكر ﷺ عندما جاء بماله كله، وقال له النبي ﷺ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[٢٤٨]

فالإنسان المسلم الذي يمشي على منهج القرآن لا يبسط يده كل البسط، ولا يقبضها حتى لا يقعد ملوماً محسوراً، بل يُحكم تدبير أموره حتى لا يمد يده إلى غيره طرفة عين ولا أقل.

الأمر الثاني:

إذا تيسَّر للإنسان ما يكفيه فلا ينبغي له أن ينشغل بهم الغد ولا بعد الغد، ولا كيف سيكون حاله بعد ذلك، لأن الله ﷻ لم يطالبني بعمل الغد حتى أطالبه برزق الغد، وأنا أعلم علم اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

الأمر الثالث:

يعود الإنسان نفسه على القناعة، بأن يستغني عما في أيدي الناس، فلا يمد يده إلى الناس ولو كان في أمسّ الحاجة إلى ما معهم، بل لا يسأل إلا الله ولا يرفع يده إلا إلى حضرة الله:

{ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ }[٢٤٩]

ويعلم كذلك أن الحرص والطمع سيكونوا سبب ذل له إن لم يكن في الدنيا فعند لقاء الله عندما يحاسبه الله على ماله فيم أنفقه؟ ولِمَ لم ينفقه فيما يرضي الله ﷻ؟.

ولذلك قيل: (عز المؤمن استغناؤه عن الناس) وقيل: (استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره).[٢٥٠]

الأمر الرابع: أمرنا ﷺ أن ننظر دوماً إلى من هو فوقنا في الدين حتى نحاول أن نصل إلى مرتبته ودرجته حاله ومقامه، وننظر إلى من هو دوننا في الدنيا لأن ذلك أدعى للقناعة وشكر الله ﷻ على ما أنعم به علينا، قال ﷺ:

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ }[٢٥١]

---

٢٤٨ جامع الترمذي وأبي داود
٢٤٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢٥٠ من كلام الإمام علي في نصحه لابنه الحسن رضي الله عنهم أجمعين (دليل الفالحين).
٢٥١ معجم الطبراني والأمالي الخميسية للشجري عن أبي ذر ﷺ

السخاء والإيثار

ومن هنا فإن الإنسان المؤمن التقي النقي لا يزال يجاهد نفسه حتى يرتقي إلى رتبة السخاء، لأن الله ﷻ مدح الأنصار بالإيثار وهو السخاء فقال:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر).

قيل للحسن البصري: ما السخاء؟ قال: أن تجود بمالك في الله ﷻ، وقيل له: وما الإسراف؟ قال الإنفاق لحب الرياسة، أي للظهور وحب الظهور في الدنيا.

وضرب الله ﷻ لنا الأمثال في القرآن لهؤلاء الأنصار:

فقد جاء ضيف لحضرة النبي، فطلب النبي أن يضيفه أحد من الأنصار، فأخذه رجل منهم وذهب إلى زوجه وطلب منها أن تُحسن إليه وتطعمه، وقال لها:

{ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئْ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ }[٢٥٢]

ونزل قول الله ﷻ:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر).

ورُوي أن قيس بن سعد بن عبادة مرض فاستبطأ إخوانه في زيارته، وكيف أنهم لم يأتوا لزيارته؟ وسأل من حوله، فقيل له: إنهم يستحيون منك مما لك عليهم من الدَين,

فقال: أخذ الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى:

من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء، قيل: فانكسرت درجته، أي كثُر زواره حتى انحشروا في عتبة بابه في العشي.

---

٢٥٢ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

وهذا الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه:

سُئل عند موته: مَنْ يُغسلك؟

فقال: يغسلني فلان، وكان تاجراً فقيل له: إن الشافعي أوصى بأن تُغسله، فجاء الرجل ثم قال: أين جريدته – يعني صحيفته التي يكتب فيها وصيته ماله وما عليه – فوجد عليه سبعين ألف درهم، فقال:

عليَّ دينه وهذا غُسلي الذي طلبه الشافعي ﷺ وأرضاه.

فالسخاء خُلقٌ طيبٌ في الإنسان، وأعلى درجاته هو الإيثار .... وهو أن يتسخَّى الإنسان بما يحتاج إليه.

كما رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ :

أن رجلاً من الأنصار أوتي إليه يوم العيد برأس كبش فجلس مع زوجته وقال: يا أم فلان أرى أخي فلان أحوج إلي هذه الرأس منا، فقالت: اذهب إليه وأعطها له، فذهب وأعطاها له، فقال الرجل الثاني لزوجته: يا أم فلان أرى أن أخي فلان أحوج إلى هذا الرأس مني، قالت: اذهب إليه وأعطها له، قيل: دارت الرأس على سبعة بيوت من الأنصار ثم رجعت إلى الأول، فنعم الرجال رجال الأنصار، ونعم النساء نساء الأنصار، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ }[٢٥٣]

لأنهم بلغوا درجة السخاء في دين الله ﷻ ..

نسأل الله ﷻ أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن لا يوطن الشُح في نفوسنا، وأن لا يجعل البُخل من طباعنا، وأن لا يجعل الإسراف والتبذير سبيلنا، وأن يجعلنا من القوم الذين يمتدحهم فيقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (٦٧الفرقان).

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٢٥٣ البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم ﷺ

المرض السابع: فتنة حب الجاه والشُهرة[٢٥٤]

فتنة حب الجاه والشُهرة فتنة خطيرة لا ينتبه إليها كثير من السالكين، لأنها محببةٌ إلى النفس، ودائماً وأبداً تتوق النفس إلى الشُهرة وحب الظهور، وإنه كما قيل: (حب الظهور يقسم الظهور) وأشار إليها رسول الله ﷺ حيث يقول:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٢٥٥]

والرياء والشهرة الخفية يكون عند الإنسان أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، كما قال ﷺ:

{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ }[٢٥٦]

فحب الجاه يعني أن الإنسان كما أنه يحب المال وامتلاك الدراهم والدنانير فكذلك يحب أن يكون له منزلة ومكانة في قلوب الناس يميلوا بها إليه ويُثنوا بها عليه ويسيطر بها عليهم، وهي فتنة يقول فيها سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه: (آخرداء يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة).

أسباب الميل إلى الجاه

والجاه في ذاته يسعى الإنسان إليه لأن النفس تميل إليه، والناس يميلون إلى الإنسان ويجعلون له مكانة عندهم لاعتقادهم في شيء من الكمالات فيه، كأن يكون له كمال في العلم، أو يكون له ثروة كبيرة يشتهر بها بينهم، أو يكون ذا نسب كمن ينتسب إلى آل بيت النبي ومن ذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما، أو من يتظاهر بالزهد والورع، أو من يتظاهر بالتقوى، أو من يتظاهر ويتباهي بالسعي بين الناس لجلب الخير لهم والإتيان بالمصالح التي يحبونها فيما بينهم، وغير ذلك.

ومن هنا فإن صاحب الجاه يُخشى عليه من الفتنة، لأنه ينسى أنه أُعطي الجاه في قلوب الناس لاعتقادهم بكماله، والجاه هنا مسؤولية ومساءلة وليس زينة نتزين بها أمام الناس.

---

٢٥٤ الجميزة – السنطة –الغربية ١٢ من صفر ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/٩/٨م
٢٥٥ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري رضي الله عنه
٢٥٦ الحاكم في المستدرك وأبي نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها

فمن ولَّاه الله على قلوب الخلق أخذ عليه العهد والميثاق أن يراعي الأمانة في قلوب الناس، فلا يتزيَّن لهم بما ليس فيه، فإن كان عالماً لا يدَّعي علماً لا يعرفه ولا يحويه بين جنباته، وإن كان يدَّعي الورع وليس ورعاً أو يدَّعي التُقى وليس تقياً فهذا يُخشى عليه من الفتنة ويُخشى عليه من تضييع المسؤولية ويُخشى عليه من سؤال الله ﷻ له عما هو فيه يوم القيامة.

الزهد في الشهرة

ولذلك آثر النبي ﷺ في تربيته لصحبه المباركين أن يكونوا في البداية زاهدين في الشُهرة غير راغبين في الجاه، وإنما يرغبون في الخمول وعدم ذيوع الشهرة والصيط والرفعة، ولذلك يقول ﷺ:

{ حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ}[٢٥٧]

وقال سليم بن حنظلة: (بينما نحن حول أُبيّ بن كعب نمشي خلفه، إذ رآه عمر فعلاه بالدرة، فقال أُبيٌّ: أُنظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال عمر رضي الله عنه: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع)، وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: (خرج بن مسعود يوماً من منزله فتبعه ناس، فالتفت إليهم فقال: علامَ تتبعوني؟! فوالله لو تعلمون ما أُغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان).، ولذلك قال الحسن رضي الله عنه: (إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى).

الخمول والجاه

ولما كان أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار، فهو هنا مذموم إذا طلبه الإنسان، لكن إذا أشهره الله تعالى لنشر دينه وجاءته الشُهرة بغير تكلف ولا طلب فذلك هو المحمود وهو الذي كان عليه أصحاب النبي رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين، وإن كان أغلبهم يميل إلى الخمول لكثرة ما ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ}[٢٥٨]

وأشعث يعني ملبَّد الشعر في رأسه، وذي طمرين يعني ثوبين خَلِقين.

---

٢٥٧ ورد في تفسير ابن كثير عن أنس رضي الله عنه
٢٥٨ جامع الترمذي والحاكم عن أنس رضي الله عنه

والبراء بن مالك أخ أنس بن مالك من أبيه كان في معركة (تُستر) في بلاد فارس، وأحاط الفُرس بالمسلمين، فالتفَّ المسلمون حول البراء وقالوا: يا براء أقسم على الله أن ينصرنا عليهم فإنك مُجاب الدعوة كما قال ﷺ، فقال البراء: يا رب أُقسم عليك لتمنحنَّا أكتافهم، ولتلحقني بنبيك ﷺ، فكان القوم من الفرس كأنهم استسلموا حتى أكثر المسلمون فيهم القتل، كأنهم مُنحوا أكتافهم.

ومات البراء استجابة لدعوته، لأنه طلب من الله أن يُلحقه بالنبي ﷺ.

وقال فيهم أيضاً ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ مَنْ هُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ ذُو طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، الَّذِينَ إِذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الْأُمَرَاءِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ، وَإِذَا خَطَبُوا النِّسَاءَ لَمْ يُنْكَحُوا، وَإِذَا قَالُوا لَمْ يُنْصَتْ لَهُمْ، حَوَائِجُ أَحَدِهِمْ تَتَجَلْجَلُ فِي صَدْرِهِ، لَوْ قُسِّمَ نُورُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ النَّاسِ لَوَسِعَهُمْ }[٢٥٩].

وقال أيضاً ﷺ فيهم: **{ إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَوْ أَتَى أَحَدُكُمْ يَسْأَلُهُ دِينَاراً لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ، وَ لَوْ سَأَلَهُ دِرْهَماً لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ، وَ لَوْ سَأَلَهُ فَلْساً لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ، وَ لَوْ سَأَلَ اَللَّهَ ﷻ اَلْجَنَّةَ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَ لَوْ سَأَلَهُ اَلدُّنْيَا لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهَا وَ مَا مَنَعَهُ إِيَّاهَا لِهَوَانِهِ عَلَيْهِ }**[٢٦٠]

وفي هؤلاء يقول الإمام محي الدين بن العربي ﷺ وأرضاه مفسراً حالهم عند الله:

(إن هؤلاء نالوا هذه المرتبة عند الله لأنهم صانوا قلوبهم عن أن يدخلها غير الله، أو تتعلق بكون من الأكوان سوى الله، فليس لهم جلوس إلا مع الله، ولا حديث إلا مع الله، فهم بالله قائمون، وفي الله ناظرون، وإليه راحلون ومنقلبون، وعنه ناطقون، ومنه آخذون، وعليه متوكلون، وعنده قابلون، فما لهم معروف سواه، ولا مشهود إلا إياه، صانوا نفوسَهم عن نفوسِهم فلا تعرفهم نفوسهم، فهم في غيابات الغيب المحجوبون، وهم ضنائن الحق المستخلَصون، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مشي ستركله حجاب، فهذه حالة هذه الطائفة).

---

٢٥٩ ورد في تفسير ابن كثير عن أبي هريرة ﷺ

٢٦٠ أخرجه العراقي وقال حسن صحيح عن ثوبان ﷺ

وهؤلاء يقول فيهم عمر ﷺ عندما دخل المسجد ورأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الْأَثْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ }[٢٦١]

ومن هؤلاء أويس القرني ﷺ الذي أوصى النبي عمر وعليَّ أن يلحقا به، وقال لهما:

{ إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ }[٢٦٢]

فسعيا إليه حتى تقابلا معه على عرفات، وسأله عمر أن يأتي معهما إلى المدينة فأبى لأنه لا يحب الشُهرة، وقال: أسير إلى البصرة، فطلب منه أن يكتب له كتاباً إلى أميرها فرفض، وقال: أُحب أن أكون في أدنى الناس، ولا أُحب أن يُشار إليَّ بالبنان.

ومن هؤلاء يحكي محمد بن سُويد التابعي فيقول:

قحط أهل المدينة وشحَّ المطر، وكان بها رجل صالح لا يُؤبه له ملازم لمسجد النبي، فبينما هم في دعائهم إذ جاءهم هذا الرجل وعليه طِمران – يعني قميصان خَلِقان – فصلى ركعتين أوجز فيهما، ثم بسط يديه فقال: (يا رب أقسمتُ عليك إلا أن أمطرت علينا الساعة) فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشَّت السماء بالغمام وأُمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق، فقال: (يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم) فسكن المطر في الوقت والحال.

قال محمد بن سويد: فتبعتُ الرجل الذي استسقى حتى عرفت منزله ثم توجهتُ إليه في الصباح، فخرج إليَّ فقلت: إني أتيتك في حاجة، قال: ما حاجتك؟ قلت: تخصُني بدعوة، قال: سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة؟! فقلت: ما الذي بلَّغك ما رأيت؟ قال: أطعتُ الله فيما أمرني ونهاني، فسألتُ الله فأعطاني.

---

٢٦١ ورد في تفسير ابن كثير عن معاذ بن جبل ﷺ
٢٦٢ صحيح مسلم والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ

ومن هؤلاء أيضاً وعلى هذا النهج سار الصالحون أجمعون.

فالإمام الجُنيد ﷺ وأرضاه عندما فتح الله عليه في الإجابة على أسئلة المحيطين به، وطلبوا منه أن يحدثهم رفض لعدم حبه وطمعه في الشهرة، فذهبوا إلى شيخه السِرّي السقطي وطلبوا منه أن يأمره أن يحدثهم، فقال: يا جنيد حدِّث إخوانك بما فتح الله ﷻ به عليك، ولكنه خوفاً من الشُهرة لم يفتح على نفسه هذا الباب حتى أتاه الأمان، فجاءه النبي العدنان ﷺ في المنام وقال له: يا جُنيد حدِّث إخوانك بما فتح الله به عليك، فذهب إلى شيخه السري ليخبره، فقال له: لا تُحدِّث إلا إذا أمرك رسول الله ﷺ؟!.

فتنة الشهرة

وعلم أنه كان خائفاً من فتنة الشُهرة، ولذلك لم يذُمُّه على ذلك، ولم يلُمه أو يعاتبه على ذلك، لأن أساس أهل الطريق ما قال فيه ابن عطاء الله السكندري ﷺ وأرضاه لمن يسلك هذا الطريق ويريد أن يكون من أهل التحقيق، أن يمشي في البداية متخفياً ومُخفياً أحواله لقول النبي ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[٢٦٣]

فيقول ابن عطاء الله ﷺ وأرضاه لمن يجاهد نفسه في بداية الطريق: (ادفن نفسك في أرض الخمول حتى تُشرق عليك أنوار الوصول) أي لا تستعجل في الظهور إن كان بعلم أو بعبادة أو بزهادة أو بولاية أو بكرامات أو مكاشافات حتى تتمكن في الوصول ويأتيك الإذن من حضرة الرسول، فتدخل في قول الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

أما الذي يفتح على نفسه هذا الباب قبل ذلك، ولم يُؤذن له بذلك، فيُخاف عليه من فتنة الخلق، ويُخاف عليه من شهوة النفس، ويُخاف عليه من النكوص على عقبيه، ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم ... قاموا بحولٍ منه لا بفخارِ
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم ... بالهَدْيّ هَدْيّ المصطفى المختار
فالخلق فتنة من أردتُ صدوده ... وشهود أهل البعد في الأدوار

٢٦٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

أثر الثناء

ما الذي يجعل الإنسان يحب الجاه ويطمع في الشُهرة؟

أمورٌ كثيرة منها أن النفس دائماً تريد انتشار الصيط، وهذا ثابتٌ في طبعها وتلتذ به، وتحب مع ذلك أن تسمع الثناء والمديح من الغير، ولذلك عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:

{ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثُوَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ }[٢٦٤]

أي لا تفتح آذان نفسك لسماع الثناء والمدح وتلتذ بذلك، لأن هذا قد يودي بك في المهالك.

كذلك إن الإنسان فيه روح الله ﷻ وهي سر الأمر الرباني: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر) وبسر هذا الأمر يميل الإنسان إلى الربوبية، والتقرب في الوجود والكمال ويحب أن ينفرد في أي أمر يمشي فيه، أي لايكون له مثيل إن كان في مجال العلم أو في مجال الغناء أو في مجال القراءة، ولذلك تحدث الأحقاد والأحساد للمضاهين والمساوين إلا من خرجوا وتبرأوا من هذه الشهوات فلا يتمتعون إلا بفضل الله وإكرام الله وينظرون إلى عطاءات الله ويشكرون الله عند ثناء الخلق عليهم.

كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: نحن عندما نسمع ثناء الخلق علينا نسمع مدحهم لله الذي أعطانا، فهم يمدحون ويثنون على صاحب العطاء وليس لنا، والفضل لله والمنة لله في الأولى والآخرة.

فالإنسان دائماً يحب التفرد، ويميل دائماً إلى الزهو وإلى ما نبأ إليه الله في الحديث القدسي:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ }[٢٦٥]

ولذلك قال بعض الصالحين: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرَّح به فرعون من قوله: (أنا ربكم الأعلى) ولكنه ليس يجد له مجالاً، فإذا استخَّف قومه فأطاعوه ظهر عليهم بصفات الربوبية والألوهية، وهذا يكون بداية سقوطه والعياذ بالله بالكلية.

كما ضرب الله لنا مثلاً ببلعام بن باعوراء حيث كان له سبعون ألف تلميذ، وكان يَطَّلع على اللوح المحفوظ، وكان يُستشفى بدعائه، فكانت النتيجة أنه لما اغترَّ بنفسه واعتَّز بعظمته ولم ير فضل ربه عليه أن الله ﷻ سلب منه فوراً هذا العطاء، وأصبح الشيطان تابعاً له:

---

٢٦٤ سنن الترمذي وابن ماجة عن المقداد بن عمرو رضي الله عنه
٢٦٥ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ﴾ (الأعراف).

نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة أجمعين، وأن يقينا فتنة الشُهرة، وفتن الخلق أجمعين آمين يا رب العالمين.

علاج حب الجاه

علاج حب الجاه، بأن يكون الإنسان دائماً وأبداً لا يلتفت إلى ما يُعظم به منزلته، بل يلتفت إلى فضل الله النازل عليه، وإكرام الله الهاطل عليه، ويرى أن كل ما به من فضائل وكل ما أكرمه الله به من عطايا هي فضل من الله فيقول: ذلك فضل الله عليَّ وعلى الناس أجمعين، فيشكر الله على عطاياه وينسب الفضل كله لحضرة الله ﷻ.

فإذا حافظ على ذلك حفظه الله ﷻ من كل المهالك، لأنه إذا طلب المنزلة عند الخلق يضطر إلى أن يماريهم وأن يرائيهم وهذا نوع من النفاق، وربما يجاهر بما ليس عنده، وهذا أصل في النفاق، وربما يتظاهر بخصال حميدة ليست فيه أصلاً، وهذا أيضاً فرع من النفاق، وهذا النفاق يأتي كله من حب الظهور، أي ظهور الإنسان بما لم يكرمه به حضرة الرحمن ﷻ.

الملامتية

كذلك بعض الصالحين والعاملين المخلصين قد يلجأ للخروج من هذا الداء بأن يفعل أفعالاً هي أمام الخلق تُسقطه من أعينهم حتى يحتفظ بمنزلته عند الله، كالرجل الذي سافر إلى ليبيا وكان في شهر رمضان واستقبله الألوف، فدعا بكوز فيه ماء وشرب أمامهم بنية العمل بالرخصة، فانفضوا عنه فوراً لأنهم رأوه يشرب الماء في نهار رمضان.

وهذا العمل مزلق خطير لا يقدم عليه إلا إنسان بصير يأخذ مباشرة من الحبيب البشير النذير ﷺ، وخاصة إذا كان قدوة يُقتدى به، فليس له أن يعمل شيئاً لا يجوز شرعاً العمل به أمام الخلق.

هذا مذهب الملامتية وهم الذين يعملون الأعمال أمام الناس لينزلوا من أعين الناس، ولكنهم لا يصلحون للقدوة بين الناس، فهذا رجلٌ تبرع بماله كله، وأرادوا حثَّ الناس على

جمع المال، فأقاموا حفلاً عظيماً وقال رجل كبير منهم: إن فلان تبرع بكذا، فلم يستحي الرجل من الخلق وخرج إليه وقال: إن أمي أنَّبتني على ما فعلت وطلبت أن أرد المال فرُدَّ المال إليَّ، وفعل ذلك في نظره ليسقط من عين الخلق، لكن هذا أمر عسير لا يستطيع أن يفعله كل إنسان إلا إذا كان مؤيداً من حضرة الرحمن ﷻ.

حسن الخاتمة

كذلك الذي يجعل الإنسان لا يُحب الظهور، أن يتذكر دائماً وأبداً الخاتمة، وإذا تذكر الخاتمة فإن أي إنسان قلبه تقي نقي دائماً وأبداً يشعر بالخوف من سوء الخاتمة، حتى أن نبينا ﷺ يدعو الله ويقول:

{ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[٢٦٦]

وكان نبي الله يوسف عليه السلام يدعو الله ويقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف) والله ﷻ أمرنا وعلَّمنا أن نقول في كل وقت وحين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨آل عمران).

فخوف الخاتمة يقطع نياط القلوب، ويجعل الإنسان لا يطمع إلا في رضاء علام الغيوب، ولا يبغ الظهور ولا الشُهرة ولا الصيط ولا السمعة طرفة عين ولا أقل على الدوام.

كذلك إذا كان الإنسان يمشي على منهاج النبيين والمرسلين، وإمامهم خير النبيين والمرسلين، يقطع طمعه عن الناس، ويكتسب رزقه من عمل يده، ولا يطلب منهم بلسانه ولا بلسان حاله شيئاً قليلاً ولا كثيراً، وشعاره قول الله:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

مثل هذا لا يبغي جاهاً، ولا يحب مدحاً ولا ثناءًا، ولا يبغي ظهوراً ولا رياءًا.

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا من هذه الفتنة وأشباهها آناء الليل وأطراف النهار، وأن يُخلِّقنا بأخلاق النبي المختار، وأخلاق صحابته الأبرار، وأخلاق الصالحين الصادقين والأخيار، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٦٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﷺ

المرض الثامن: الرياء[٢٦٧]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي طهَّر بنوره قلوبنا، وسقى برحيق القرآن أرواحنا، وطهَّر من الشُح والأحقاد والأحساد والأمراض نفوسنا، والصلاة والسلام على طبيب القلوب والحبيب المحبوب المقرَّب والمقرِّب لحضرة علام الغيوب، سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه والقائمين بدعوته إلى يوم الدين، وأكرمنا واجعلنا منهم ومعهم يا أكرم الأكرمين، آمين يا رب العالمين.

من المعاصي القلبية التي تتسبب في إحباط الأعمال التي يعملها الإنسان لله، وتُفقد المرء ثواب الطاعات التي يتوجه بها لمولاه، وتجعله بعد ذلك ربما يقع في الشرك الأصغر الذي يتغلغل في النفوس، والذي حذرنا منه رسول الله ﷺ، آفة الرياء.

حقيقة الرياء

الرياء هو كل فعل يفعله الإنسان ظاهره أنه طاعة لله وفي نيته أن يراه الناس من أجل أن يُقال هذا رجل صالح أو يُثنوا عليه أو يُطروه أو يمدحوه.

وهناك فرق بين الرياء والسُمعة، فالرياء يختص بالعمل ليراه الناس، أما السُمعة فتختص بالذكر؛ بأن يذكره الناس – وإن لم يرهم وإن لم يروه – بحُسن الأحدوثة والصيت ليسمع به الناس ويعرفه الناس.

أسباب الرياء

للرياء أسباب قلبية داخلية، أهمها أن يكون الإنسان دائماً يميل إلى حب الجاه في قلوب الآخرين، وأن يكون له منزلة عند الناس، وتكون هذه المنزلة أعظم إذا كان ظاهرها صالحات وطاعات لرب الناس، كذلك النفس تحب الحمد والثناء والمدح، ولذلك جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال:

{ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[٢٦٨]

---

٢٦٧ الجميزة – السنطة –الغربية ١٩ من صفر ١٤٤٤هـ ١٥/٩/٢٠٢٢م
٢٦٨ البخاري ومسند أحمد عن أبي موسى ﷺ

إخلاص العمل لله

وهنا نرى أن صحابة النبي الأمين كانوا يسألونه ﷺ ولا يتحرجون في أدق المسائل!

حتى يكونوا دائماً وأبداً مخلصين لله عاملين بقول الله:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

وورد أن رجلاً قال:

{ يا رسول الله إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) }[٢٦٩]

ورُوي أيضاً من رواية أخرى عن أبي حاتم قال: **{كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يُرى مكانه، فأنزل الله ﷻ: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)}.**

وأخرج ابن المُنذر عن مجاهد قال: **{قالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أُعْتِقُ وأُحِبُّ أنْ يُرى، وأتَصَدَّقُ وأُحِبُّ أنْ يُرى، فَنَزَلَتْ: (فَمَن كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا)}**

وروى أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال:

{كانَ جُنْدُبُ ابْنُ زُهَيْرٍ إذا صَلّى أوْ صامَ أوْ تَصَدَّقَ، فَذُكِرَ بِخَيْرٍ اِرْتاحَ لَهُ، فَزادَ في ذَلِكَ لِقالَةِ النّاسِ، فَلا يُرِيدُ بِهِ اللَّهُ، فَنَزَلَ في ذَلِكَ: (فَمَن كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا)}

وهكذا نجد أن أسباب النزول وإن تعددت:

فإن القصد منها كلها أن يكون العمل خالصاً لله، لا يرجو به المرء شُهرة ولا سُمعة ولا رياءًا ولا منزلة ولا محمدة من الناس.

ولذلك قال ﷺ حين سأله رجل:

---

٢٦٩ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال ﷺ:
أَلاَّ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِطَاعَةِ اللهِ يُرِيْدُ بِهَا النَّاسَ }[٢٧٠]**، وقال رجل:**

{ يا رسول الله فيم النجاة غداً؟
فقال ﷺ: لا تخدع الله، قال: وكيف نخادع الله؟ قال:
أن تعمل بما أمرك به تريد به غيره، فاتقوا الرياء فإنه الشرك بالله }[٢٧١]

وحديث الثلاثة الذي رواه الإمام مسلم في باب الإخلاص، يقول فيه ﷺ:

{ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ:
رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟
قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ
فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،
وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ:
فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ:
كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ،
فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،
وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ
نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ؟
قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ: وَلَمْ أَفْهَمْ تُحِبُّ كَمَا أَرَدْتُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ
فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ لِيُقَالَ إِنَّهُ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ،
ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ }[٢٧٢]

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢٧٣]

وهذا الحديث خلاصته أن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم.

---

٢٧٠ اتحاف الخيرة المهرة، باب التحذير من الرياء
٢٧١ درر المنثور
٢٧٢ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة ﷺ
٢٧٣ جامع الترمذي وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ

ذمّ الريـــــاء

ولذلك فإن الله ﷻ ذمَّ المرائين وذمَّ الرياء فقال ﷻ في قرآنه الكريم:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ (الماعون).

فإذا كانت الصلاة من أجل أن يراه الناس ويعتقدوا أنه رجل صالح، فهذا رياء !!!

وهؤلاء لهم الويل، والويل واد في جهنم تستعيذ جهنم من شدة عذابه.

كيف يكون حال المؤمن؟

وجَّه الله المؤمنين إلى الطريق الأمجد الكريم في العمل لله فقال على لسان الإمام عليٍّ وزوجه وأولاده البررة:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

ولذلك حذَّرنا النبي ﷺ تحذيراً شديداً، فقال ﷺ:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَـــاءُ }[٢٧٤]

فالرياء أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء كما قال ﷺ: **{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ }**،وقال ﷺ: **{ مَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ }**[٢٧٥]

الشرك نوعان: فهناك الشرك الأكبر أعاذنا الله منه وهو الكفر بالله تعالى.

وهناك الشرك الأصغر الذي أشار إليه الله في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف)، ووضحه النبي ﷺ فقال: **{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً }**[٢٧٦]

---

٢٧٤ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

٢٧٥الأول: الحاكم في المستدرك وأبي نعيم في الحلية عن عاائشة ﷺ، والثاني: المعجم الكبير للطبراني عن جندب ﷺ

٢٧٦ مسند أحمد عن محمود بن لبيد ﷺ

ويقول ﷺ مبيناً تبرؤ الحق من كل عمل غير خالص لوجهه الكريم، يقول الله ﷻ:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[٢٧٧]

وزيادة في تحذير المؤمنين الصادقين من الشرك بكل أنواعه، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَدْنَى الرِّيَاءِ شِرْكٌ }[٢٧٨]

وقال ﷺ: { إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ }[٢٧٩]

فنسأل الله ﷻ أن يطهرنا من الرياء بكل صنوفه وأنواعه ظاهراً وباطناً، وأن يجعلنا من عباده الخالصين المخلصين آمين يا رب العالمين.

ورأى عمر بن الخطاب رجلاً يُطأطئ رقبته في الصلاة، ويتظاهر بأن هذا خشوعٌ لله، فقال عمر ﷺ: (يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب).

وبيَّن الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه العلامات التي تظهر في الإنسان المرائي – نسأل الله أن يطهرنا منها أجمعين – فقال: (للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه ويُنقص إذا ذُمَّ على العمل).

أنواع الرياء

الرياء أنواع كثيرة، بحسب ما يظهر على هيئة الإنسان، فالرياء محله في القلب، ولكن له أثر ظاهر على هيكل الإنسان وظاهره:

– فمنه الرياء بالبدن:

كمن يتظاهر بأنه مرهق من كثرة الصيام، وتعب من عناء الحر الشديد إذا كان صائماً، ويظن أنه من كثرة العبادات والطاعات حصل له ذلك، وهذا أمر كان يُخفيه سلفنا الصالح حتى لا يرى الله منهم إلا باطنهم، وباطنهم كظاهرهم، وليس لهم أي شأن برؤية الخلق ونظرهم.

---

٢٧٧ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٢٧٨ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عمر ﷺ
٢٧٩ سنن ابن ماجة والحاكم عن معاذ بن جبل ﷺ

وهناك رياء بالزي وبالهيئة العامة:

كالذين يشتغلون بزيٍّ خاص يظهر للناس به أنهم عابدون، أو أنهم مجذوبون، أو أنهم مطيعون لله ﷻ، ويمشون في الطريق مع خفض الرأس، ويُرَى لهم علامة للسجود في الجبهة في أعلى الوجه، ويلبسون أحياناً ثياباً مرقعة، وأحياناً ثياباً لها لون خاص يدل على الإنتماء لقوم من الصالحين، وهذا أيضاً رياء يتحرر منه الصالحون، ولذلك رُوي أن الإمام أبو العزائم ﷺ :

عندما أراد أبناؤه أن يمشون في المواكب، وكان أصحاب المواكب لكل جماعة منهم زيٌّ مخصوص، وأعلام مخصوصة ولون مخصوص، فقالوا: ما الذي تختاره لنا؟ قال: الثياب البيضاء لقوله ﷺ:{ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ الْبَيَاضُ }[٢٨٠] وليس فيها تظاهر ولا سُمعة ولا رياء ولا زهو.

- وهناك رياء بالأقوال:

كمن دائماً وأبداً يحاول أن يردد أقوال الصالحين ليجذب السامعين، ويفهموا منه أنه من كبار الصالحين، أو يتظاهر بمسبحة ألفية أو مئوية في يده، ويتصنَّع بشفتيه أنه يذكر الله أمام الخلق في طريق أو في مركبة أو ما سوى ذلك، وغيرهم الذين يتظاهرون بهذه الأحوال.

كذلك الذين يتشدقون بألفاظ المدد لرسول الله، ولأهل البيت ويجهرون بها في أي زمان ومكان ليعلم الناس أنهم على صلة مباشرة بهؤلاء الصالحين.

- وهناك الرياء بالأعمال:

وهذا يظهر أمام الناس كمن يعظ ويرشد الناس ويتعمد ذكر الله أمامهم حتى يرى الناس أنه عالم جليل وله فضل ومزية عليهم، وكذلك من يطيل السجود والركوع أمام الخلق، وإذا كان بمفرده أو في خلوته ينقر الصلاة نقر الديكة، ولا يخرج الإنسان من الرياء في الأعمال حتى تستوي عبادته أمام الخلق بعبادته في خلوته أمام الحق، لأنه يتعبد لله وليس لخلق الله.

وهناك من يتعمد الطواف على الأولياء الأحياء والأموات ويتعمد زيارتهم، ويذكر ذلك ويتباهى به أمام الناس ليعلم الناس أنه على صلة وثيقة بالأولياء أحياءًا وأمواتاً.

ومنهم من يتعمد دعوة كبار الصالحين عنده لينال الشُهرة بزيارتهم وليس لحُسن اتباعهم ولا الاقتداء بأفعالهم، بل يطلبون بذلك المنزلة في قلوب العباد.

---

٢٨٠ مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما

ومنهم من يلتمس مع ذلك أن تنطلق ألسنة الناس بالثناء عليه، والحمد على أفعاله، ويريد أن يسمع ذلك منهم، حتى أن بعضهم يتهم نفسه بالتواضع أمام الآخرين، وربما يقدح في نفسه ويذُم فيها لكي يمدحونه وتشتهي نفسه سماع هذا المدح ..

وبعضهم يتمثَّل بقول الإمام الشافعي:

أُحب الصالحين ولستُ منهم ... عسى أني أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي ... وإن كنا سوياً في البضاعة

ليرد عليه الحاضرون بما ردَّت به السيدة نفيسة على الإمام الشافعي حيث قالت له:

تحب الصالحين وأنت منهم ... عسى أن ينالوا بك الشفاعة
وتكره من تجارته المعاصي ... وقاك الله من تلك البضاعة

فيذُم نفسه أمام الناس تظاهراً بالتواضع ليمدحوه ويُثنوا عليه فينشرح صدره ويتبسَّم ويظهر على وجهه البشر والترحاب، ويستلذُّ بسماع هذا الثناء من الخلق، وهذا من الشهوة الخفية التي حذَّرنا منها خير البرية ﷺ.

ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد، ويتفنَّن في ذلك لتطير شهرته في الآفاق بأن ينسب لنفسه بعض الكرامات والرؤيات ويرويها لمن حوله ويأمرهم بنقلها، حتى يشتهر بين الناس ويأتيه الناس أفواجاً لزيارته لزيادة شهرته.

ومنهم من يريد الاشتهار عند الأمراء والوجهاء لتقبل شفاعته عندهم، وتُنجز الحوائج على يديه، فيكون له بذلك جاه ومنزلة عند العامة، ويقولون فلان هو الذي يقضي الحاجات، وهو الذي يذهب إلى الوجيه فلان وإلى المحافظ فلان لقضاء المصالح للخلق، فلان كذا وكذا ويتلذذ بذلك.

ومنهم من يقصد من وراء ذلك جمع حطام الدنيا الفاني، وكسب المال من الناس بالشهرة الفارغة، كل ذلك من أنواع الرياء التي تُحبط الأعمال، وتجعل الإنسان خاوي الوفاض من ثواب الطاعات والعبادات، كما ورد بالأثر:

(إن من الناس من يملأ صيطه بين المشارق والمغارب، وترفع له الملائكة عند الله يوم القيامة كما بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: إضربوا بهذا وجه صاحبه فإنه لم يُرد بذلك وجهي ولا الدار الآخرة).

درجات الرياء

الدرجة الأولى:

أن لا يكون مراد الإنسان الثواب أصلاً، وهي أغلظ الدرجات لأنه يفعل العمل أمام الخلق فإذا خلا يمتنع عن فعله، كمن يُصلي إذا رآه الناس ولا يُصلي إذا خلا مع نفسه، مع أن رب الناس يطلع عليه ويراه.

ومن يدَّعي الصيام شُهرة أمام الخلق وهو مُفطر في ذات نفسه، ومن يحج حجَّات كثيرة، ليُقال فلان حج البيت كذا وكذا مرة، وعمل من العمرات كذا وكذا، ونسي أن الصِدِّيق أبو بكر لم يُقُال له الحاج أبو بكر، ولم يُقُال لعمر الحاج عمر ولا غيرهم من صحابة النبي، ولم يكونوا يريدون من ذلك إلا وجه الله ﷻ.

وهذا النوع من الرياء ممقوت عند الله، نسأل الله الحفظ والسلامة ممن ينزل عليه سخط الله ومقت الله ﷻ.

الدرجة الثانية:

أن يكون له قصد ثواب ولكن قصد ضعيف، وهمه الأكبر في الشهرة والظهور بين الناس والسمعة، وهذا قريب مما قبله في نزول المقت والسخط عليه من الله ﷻ.

الدرجة الثالثة:

أن يكون قاصداً الثواب، وقاصداً أن يعرفه الناس بالطاعات والقربات ..

وهذا نرجو أن يسلم فلا يكون له ولا عليه يوم القيامة إن شاء الله.

- **أما الذي يكون إذا عمل بمفرده في خلوته كان مقتصداً.**
- **وزاد في العمل وقوي نشاطه أمام الخلق.**
  - **فهذا ربما يكون عمله مقبولاً.**
  - **ولكن يُنتقص من أجره وثوابه على عمله على قدر رغبته في ظهوره أمام الخلق.**

نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين.

علاج الرياء

وإذا كان الرياء بهذه الخطورة في إحباط الأعمال عند الله، وذهاب المنزلة في الآخرة والتقرب من حضرة الله، فما علاج الرياء؟

علاج الرياء :

- أن الإنسان يعلم علم اليقين ما ذكرناه من أن الإسلام حذَّر من الرياء ووصفه بأنه شرك أصغر بالله تعالى.
- فيجب على المسلم أن يتجنبه في جميع الأعمال والعبادات والطاعات التي يقوم بها، ومن كان عنده شيء من الرياء فيعالج نفسه بما يلي:

أولاً:

استشعار مراقبة الله لجميع ما يصدر من العبد من الأقوال والأفعال، ويعلم أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، فالذي يسمعه أولاً هو السميع، والذي يراه أولاً هو البصير، فيُحسن عمله ليراه السميع البصير ظاهراًوباطناً طاهراً تقياً نقياً لله ﷻ.

ثانياً:

أن يستعين بالله على التخلص من الرياء، فيُكثر من الدعاء ظاهراً وباطناً في كل أوقات الإجابة أن يخلصه الله من الرياء، ولسنا أعظم من الصِدِّيق ﷺ، فقد سأل النبي ﷺ دعاءًا يخلص به من الرياء، فقال له ﷺ:

{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ }[٢٨١]

والصالحون دائماً يجعلون هذا الدعاء في سجودهم، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد حتى يستجيب له مولاه، فيُخلصه بفضله وكرمه من الرياء.

ثالثاً:

أن يتعرف من العلماء العاملين على الآثار السلبية للرياء حيث يُحبط الأعمال والعبادات ويُوجب سخط الله، ويجتهد وسعه أن يتذكر هذه الآثار على الدوام حتى تتجنب نفسه الركون إليه، أو الميل إلى صنيع مثله.

---

٢٨١ البخاري في الأدب المفرد وجامع الترمذي عن معقل بن يسار ﷺ

رابعاً:

أن يعرف أن للرياء في الحياة الدنيا عقوبة، وهي أن الله ﷻ آلى على نفسه أن يكشف القصود السيئة والنوايا الخبيثة للناس أجمعين، فكل من كان له قصد لغير وجه الله، أو نية خبيثة في عمل ظاهره طاعة لله، فلا بد أن يكشفه للخلق، وهذه شر العقوبة حيث يناله خزي بين الناس، ويكون دائماً وأبداً ربما محل استهزائهم، أو ربما يكون موضع ضرب أمثالهم، نسأل الله ﷻ أن يخلصنا من الرياء أجمعين.

إظهار العمل لقصد حسن

بقي أمر أحب أن أوضحه في هذا الباب: قد يكون الإنسان يُظهر عمله أمام الناس بقصد حسن لكي يقتدوا به في الخير، ويصنعوا كصنيعه، فإذا كان صادقاً في نيته مخلصاً في سريرته كان عمله هذا طاعة لله خالص من الرياء والسمعة وغيرها مما ذكرناه، فقد ذُكر أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى التصدق، فجاء رجل من الأنصار بصُّرة لا يستطيع حملها من ثقلها، ولما رآه الناس تتابعوا بالعطية فقال ﷺ:

{ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا }[٢٨٢]

وتجري سائر الأعمال كالصدقات وغيرها هذا المجرى، وكذلك الصلاة والصيام والحج والغزو، ويُستحب هذا بصفة خاصة من العلماء العاملين ليتشبه بهم كُمَّل المريدين وخاصة السالكين، لأن أعز الناس عند الله ﷻ هم الأنبياء والمرسلين، وقد أمرهم الله تعالى بإظهار العمل للاقتداء بهم وخصَّهم بمنصب النبوة والرسالة.

ولا يجوز أن نظن بهم أنهم حُرموا من أفضل العملين، بل حازوا الحُسنيين، لأنهم أخلصوا العمل لله وأصبحوا خير قدوة لخلق الله، ومن هنا قال لنا الله في حبيبه ومصطفاه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا الصدق في أقوالنا، والإخلاص في أسرارنا، وأن يطهرنا من الرياء والنفاق في كل أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، وأن يرزقنا حُسن القصد وصفاء النية في كل توجهاتنا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٨٢ معجم الطبراني، وورد في صحيح مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم بصيغ مختلفة عن جرير بن عبد الله ﷺ

المرض التاسع: الكِبْر[٢٨٣]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله والصلاة والسلام على سيد رُسل الله وأنبياء الله، وآله وصحبه ومن والاه، وعلينا معهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

أشد آفات القلوب فتكاً بالإنسان هي آفة الكِبْر، والكِبْر أن يرى الإنسان نفسه أعظم من غيره وأفضل بشكل عام، أو في أي أمر من الأمور.

والتكبر على العباد عظيم، لأنه عندما يستعظم الإنسان نفسه يستحقر غيره، وربما يجره ذلك إلى أنواع المعاصي كما جرَّ إبليس إلى مخالفته الأمر الإلهي، فالسبب الأساسي الذي أودى بإبليس موارد التهلكة هو كِبره، والذي يقول الله ﷻ حاكياً عنه: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ (﴿١٢﴾الأعراف).

المتكبر دائماً وأبداً يرى في نفسه أنه خير من غيره، ولذلك إذا كان الكِبْر في نفسه ولم يظهر على أعضائه وجوارحه يُسمى الكِبْر، فإذا ظهر ما في نفسه على جوراحه وفي سلوكه يُسمى التكبُّر، وكلا الأمرين يؤدي بالإنسان إلى حيث يكون مُبعداً عن الله وعن حضرة الحبيب والمقربين من عباد الله.

علامات الكِبر

وللكِبْر علامات يراها الإنسان في المريض بهذا الداء، منها:

أن يمشي الإنسان يتبختر، يعني يظهر عليه الخُيلاء والبطر، ويتمطَّى يعني يمشي وكأنه يريد أن يخرق الأرض، ويختال ويُعجب بنفسه، وكل هذه الأوصاف مكروهة لقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ (﴿٣٧﴾الإسراء).

وقال في هؤلاء ﷺ: **{ يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ }**، وفي رواية أخرى:**{ يَبْعَثُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسًا فِي صُوَرِ الذَّرِّ، يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ، فَيُقَالُ: مَا هَؤُلَاءِ فِي صُوَرِ الذَّرِّ؟ فَيُقَالُ: هَؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرُونَ فِي الدُّنْيَا }**[٢٨٤]

وقال الصِدّيق رضي الله عنه: (لا يُحقِرنَّ أحدٌ أحداً من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير).

---

٢٨٣ الجميزة – السنطة –الغربية ٣ من ربيع الأول ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/٩/٢٩م

٢٨٤ الرواية الأولى فى سنن الترمذي ومسند أحمد، والرواية الثانية رواها البزار عن جابر رضي الله عنه

ذمّ الكِبر

ولذلك فإن الله ﷻ ذمَّ الكِبر في كتابه الكريم، وفي أحاديثه القدسية، فقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (١٤٦الأعراف) والآيات هنا يُقصد بها الآيات في السموات والآيات في الأرض الدالة على قدره الله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١٩٠آل عمران)، وقال الله ﷻ في وصفٍ أشنع وأفظع: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣٥غافر).

وبيَّن أنه ﷻ لا يحب من يتصف بوصف الكِبْر، أي يرى نفسه خيراً من غيره فقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٢٣النحل) وقال ﷺ: يقول الله تعالى:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ }[٢٨٥]

والكبرياء يعني جلال الله، والعظمة يعني قدرة الله وجمال الله وكمال الله، فلا ينبغي على أي إنسان أن يتَّصف بصفة الجلال الإلهية على المساكين، ولا بصفة العظمة على الفقراء والمستضعفين، لأن هذه أوصاف إلهية، وإنما طوبى لمن كان في دنياه يمشي مسكيناً كما قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ، وَأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَة }[٢٨٦]

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: (وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع)، وقال أحد الصالحين: رأيتُ الإمام عليّ ﷺ في المنام، فقلت له: يا أبا الحسن عِظني، قال لي: ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله، وما أحسن تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله ﷻ.

وبيَّن الرسول ﷺ أن الجنة مُحرَّمة على من كان في قلبه بعض ذرة من الكِبْر، والجنة هنا جنة الزخارف وجنة المعارف وجنة اللطائف وكل الجنان المعنوية والحسية، فقال ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }، وقال ﷺ:

---

٢٨٥ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٢٨٦ مجمع الزوائد لابن حجر عن ركب المصري ﷺ

{ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ }[٢٨٧]

يعني لا يزال الرجل يُعلي من شأن نفسه حتى يُكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم من العذاب، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

ألا يا حبيبي بالذل ترقى وتُرفعن وبالزهد تُعطى ما له تتشوق
ألا من يكن في قلبه مثقال ذرةٍ من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

لا يذوق أي أمر في طريق الله سبحانه وتعالى.

التواضع لله

ولذلك كانت بداية الصالحين مع المريدين الصادقين أن يبدأوا بتخليصهم أولاً من مرض الكِبْر حتى يتمكنوا في التواضع الذي هو خُلُق سيد الأولين والمرسلين، وهو خُلُق النبيين والصالحين.

فهذا الإمام الغزالي رضي الله عنه عندما دخل طريق القوم، وكان عالماً مشهوراً في كل أنواع العلوم، ويحضر مجلسه ما يزيد عن العشرة آلاف نفس، أمره شيخه أن يخلع ملابس السيادة التي يلبسها ويلبس ملابس عادية بل وأقل من العادية، وأن يحمل على ظهره سقاءاً ويذهب إلى الأسواق ويسقي الناس فيها الماء لوجه الله عز وجل، فإذا عُرف في بلد تركه وذهب إلى بلد آخر حتى عوفي من مرض الكِبْر، وعوفي من الزهو والخُيلاء، وتم له التواضع، وهو بداية السالكين إلى طريق الله، فأمره بالعُزلة في المسجد الأموي بدمشق.

وكذلك سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأرضاه :

عندما كان مارًّا بالطريق ورآه رجل يشتغل بتجارة الذهب والجواهر يُسمى عبد الوهاب الجواهرجي، فقال له: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أتبعك، قال: إن كنت تريد أن تتبعني فاترك كل ما في يدك وتعالى، فترك تجارته وذهبه وذهب إليه، ولكن هذا التاجر في عنفوان تجارته يكون له زهوٌ بما معه من مال، واختيال بما يرد عليه من خيرات الله تبارك وتعالى، فأراد أن يخلصه من ذلك، وكان قد بنى زاوية ليصلي فيها هو ومريدوه، وأنشأ لها بئراً وعليه ساقية يديرها ثور لتُخرج الماء للمريدين ليتوضؤوا ويغتسلوا، فقال له: عليك أن تريح هذا الثور

٢٨٧ الحديث الأول: صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والثاني: سنن الترمذي وتحفة الأحوذي

إذا تعب وتدير الساقية، وهو رجلٌ مُرَفَّه ولكن لا بد من ذلك لمن أراد السلوك القويم والمنهج الحكيم الذي كان عليه ولا يزال أتباع الرؤوف الرحيم ﷺ، وعندما حدثته نفسه ذات مرة كيف يعمل هذا العمل؟! فما استتم هذا الخاطر إلا والشيخ سيدي أحمد البدوي أمامه وقال له: عُد إلى تجارتك فلا حاجة لنا بك، فاعتذر له وقال: عُذراً يا سيدي، ولما رأى خضوع نفسه قال: نريد أن نرقيك في طريق التواضع إلى الله، عليك أن تغسل وتنظف دورات المياه للمصلين.

وهكذا كان الإمام الشعراوي ﷺ وأرضاه، وكان يسكن بجوار الإمام الحسين، وكان ينتفض في منتصف الليل ويذهب إلى دورات المياه التي في جامع الحُسين ويغسلها جميعها بنفسه، مع أن هناك خدم وعمال موكلين بذلك، لكن لأنه يرى أن في ذلك غاية التواضع لله، وعندما دُعي إلى جامعة القاهرة لإلقاء محاضرة جامعة حضرها أكثر من أربعة آلاف شخص، وتجلى الله عليه فيها، وكان هناك كثير من الملحدين، فردَّ عليهم ردوداً نالت إعجاب واستحسان الحاضرين، ومكث في المحاضرة لمدة أربع ساعات، وعند رجوعه في سيارته قال لابنه وكان معه وسائقه، أريد أن أدخل الخلاء في أي مسجد مفتوح، فوقفوا أمام باب مسجد فدخل وأطال، فلما أطال دخلوا لينظروا ماذا يصنع؟ فوجدوه قد خلع جُبته وعمامته ووضعها في وسط المسجد، وأخذ ينظف دورات المياه بالمسجد، فقال له ابنه: ما هذا يا أبي؟ قال: إن نفسي حدثتني بعد المحاضرة بأني أصبحتُ شيئاً فأحببت أن أعرفها نفسها.

وهذه سُنَّة عن صحابة النبي المجتبى أجمعين، فإن عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه أمر المنادي أن ينادي بالصلاة جامعة، فحضر الناس وصعد المنبر ثم قال: إني كنت أرعى الغنم لقراريط – يعني ملاليم – من الأجر لأناس في مكة، وكنت أُسمَّى عُميراً، والآن أصبحت وليس فوقي أحدٌ إلا الله، وأُسمى أمير المؤمنين ثم نزل، فقالوا: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال:

إن نفسي حدثتني بأني أصبحتُ شيئاً فأردتُ أن أعالجها وأُذكرها بحقيقتها قبل الدخول في دين الله ﷻ.

وهذا عثمان بن عفان ﷺ رُؤي ذات يوم آتياً من البادية يحمل حملاً من الحطب على ظهره حتى دخل السوق ورآه الناس أجمعين، وكان من أثرياء أهل المدينة في ذلك الزمن، فقالوا: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إن نفسي حدثتني أني صرتُ شيئاً فأحببتُ أن أُعرفها حقيقتها فصنعتُ هذا الصنيع حتى ترجع إلى حقيقتها إن شاء الله.

ولذلك الذي ينجو من مرض الكِبْر لا بد أن يتصف بفضيلة التواضع فهي العلاج لهذا الداء، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢٨٨]

وخُيلاء يعني يتباهى ببذلته أو ثيابه أو عباءته أو غيرها، وقال ﷺ: **{ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا }**[٢٨٩]، وبطراً يعني اختيالاً وحباً للظهور، وقال ﷺ محذراً من هذا الصنيع: **{ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }**[٢٩٠]

بينما يقول ﷺ في خُلُق التواضع:

{ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ }، وقال ﷺ: **{ التَّوَاضُعُ لا يَزِيدُ الْعَبْدَ إلا رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمُ اللَّهُ }**[٢٩١]

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

(إنكم تغفلون عن أفضل العبادات، قالوا: وما هي؟ قالت: التواضع).

والتواضع سُئل فيه الفضيل فقال رضي الله عنه:

(أن تخضع للحق وتنقاد له، حتى ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته) يعرف الحق ويخضع للحق ولو جاء على لسان أي إنسان.

وقال يحي بن معاذ:

(التكبر على الذي يتكبر عليك بماله تواضع)

يعني من تكبر عليك بماله تتكبر عليه وتُظهر التيه وعدم الرغبة في شيء من عنده فإن هذا تواضع في حينه وفي وقته، ولذلك دخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال:

(يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك) ،
فكتبها هارون الرشيد بيده لإعجابه بها رضي الله عنه

---

٢٨٨ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٢٨٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٩٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٩١ الحديث الأول: صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث الثاني: رواه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه

صور المتكبرين

والمتكبرون في هذا الزمان لهم صور جديدة، فمنهم من يظن أنه بإمكانه الوصول إلى المعرفة والصواب ومعرفة الصواب من الخطأ دون الانقياد للرسل والكتب السماوية – وما أكثرهم في زماننا هذا – فيستكبر أن يكون تابعاً للأنبياء والمرسلين.

ومنهم من يظن أنه عارف بكل أنواع المعارف، ويتباهى بذلك ويفتخر بذلك، ولا يترك الأمر لأهل الاختصاص، فقد قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) وأهل الذكر هم أهل الاختصاص في كل علم وفي كل مهنة، فعلينا أن نسلم لهم إذا كان معهم العلم الصحيح والخبرة الطيبة.

وشر أنواع الكِبْر في أي زمان ومكان الكِبْر الذي يمنع الإنسان من الاستفادة بالعلم وقبول الحق والإنقياد له، كمن يجلس أحياناً في مجالس العارفين ويظن أنه في غنىً عن حديثهم فيشغل نفسه بهاتفه المحمول، أو يشغل نفسه بالحديث مع جاره، ويقول إن هذا الكلام للحضور وليس لي، ويظن أنه وصل واتصل، ولكنه وصل إلى سقر والعياذ بالله ﷻ.

ومن الناس من يظن أن الشريعة وُضعت لعامة الناس رادعاً اجتماعياً وحضارياً، وأنه من الخاصة ومعه عقله رادع فلا يحتاج إلى الشريعة ولا إلى القوانين لغروره وكِبره في نفسه، نسأل الله ﷻ الحفظ من ذلك أجمعين.

أسباب الكِبر

كيف ينشأ الكِبْر والتكبر في الإنسان؟ ينشأ الكِبْر والتكبر عندما يبدأ الإنسان يستعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا إذا كان يعتقد أن لها صفة كمال، إما في الدين وإما في الدنيا، والكمال في الدين في العلم أو العمل، كأن يرى أنه ليس له نظير في العلم الديني، أو ليس له مثيل في العبادات والعمل الصالح الذي يتقرب به إلى مولاه، مع أنه لا يدري القبول، ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ: (الجاهل يهتم بالإقبال، والعالم يهتم بالقبول) فما دام الإنسان لم يدر بعد هل قُبل عمله أم لم يُقبل، فلا يظن أنه خير من أحد، لأن الذي يظن أنه خير منه ربما قد يكون الله قد قَبل عمله وردَّه هو.

رُوي أن رجلاً في عصر موسى عليه السلام كان عابداً وذهب إليه رجل ليتوب، هذا الرجل كان يُدعى في وقته بأنه أفجر الناس في زمانه، وقال للعابد: أريد أن أتوب، فقال له: لن يغفر الله

لك، لأنه رأى نفسه أنه عابد ولا يليق به أن يجلس مع هذا، فأوحى الله إلى نبي هذا الزمان أن قُل لهذا العابد: استأنف العمل أنت وهذا الرجل، فإن الله قَبِل عمله ولم يقبل عملك.

لأن القبول ليس له إلا وجه الله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧المائدة).

والكمال في الدنيا قد يكون في النسب أو في الجمال أو في القوة أو في المال أو في كثرة الأنصار.

أولاً: العلم

العالِم الذي اغتر بعلمه دينياً، ما السبب الذي أوصله إلى ذلك؟ السبب بأنه يكون قد اشتغل بما يُسمى علماً في نظر الناس، لكن العلم الحقيقي في نظر رب الناس هو الذي يورث الخشية والتواضع دون الكِبْر، لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (٢٨فاطر).

ثانياً: العبادة

وقد يكون السبب لكِبْر هذا العالم – وهذا لعدد كبير من هؤلاء – أنه قد بدأ تحصيله للعلوم قبل أن يهذب نفسه ويزكيها ويطهر قلبه، فإن العلم لا يكون إلا بعد تزكية النفوس: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأعلى).

أما العابد الذي يظن أنه لا يساويه أحد في عبادته، فيظن أنه أعلى من الناس شأناً، ويجب على الناس احترامه والقيام له وأداء مصالحه وخدمته، وأن يتنازلوا له عن بعض الثمن في البيع والشراء، فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان جالساً بين صحبه الكرام وذكروا رجلاً وقالوا: ما رأينا مثله في عبادته وطاعته لله ﷻ، وبينما هم يتحادثون إذا بالرجل يأتي فأشاروا إليه وقالوا: هو ذاك الرجل، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمَجْلِسِ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقُلْتَ فِي نَفْسِكَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ: لَيْسَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَى نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ فَخَطَّ خَطًّا بِرِجْلِهِ، ثُمَّ صَفَّ كَعْبَيْهِ فَقَامَ يُصَلِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى هَذَا فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:أَقَتَلْتَ الرَّجُلَ؟ فَقَالَ: وَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَهِبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى هَذَا فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ:

أَنَا، وَأَخَذَ السَّيْفَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي فَرَجَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: أَقَتَلْتَ الرَّجُلَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَهِبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى هَذَا فَيَقْتُلُهُ؟ قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَ لَهُ إِنْ أَدْرَكْتَهُ، فَذَهَبَ عَلِيٌّ فَلَمْ يَجِدْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقَتَلْتَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: لَمْ أَدْرِ أَيْنَ سَلَكَ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ هَذَا أَوَّلُ قَرْنٍ خَرَجَ فِي أُمَّتِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قَتَلْتَهُ مَا اخْتَلَفَ فِي أُمَّتِي اثْنَانِ }[٢٩٢]

فهذا جرَّه هذا الكِبْر إلى أنه رأى أنه خير الناس، وهذا ما انتهى إلى أحفاده وتلاميذه وهم الخوارج، فهم يظنون بعباداتهم وتلاوتهم للقرآن أنهم الأوصياء على هذا الدين، ولا تصح الفتوى إلا منهم، ولا يصح الأخذ إلا برأيهم، وهم كما قال ﷺ:

{ الْخَوَارِجُ هُمْ كِلَابُ النَّارِ }[٢٩٣]

وهؤلاء القوم يظهر عليهم مرض الكِبْر من العبادة لله، لأنهم لم يعبدوا الله على يد عارف بالله يزكي نفوسهم أولاً ثم يعبدون الله فيتحققون بقول الله:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (١٤الأعلى) وبعد ذلك: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (١٥الأعلى).

ثالثاً: الحسب والنسب

الأمر الثالث الذي يسبب التكبر أو الكبر هو الحسب والنسب:

كمن يفتخر بآبائه وعائلته وأجداده، وخاصة من يفتخر بأنه من آل بيت النبي، فيرى أن الناس كلهم موالي وعبيد له ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم، وثمرته على اللسان التفاخر بذلك، فيقول: أنا من آل بيت النبي، ونحن من ذرية الحسن أو الحُسين أو غيرهم، والحسب في الإسلام هو التقوى، لقول رسول الله ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا، وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَقُولُوا: فُلانُ بْنُ فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بْنِ فُلانٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ }[٢٩٤]

وروى سيدنا أبو ذر رضي الله عنه أنه كان بينه وبين رجل من المسلمين حبشي أسود اللون

٢٩٢ سنن الدارقطني ومجمع الزوائد لابن حجر عن أنس رضي الله عنه
٢٩٣ مسند أحمد عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه
٢٩٤ معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

مشاحنة، فعايره بأمه، وفي رواية قال له: يا ابن السوداء، فسمعها النبي ﷺ فغضب غضباً شديداً، وقال له : { يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ }[٢٩٥]

فما كان من أبي ذر ﷺ إلا أن ذهب إلى الرجل وأصَّر على أن يضع خده على الأرض، وأن يطأ الرجل بقدمه على خده اعتذاراً على ما سببه له من أذى، ولكن المسلمين تعلموا الذوق السديد من الحبيب ﷺ، فرفع الرجل رجله تجاه وجهه ولكنه لم يُنزلها على خده براً بيمينه وأخذاً بما علَّمه نبيه ﷺ من الذوق الرفيع.

وقال ﷺ: { إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا }، ورُوى عن النبي ﷺ: { انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ، قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوْ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ }[٢٩٦]

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ على الهُدى لمن استهدى أدلاء
فخذ بعلم تعش حياً به أبداً فالناس موتى وأهل العلم أحياء

رابعاً: الجمال

السبب الرابع للكِبر والتكبر فهو الجمال:

الجمال في الوجه أو الجمال في الجسم أو الجمال في أي أمر من الأمور، وهذا أكثر ما يجري بين النساء، تقول: ولدي أفضل من ولدك، هل تستطيعين إنجاب ولد مثله؟! وهي لا تدري من الذي رزقها به وهو الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٦آل عمران)، ويذكرون هذا الأمر مما يجعل الناس يذكرون عيوب الناس، وذكر عيوب الناس كبيرة من الكبائر، ويدعو كذلك إلى انتقاص الناس، ويدعو كذلك إلى الغيبة، ويكفي في الغيبة أن امرأة قالت عن امرأة أخرى عند حضرة النبي وأشارت إليها بيدها أنها قصيرة، فقال ﷺ:

---

٢٩٥ صحيح البخاري عن أبي ذر ﷺ
٢٩٦ الأول: مسند أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر ﷺ، والثاني: مسند أحمد ومجمع الزوائد عن أُبيّ بن كعب ﷺ

{ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ }[٢٩٧]

- **أما القوة وشدة البطش على الضعفاء والفقراء والمساكين فهذه أحوال الجبارين، نسأل الله ﷻ أن يحفظنا منها أجمعين.**
- **أما المباهاة والفخر بالأتباع والأنصار والتلامذة والعشيرة والأقارب والبنين فتلك من أفعال الجاهلية الأولى، ... فإن المسلم ليس الذي يفتخر بهؤلاء،... لأن هؤلاء سيتركهم أو يتركونه.**

فإن الإنسان إذا خرج من دنياه شيَّعه ثلاثة، شيعه ماله عند باب بيته، وشيعه أولاده ومحبوه وتلاميذه عند باب قبره، ولا يدخل معه إلا عمله الصالح، وهو الذي ينفعه عند الله ﷻ.

علاج الكِبر

كيف يعالج الإنسان داء الكِبْر إذا كان ولا بد من العلاج؟

أولاً: معرفة حقيقة نفسه

أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه، وأن ينظر – كما أمر الله – إلى نفسه:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (الطارق)

يعرف أن أصله نطفةٌ مُذره، وأنه بين ذلك يحمل العذرة، وأن آخرته جيفة قذرة !! فإذا علم الإنسان أصل نشأته وكانت منه دائماً على بال فتلك هي الواقية التي تمنعه من داء الكِبْر والاختيال، أما إذا نسي حقيقته كمن نسمع من يقول: (هل تعلم أنا من؟)

قال أحد الأمراء لرجل صالح أتعرف من أنا؟ قال: نعم أعرفك، أولك نطفة مُذرة وأنت الآن تحمل العذرة[٢٩٨] **وآخرتك جيفة قذرة!! ...**

فلا بد أن يعرف الإنسان حقيقته التي منها خُلق، ولا يعرفها إلا بالتدبر في الآيات التي ذكرت ذلك في كتاب الله، ومعرفة أحوال الصالحين أجمعين في هذا الميدان.

---

٢٩٧ سنن أبي داود والترمذي
٢٩٨ نطفة مُذرة أى جرت بمجرى النجاسة إذ خرجت، والعذرة أى الغائط أو المعى وبها الغائط.

ثانياً: تذكر أحوال السلف الصالح

كذلك يُعالج الإنسان داء الكِبْر إذا تذكر أحوال السلف الصالح وأخلاقهم وتواضعهم، وعلم أن التكبر والكِبْر ليس بجمال الثياب وجودتها، ولا بفصاحة اللسان، ولا بأعداد العبادات، وإنما بخشية الله ﷻ، قال بكر المُزني:

(البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية لله ﷻ).

رُوي أن عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو خليفة المسلمين كان جالساً مع ضيف له، وأوشك المصباح أن ينطفئ لقلة ما فيه من زيت، فقال الرجل: أقوم للمصباح فأزوده زيتاً؟ قال: لا، قال: أنادي الخادم؟ قال: دعه فإنها أول نومةٌ نامها، ثم قام عمر وأمسك السراج وملأه زيتاً ووضعه مكانه وأوقده، فقال: يا أمير المؤمنين أتفعل ذلك بنفسك؟ قال:

وماذا حدث؟! قمت وأنا عمر أمير المؤمنين، وعُدت وأنا عمر أمير المؤمنين وخليفة المسلمين!

وهكذا أحوال كُمَّل الصالحين.

رُوي أن عبد الرحمن بن عوف كان لا يُعرف من بين عبيده لشدة تواضعه، فكانوا يسألون العبيد عنه فيدلونهم عليه وهو بينهم ووسطهم، لأنه لا يفضل نفسه عنهم بزيٍّ ولا مقعد ولا شيء ظاهر، وإنما كان يُزين ما يحبه الله وهو القلب، فزينوا قلوبكم لله، فإن الإنسان إذا عرف أن مقصد الله هو تزيين القلوب وليس تزيين الأجسام كان من أهل خشية الله ﷻ.

قال الإمام عليٍّ ﷺ: (لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله) فيتأسى بحضرة النبي، فإن النبي ﷺ كان في السوق يوماً واشترى شيئاً فحمله، فأراد بعض أصحابه أن يحمله عنه، فقال ﷺ:

{ صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا يَعْجِزُ عَنْهُ فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ }[٢٩٩]

وكان عمر ﷺ يمر في سوق المدينة يمسك بيده اليسرى لحماً اشتراه، وبيده اليمنى درته، فليس من الكِبْر أن يحمل الإنسان ما يشتريه بنفسه ولأهله وذويه، وليس من الكِبْر أن يلبس الإنسان الملابس الحسنة ويختار الأشياء الجميلة ما دام قد نظر إلى قلبه وزيَّنه لله ﷻ.

---

٢٩٩ المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة ﷺ

أخلاق المتواضعين

ذكر أبو الدرداء ﷺ أخلاق المتواضعين في نصٍّ طويل أحببت أن أنقله لكم، فقال ﷺ:

أعلم أن لله عباداً يُقال لهم الأبدال خلفٌ من الأنبياء هم أوتاد الأرض، فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أُمَّة سيدنا محمد ﷺ، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حُسن حلية، ولكن بصدق الورع وحُسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبُّر، وتواضع في غير مذلَّة، وهم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون صديقاً أو ثلاثون رجلاً، قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه، واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذونه ولا يُحقرونه ولا يتطاولون عليه، ولا يحسدون أحداً ولا يحرصون على الدنيا، هم أطيب الناس خيراً، وألينهم عريكة، وأسخاهم نفساً، علامتهم السخاء، وسجيتهم البشاشة، وصفتهم السلامة، ليسوا اليوم في خشية وغداً في غفلة، ولكن مداومين على حالهم الظاهر، وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة، قلوبهم تصعدا إرتياحاً إلى الله، واشتياقاً إليه، وقُدماً في استباق الخيرات، أولئك حزب الله: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢ المجادلة).

قالوا: يا أبا الدرداء ما سمعنا بصفة أشد علينا من تلك الصفة، وكيف لنا أن نبلغها؟ فقال: ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون قد بغضت الدنيا، فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة، وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا، وبقدر ذلك تُبصر ما ينفعك، وإذا علم الله من عبد حُسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة، واعلم أن ذلك في كتاب الله المنزل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨ النحل).

صفة رسول الله ﷺ

وما أجمل وصف رسول الله ﷺ الذي وصفه به أصحابه.

قال أبو سلمة:

قلت لأبي سعيد الخدري: ما ترى فيما أحدثه الناس في الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال:

(يا ابن أخي كل لله واشرب لله والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهوٌ أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته، كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقُم - يعني يكنس وينظف – البيت، ويحلب الشاة، ويخصِفُ النعل، ويرقّع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيا، ويشتري الشيء من السوق، ولا يمنعه من الحياء أن يعلقه بيده، أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أو أسود أو أحمر حرٌّ أو عبدٌ من أهل الصلاة، ليس له حُلة لمدخله ولا حُلةٌ لمخرجه، لا يستحي من أن يجيب إذا دُعي وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دُعي إليه، وإن لم يجد إلا حشف الدقل - وهو أردأ أنواع التمر - لا يرفع غداءًا لعشاء ولا عشاءًا لغداء، هين المئونة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طليق الوجه، بسام من غير ضحك، محزونٌ من غير عبوس، شديد في غير عنف، متواضع في غير مذلة، جوادٌ من غير سرف، رحيمٌ لكل ذي قُربى ومسلم، رقيق القلب دائم الإطراق، لم يبشم قط من شبع، ولا يمد يده من طمع)

قال أبو سلمة: فدخلت على عائشة ﵂ فحدثتها بما قاله أبو سعيدٍ الخدري في زُهد النبي فقالت ﵂: (ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصَّر، إذ ما أخبرك أن رسول الله ﷺ لم يمتلئ قط شبعاً، ولم يبثُّ إلى أحد شكوى، وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار في الغنى، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي ليلته حتى يُصبح، فما يمنعه ذلك عن صيام يومه، ولو شاء أن يسأل ربه فيُؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل، وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع، فأمسح بطنه بيدي و أقول نفسي لك الفداء لو تبلَّغت من الدنيا بقدر ما يفوتك ويمنعك من الجوع، فيقول: يا عائِشَةُ إخْوَانِي مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قَدْ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ وَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ فَأَجِدُنِي أَسْتَحِي إنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي دُونَهُمْ أَيَّاماً يَسِيرَةً أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ يَنْقُصَ حَظِّي غَداً فِي الآخِرَةِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بإخْوَانِي وَأَخِلاَّئِي ، قالت ﵂: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله ﷻ).

نسأل الله ﷻ أن يجمّلنا بهذا الجمال، وأن يكمّلنا بهذا الكمال، .... وأن يخلّقنا بهذه الخلال، وأن يجعلنا في معية النبي والآل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المرض العاشر: العُجب[٣٠٠]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي مَنَّ علينا بفضله بالقبول، وسلك بنا طريق أهل الوصول، والصلاة والسلام على سيدنا محمد باب الله المفتوح لكل عبد موصول، صلى الله عليه وعلى وآله وصحبه من الفحول، وكل من تبعهم على هذا الهدي إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين، آمين يا رب العالمين.

مرض العُجب يعني أن الإنسان يُعجب بنفسه ويفرح بنفسه ويرى أنه قد وصل إلى حد الكمال، ولا يستمع بعد ذلك إلى نُصح ناصح ولا وعظ واعظ ولا يشارك غيره في الآراء ولا يستزيد حتى في الأعمال في طاعة الله لأنه يظن أنه قد بلغ مناه، فلا حاجة له بعد ذلك إلى الطاعات.

فالعُجب يشبه الكِبْر تماماً كما وضحنا، فإن كان الكِبر هو أن يستعظم الإنسان نفسه ويرى نفسه خيراً من غيره فيستحقر غيره بسبب نعمة كالمال أو العلم أو الجاه أو الحسب أو الجمال، فالعُجب كذلك هو أن يستعظم الإنسان نفسه بنعمة تماماً كالكِبر ولكنه لا يستحقر غيره لأنه يظن في نفسه أنه لم يبلغ شأوه أحد وأنه وصل إلى منتهى الكمالات في هذه الجمالات التي أُعجب بها.

ذم العجب

ولذلك رأينا الله ﷻ يذم العُجب في كتاب الله:

فإن النبي ﷺ فتح الله ﷻ عليه مكة المكرمة، وكان معه عشرة آلاف من الجند، وانضم إليه ألفان من أهل مكة، فأصبح الجيش عدته اثنا عشر ألفاً، وذهب إلى أهل الطائف في موقعة حُنين، قال رجل من أصحاب النبي: (لن نغلب اليوم عن قلة) أُعجب بنفسه وأُعجب بالجيش، وقال: لن نُهزم اليوم لأن عددنا كثير وعتادنا كبير، ومع أن هذا القول لم يُعجب النبي ﷺ، إلا أن الله ﷻ أظهر لهم حقيقة أمرهم في بداية المعركة، وقال الله لهم:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ (٢٥التوبة).

فإن الأعداء كمنوا في الجبلين المحيطين بوادي حُنين، وعندما صار المسلمون في أرض

٣٠٠ الجميزة – السنطة –الغربية ٢٤ من ربيع الأول ١٤٤٤هـ ٢٠/١٠/٢٠٢٢م

الوادي فوجئوا بالنبال تنهال عليهم من الجبال كالجراد المنتشر في الصحراء، فولوا مدبرين ولم يتبق مع النبي إلا قليل من الأنصار والمهاجرين، ولكن الله ﷻ تدارك نبيه بالنصر المبين، وإنما أظهر لهم ذلك حتى لا يُعجبوا بأنفسهم فيُصابوا بداء الكِبر أو داء الغرور.

ولذلك قال ﷺ في حديث يجب أن ننتبه إليه أجمعين:

{ ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخُيَلَاءِ }[٣٠١]

يعني المباهاة والفخر، وفي رواية أخرى:

{ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ }[٣٠٢]

وعَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(إِنْ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ)[٣٠٣]

ومعناه أن يرى أن عقله هو الراجح، وأن رأيه على الناس هو الصواب ولا صواب برأي غيره فيتمسك برأيه ويتشبَّث به، وذكر ﷺ أن من علامات الأمَّة في هذه الأيام في آخر الزمان ذلك الذي قال فيه ﷺ:

{ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ الْعَوَامَّ }[٣٠٤]

وممن أدلى بدلوه في ذلك ابن مسعود ﷺ حيث يقول:

(الهلاك في اثنتين: القنوط والعُجب)

والقنوط يعني اليأس، وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تُنال إلا بالسعي والطلب، والقانط أو اليائس لا يسعى ولا يطلب، وكذلك المُعجب بنفسه يظن أنه وصل إلى الغاية والنهاية فلا يسعى ولا يطلب المزيد، لأنه يعتقد أنه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى، وقال مُفَرِقٌ ﷺ:

(لأن أبيت نائماً وأُصبح نادماً، أحب إليَّ من أن أبيت قائماً وأُصبح معجباً).

---

٣٠١ المعجم الأوسط للطبراني عن أنس ﷺ
٣٠٢ المعجم الأوسط للطبراني والبزار عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٠٣ مصنف ابن أبي شيبة
٣٠٤ سنن الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

بين العُجب والذنوب

وقد قال تعالى للمؤمنين أجمعين في كل زمان ومكان:

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم ٣٢)

أي الزم للنفس حدودها، وأنزلها منزلتها، ودائماً وجِّه بصر قلبك إلى عيوبها، ولا تنظر إلى مزايا ومحاسن نفسك لكن انظر إلى العيوب لتصلحها وتعالجها وتتلافاها، وفي ذلك يقول ﷺ:

{لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ: الْعُجْبُ }[٣٠٥]

فجعل العُجب أكبر من الذنوب، لماذا؟

أولاً:

لكون العُجب يورث الغرور بالعمل فلا يوفق للتوبة بخلاف غيره من المعاصي، لأنه يرى أنه لم يُخطئ ولم يُقصِّر ولم يُذنب.

ثانياً:

العُجب يصرف وجه العبد عن الله فيهتم بنفسه، والذنب يصرف وجه العبد إلى مولاه راجياً أن يتوب عليه مما فعله وآتاه.

ثالثاً:

العُجب يجعل العبد يُقبل به على نفسه، والذنب يجعله يُقبل به على ربه.

رابعاً:

العُجب ينتج الاستكبار، والذنب ينتج الاضطرار والافتقار، وخير أوصاف العبد اضطراره وافتقاره إلى ربه، وفي الحديث دلالة على أن العبد لا تبعده الخطيئة عن الله، وإنما يبعده الإصرار والاستكبار والإعراض، بل قد يكون الذنب سبب الوصلة بينه وبين ربه كما قال ابن عطاء الله رضي الله عنه في حِكَمه: (رُب معصية أورثت ذُلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً).

ولذلك قيل للسيدة عائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت:

(إذا ظن أنه مُحسن) ... لأنه يتجمد ولا يستزيد من الطاعات، ولا يظن أنه فعل معاصي فيبحث عنها.

---

٣٠٥ مسند البزار عن أنس رضي الله عنه

آفات العُجب

العُجب له آفاتٌ كثيرة:

أولاً:

العُجب يدعو الإنسان إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فلا يراجع نفسه ويعتقد أنه لم يفعل ذنباً يستحق التوبة منه، وهذه أعظم الآفات.

ثانياً:

يستعظم العبادات والأعمال الصادرة عنه، ويتفاخر بها لأنه يعمل كذا وكذا وكذا بين المناظرين له وبين غيرهم، أو في نفسه فيستعظم نفسه ويظن أنه خير من غيره ولايدري القبول فيما عمله، هل رُزق القبول أم رُدَّ هذا العمل ولم يحز من الله القبول.

ثالثاً:

قد يمنُّ على الله بفعله، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، فإن الله هو الذي وفَّقه للطاعات وأمده بالأعضاء وجعله يستطيع أن يفعل بها العبادات، لكنه قد يظن أنه قدَّم شيئاً لمولاه، وينسى نعمة التوفيق التي شمله بها مولاه، فإذا أُعجب بهذا عمي عن آفات قبول العمل فلا يبحث عنها ليُصحح هذا العمل.

وأصحاب رسول الله ﷺ والسادة العارفون يقول الله في شأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (المؤمنون) يعملون الأعمال الصالحة وفي قلوبهم رهبة وخشية من الله أن لا يقبل منهم هذه الأعمال، أو تكون غير مشوبة بالإخلاص الكامل لحضرة الله ﷻ.

رابعاً:

إذا اغتر بنفسه وبرأيه فإنه قد يأمن مكر الله وعذابه ويظن أن له عند الله مكانة عظيمة، وأن له عند الله منَّة وحقاً بهذه الأعمال التي عملها، وهذه آفة الآفات، فإذا كان الصِدّيق رضي الله عنه وهو الذي بُشِّر بالجنة من سيد المرسلين يقول: (لا آمن مكر الله وإن كانت إحدى قدميَّ في الجنة) فما بالكم بالذي يعمل الطاعات ولا يشهد ما فيها من آفات قد تجعلها لا تحوز القبول عند رب البريات ﷻ؟!.

خامساً:

إن أُعجب برأيه وعقله وعلمه، منعه ذلك من الاستفادة، والاستشارة والسؤال، فلا يسمع إلى دروس العلماء، ولا يسأل العلماء والعرفاء فيما استشكل عليه، ويستبد بنفسه ورأيه، ولا يسمع بأذنيه نصح ناصح ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستهجان أن يرى نفسه أنه فوق الجميع في المكانة لما يرى من عقله وعلمه مع أنه لم يبلغ شيئاً عند ربه ﷻ.

وفي قصة الكليم مع العبد الصالح عبرة لأهل هذا المقام، فإنه مع بلوغه درجة الكليم عندما سُئل: من أعلم الناس يا موسى؟ قال: أنا، فعاتبه ربه، وأرسله إلى عبد علَّمه الله، وقال له هذا العبد كما أخبر سيدنا رسول الله ﷺ:

{ يَا مُوسَى إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ }، وإذا بعصفور ينزل إلى الماء ليشرب فقال له: **{ مَا عِلْمُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ؛ إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ }**[٣٠٦]

يعني ما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر.

ما بالكم بسليمان بن داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام الذي علَّمه الله منطق الطير، وسخَّر له الريح، وسخَّر له الجن، وسخَّر له كل شيء، يغيب عنه الهدهد فيسأل عنه بعدما تفقد الطير ولم يجده بينهم، فقال له الهدهد كما حكى الله:

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ (٢٢النمل) يعني علمتُ أمراً وشيئاً لم تعلمه أنت: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦يوسف).

سادساً:

إن من أعظم آفات العُجب أن يكسل الإنسان في السعي إلى الطاعات والعبادات، لأنه يظن أنه قد فاز وسعد وقد استغنى، وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه، وهذا ما نجده في كثير من الأحباب المحيطين بيننا، فيظن أنه بحضوره اللقاءات والمجالس قد أدَّى ما عليه لمولاه وله منزلة عند الله ولا ينبغي له أن يستزيد عن ذلك شيئاً.

فإذا كلَّف خاطره بأن يحضر مجلساً لشيخه يرى أن له مِنَّة على شيخه وعلى الحضور لأنه تفضل بالحضور مع أنه ليس بحاجة إلى هذا العلم ولا إلى هذا الجمع، وهذه آفة الآفات التي تجعل الإنسان يخرج من الدنيا وهو خاوي من الحسنات والدرجات والمكرمات، لأن العُجب حجبه عن المزيد من العمل لرفيع الدرجات ﷻ.

ومثل هؤلاء لو نظروا إلى سيد السادات ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يقوم الليل حتى تتورم منه الأقدام، وتقول له السيدة عائشة رضي الله عنها:

---

٣٠٦ الحديثان كلاهما أخرجهما البخارى ى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا }[٣٠٧]

فكون الله قد رفعه إلى هذه المنزلة فإنها تستوجب الشكر، والشكر عمل: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ (١٣سبأ) وكلما رُفع الإنسان في منازل استوجب المزيد من الشكر: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ (٧إبراهيم) فلا يتوقف عن شكر الله بالعمل الصالح لله، ليستوجب بذلك المزيد من كنوز فضل الله ﷻ.

أما إذا كان الإنسان قد استعظم النعمة في نفسه وركن إليها، ونسي إضافتها إلى المنعم ﷻ، وغلب على نفسه أن له عند الله حق، وأنه منه بمكان، حتى يتوقع بعمله أن يُجري الله له كرامات في الدنيا، ويستبعد أن يجري عليه مكروه، فهذا يسمى إدلال بالعمل، وهذا من أشد الجرائم في حق الإنسان المُقدِم على مولاه.

وكذلك قد يُعطي الإنسان غيره شيئاً فيستعظمه ويمن به عليه، وهو بهذا يكون قد أُصيب بالعُجب، فإن طلب منه خدمة مقابل ما أعطاه أو اقترح عليه اقتراحاً ليقضي له حاجة، أو عاتبه عن تخلفه عن قضاء حق له كان ذلك إدلال، وهذا الذي يقول الله فيه: ﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ (٢٦٤البقرة).

علاج العُجب

العُجب كغيره من الأمراض والعلل لا يُزال إلا بالعلم المحقق، بأن العبد وعمله وأوصافه وكل ما له من عند الله تعالى، نعمة ابتدأه بها الله لا يستحقها، وإنما هي فضل من الله يستوجب الشكر لحضرة الله، حتى لا تزول هذه النعم عنه، وحتى يفيض عليه مولاه المزيد:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تُزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

فينسب كل فضل إلى مولاه، وبذلك يأمن من الزلل ومن الخطأ ومن زوال النعمة، ثم يعمل شاكراً لله ليستوجب المزيد من فضل الله وعطاياه، وهذا الإنسان المؤمن أخوف ما يخاف إذا كان العمل للدار الآخرة، لأن النبي ﷺ قال لصحبه الأخيار الأطهار:

٣٠٧ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٣٠٨]

أما إن كان الإعجاب بشيء من النعم الظاهرة فيتذكر، فإن كان الإعجاب ببدنه، أو بجزء وعضو منه، أو بجماله وهيئته، فليتذكر الخاتمة ويطلب من الله حُسن المآل في الآخرة، ومتى دام الجمال في أي حال من الأحوال لأي إنسان من بدء الدنيا إلى الآخرة؟!! ... أما في الآخرة فلا ينفعه الجمال ولن يقدم له حسنة، ولا ينال به رتبة في الجنة، لأن هذا صُنع الله الذي أتقن كل شيء، وليس في هيئته وشكله وجماله وصورته شيء، وإنما الأمر كله لله.

وإن كان أُعجب ببطشه وقوته، فليعلم علم اليقين أن الإنسان أضعف شيء في الوجود، ولو أُصيب بحُمَّى في يوم واحد فإنها تُذهب بقوته وتُذهب بشدته، بل إن شكة الإبرة قد تجعل الإنسان أياماً متوالية يصرخ ويستغيث، فكيف يُعجب ببطشه ويُعجب بقوته بين خلق الله ﷻ؟!.

وإن كان الإعجاب بنسبه فليذكر قول الله الذي رواه حبيبه ﷺ عن الله يوم القيامة:
{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا، وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَقُولُوا: فُلانُ بْنُ فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بْنِ فُلانٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ }[٣٠٩]

وليتذكر أيضاً ما فعله النبي حين نزل قوله تعالى عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤الشعراء) فناداهم بطناً بطناً، حتى قال: **{ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا }**[٣١٠]

أما إذا كان الإنسان ناله عُجب بسبب كثرة ماله، فعلاجه أن يتفكر بآفات المال، فربما بات الإنسان غنياً وأصبح فقيراً، وربما أمسى الإنسان فقيراً وأصبح غنياً، فليتق الله وليعلم أن الغِنى الباقي هو الغِنى بالله ﷻ.

---

٣٠٨ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٣٠٩ معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ
٣١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

رُوي أن أبا ذر ﷺ نظر في مسجد النبي وقال له النبي ﷺ:

{ ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَرَفَعَ رَجُلٌ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ؟ فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ فَقُلْتُ: هَذَا، فَقَالَ: انْظُرْ أَوَضَعَ رَجُلٌ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ؟ فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَجُلٌ مُكْتَنِفٌ فَقُلْتُ هَذَا، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِهَذَا أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُرَابِ الْأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا }، وورد في الحديث الآخر: **{رأى النبي ﷺ غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام: { خَشِيتَ أَنْ يَعْدُوَ إِلَيْكَ فَقْرُهُ }** [٣١١]، أى أن الغنى أخذ يُلملم ثيابه ويتباعد عن الفقير، فقول ﷺ هذا للغنى لهو غاية التنبيه بالطريقة اللطيفة من نبينا ﷺ.

إعجاب المرء برأيه

أصعب أنواع الإعجاب فهو أن يُعجب الإنسان برأيه، وهذه آفة هذا الزمن كما أخبر نبينا، أن يُعجب الإنسان برأيه حتى وإن كان على خطأ، فإن الإنسان صعب أن يقنع من تمسك برأيه، ويرى أن الجميع على خطأ إلا هو، وقد أخبر نبينا لنا بذلك حتى ننتبه جيداً لذلك، فإن هذا من أكبر العلل التي يصاب بها أهل هذا الزمان، وأرجو الله أن تكون هذه العلة غير موجودة في الأحباب في كل البلاد، فإن الله قال في المؤمنين:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣٨الشورى) وقال لسيد الأولين والآخرين ﷺ: **﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾** (١٥٩آل عمران) فقال ﷺ: **{ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَّانِ عَنْهَا }** [٣١٢] ولكن للتعليم.

فعلى الإخوان جميعاً التشاور في كل الأمور صغيرها وكبيرها، ولا ينفرد واحد منا برأيه ولو كان يظن أنه ذو منصب كبير، أو ذو خبرة طويلة، أو ذو علم واسع، .... فإن الإنسان ينظر من جانب، ... والأحباب ينظرون من جميع الجوانب، ... فتكتمل لهم النظرة الكاملة إلى الصورة، أسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يكفينا هذا الداء الوبيل وهو العُجب، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٣١١ الحديث الأول : مسند البزار عن أبي ذر ﷺ، والحديث الثاني رواه الإمام أحمد في الزهد
٣١٢ آداب الصحبة للسلمي وشعب الإيمان للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

المرض الحادي عشر: الغرور[٣١٣]

الغرور أن يرى الإنسان عن شُبهة وخدعة في نفسه أنه على شيء في أمر ما، وأنه لا يشابهه أحد في هذا الأمر، في حين أنه مغرور لأنه يوافق هوى نفسه، ولا يوافق الحقيقة ولا العلم ولا القوانين المتعارف عليها بين العلماء والصالحين من عباد الله ﷻ، فكل من اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور.

حقيقة الغرور

المغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون في هداية نفسه كفيلاً، وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً، وهؤلاء يقول فيهم رب العزة ﷻ:

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ (٧٢الإسراء).

وفي هذا المقام نجد أن الغرور السبب الأساسي فيه هو بعض أنواع الجهل التي تنتاب الإنسان فلا يعلم حقائق الأشياء ويغيب عنه أسرارها، فيظن بما يُهيأ له أنه وصل واتصل وهو بعيد بالكلية عما يدَّعي، فهي دعوى.

والغرور يقول فيه الله ﷻ: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ (٣٣لقمان) ويقول فيه ﷺ:

{ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ }[٣١٤]

أهل الغرور هم أصلاً الخوارج الذين كانوا يطيلون الصلاة والصيام وتلاوة القرآن ولا يتأكدون أن قلوبهم حاضرة أو مستحضرة لله ﷻ فيما فعلوه وعملوه.

ذهب نفر من هؤلاء إلى أم الدرداء زوجة أبي الدرداء الصحابي الجليل ﷺ وكان اسمه عُويمر، والذي قال فيه ﷺ: **{ حَكِيمُ أُمَّتِي عُوَيْمِرٌ }**[٣١٥]، سألوها عن عبادته، فقالت: (ليست كعبادتكم، ولكنه يجلس ويتفكَّر) .. فكان أكثر عبادته هي التفكر في نفسه والتفكر في الكائنات ليصل بذلك إلى شدة تعظيم الله ﷻ في قلبه وهيبته وجلاله وخشيته في جميع الأوقات،

---

٣١٣ الجميزة – السنطة –الغربية ٩ من ربيع الآخر ١٤٤٤هـ ٣/١١/٢٠٢٢م
٣١٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن شداد بن أوس ﷺ
٣١٥ سير أعلام النبلاء

فلما جاء ﷺ وحكت له ما دار بينها وبينهم، قال ﷺ: (يا حبذا نوم الأكياس – العقلاء –و إفطارهم، كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من بر من صاحب تقوى ويقين أفضل وأرجح وأعظم من أمثال الجبال عبادة من المغتربين)[٣١٦].

أصناف الغرور

الغرور ينقسم إلى صنفين: غرور الكفار وغرور العصاة والفساق.

أما غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا بزينتها وبهجتها وملك ناصيتها، ومنهم من غرَّه بالله الغرور فلم يستخدموا العقل الذي وهبه لهم الله والفطرة التي أوجدهم عليها الله، وأخذوا ينظرون إلى الأشياء الحسية ليستدلوا بها على حضرة الله فوقعوا في هذا الغرور، وهؤلاء لا علاج لهم إلا بتصديق الإيمان، أو بالبرهان الكامل على خلق الله ﷻ وصنعته في الأكوان، والأكوان وما فيها دلائل على وجود حضرة الرحمن ﷻ.

وكان الله ﷻ يخاطب هؤلاء في القرآن بقوله: (يا أيها الناس) لأنهم ناسين لفضل الله وإكرام الله ونعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى.

والله ﷻ له حكمة عظيمة عجيبة في الدنيا، فإن الله قد يحمي عبده الذي يحبه من الدنيا وهو يحبه، كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه، وهكذا تعامل الله مع المؤمنين في متاع الحياة الدنيا.

ولذلك كان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا: (ذنب عجلت عقوبته) ورأوا ذلك علامة المقت والإهمال، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا: (مرحباً بشعار الصالحين).

أما المغرور فهو الذي إذا أقبلت عليه الدنيا ظنَّ أن هذا كرامة له من الله، وإذا صُرفت عنه الدنيا بشهواتها وحظوظها وملاذها ظن أن ذلك من هوانه عند مولاه، فإذا أمن في هذا الوقت مكر الله فهو في غرور شديد، نسأل الله الحفظ من ذلك إلى يوم الوعيد.

أما غرور العصاة والمذنبين من المؤمنين فكقول بعضهم: إن الله كريم وإنا نرجوا عفوه ونطمع في جنته، ويتكلون على ذلك ويؤمنون الأعمال، ومن رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحاً، أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور لأنه لا يُحصِّل في الآخرة، ولا يَحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح.

---

٣١٦ اليقين لإبن أبي الدنيا وقوت القلوب والكثير من المصادر.

وصف الصالحين المخلصين

قال سيدي محي الدين بن العربي ﷺ في وصف الصالحين السابقين والمخلصين منهم إلى يوم الدين: كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر، فإذا كان بعد العِشاء حاسبوا نفوسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم من قول وعمل، وقابلوا كُلاً بما يستحقه، إن استحق استغفار استغفروا، أو توبة تابوا، أو شكراً شكروا، ثم ينامون بعد ذلك بعد محاسبتهم لأنفسهم.

ثم تكلم عن المُخلَصين منهم فقال: فزدنا عليهم في محاسبة الخواطر:

﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة)

فكنا نقيد ما تُحدِّث به نفوسنا وتهم به ونحاسبها عليه، وهذا فعل الصالحين الصادقين الذين يطمعون في معية سيد المرسلين ﷺ.

أصناف المغترين

والمغترون في نظرنا كثير وكثير !! .ولكن نكتفي منهم ببعض الأصناف الظاهرة:

١- المغترون بالعلم: وهم فِرَقٌ، منهم قوم أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها من المعاصي وإلزامها الطاعات، وهؤلاء يقولون ما لا يفعلون: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف) وفيهم يقول ﷺ:

{ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ }[٣١٧]

ويقول الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه:

وعـالمٌ بعلمـه لم يعملن مُعذبٌ بالنار قبل عُبَّاد الوثن

وهو يشير إلى حديث النبي الذي يقول:

{ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ }، وذكر منهم: { وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ:

٣١٧ المعجم الصغير للطبراني عن أبي هريرة ﷺ

كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ }، وفي رواية أخرى: **{ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }**[٣١٨]

هؤلاء قوم أحكموا العلم والعمل وواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي، إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا منها الصفات المذمومة عند الله من الكِبر والحسد والرياء وطلب الرياسة وحب الظهور وغيرها.

ومنهم طائفة اشتغلوا بالمجادلة بالأهواء والرد على المخالفين، وكل همهم أن يقرأوا ما في الكتب ليستعينوا بها على جدال غيرهم، وقد قال ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ }[٣١٩]

٢- الغرور بالوعظ والتذكير:

وهؤلاء طائفة اشتغلوا بالوعظ والتذكير للناس، وظنوا أنهم بما فعلوا وبما وعظوا يكفيهم ذلك فلا يحتاجون إلى العمل، وهذا تغرير لأن المؤمن التقي النقي الذي لا يقول إلا بعدما يطبق ما يقول عملاً على هيكله ومسرح نفسه، ثم يأمر بعد ذلك أهله ثم يأمر بعد ذلك غيره، يبدأ الإنسان بنفسه في العلم والعمل، فإذا قال استمع الناس إلى قوله ونفذوا ما طلبه منهم.

٣- الغرور بالعبادة:

وهؤلاء الذين يغترون بالعبادة والعمل الذي يظنون أنهم يتوجهون به إلى حضرة الله، وهم أيضاً فِرَقٌ، نذكر منهم على سبيل المثال فرقة أهملت الفرائض واشتغلت بالنوافل، وفهموا خطأً حديث الله القدسي الذي يقول فيه مع شدة وضوحه:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }[٣٢٠]

فأقبلوا على النوافل وأهملوا الفرائض، وهذا يتنافى مع الاقتداء بحضرة الرسول الأعظم

---

٣١٨ الرواية الأولى: صحيح مسلم والنسائي، والثانية : جامع الترمذي وابن خزيمة، وكلاهما عن أبي هريرة ﷺ
٣١٩ سنن ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٢٠ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

ﷺ وأصحابه المباركين والأولياء والصالحين الصادقين أجمعين.

- فإننا دائماً وأبداً نبدأ أولاً بالفرائض.
- فإذا فرغنا منها اشتغلنا بما تيسر لنا من النوافل.
- ولكن الأساس الذي نُعول عليه في التقرب إلى الله هو أداء الفرائض تأسياً بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

٤- الوسوسة:

وهؤلاء منهم فِرقة غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة، وإذا حضرت الوسوسة إلى إنسان شغلته عن الوضوء الصحيح، فيمكث يتوضأ أحياناً بالساعات، ويقف أحياناً لينوي الصلاة دقائق لا تُعد، وهو يظن أنه لم ينوي النية الصحيحة، وهذه الوسوسة في حاجة إلى علاج، والعلاج لا يكون إلا من رجل حكيم ماهر في اتِّباع الرؤوف الرحيم ﷺ.

٥- الانشغال بمخارج الحروف:

وهؤلاء تغلبت عليهم الوسوسة في مخارج الحروف، فكل ما يهتمون به أن تكون المخارج سليمة في النطق بآيات كتاب الله، وفي غضون ذلك لا يهتمون بحضور القلب ولا الصفاء ولا النقاء ولا الإخلاص لله ﷻ.

صحيح أنه لا بد من إتقان المخارج في الحروف، لكن لا بد من توافر الإخلاص والخشوع والحضور مع الله ﷻ أثناء ذلك.

روى سيدي عبد العزيز الدريني رضي الله عنه وأرضاه أنه كان له نقوداً عند تاجر في بلدة قريبة منه، وذهب ذات ليلة مع صلاة المغرب ليطلب منه نقوده التي استدانها منه، فصلى المغرب وراء رجل في مسجد في قرية وسط بينهما، وهذا الرجل أخطأ ولحن في بعض الحروف، فنوى في نفسه بعد انتهاء الصلاة أن يترك المال عند صاحبه ولا يذهب إليه الآن ويجلس ويتفرغ لتجويد الحروف والمخارج لهذا الرجل الذي صلَّى بهم إماماً، فما كان من الرجل بعد انتهاء الصلاة إلا أن قال له: يا عبد العزيز انهض واذهب مسرعاً إلى صاحبك فإنه قد جمع جموعه وبيَّت السفر من الصباح الباكر إلى بلاد الشام، فاذهب إليه قبل أن يُقلع للسفر، فذهب كما قال الرجل ثم رجع إليه متعجباً، فقال: يا عبد العزيز أتقنتم الحروف ولم تُتقنوا الخشوع والحضور مع رب العالمين ﷻ، فلم تصلوا إلى الصفاء والنقاء الذي يقول فيه الله:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ (٢٩الأنفال).

٦- الغرور بالحج والمجاورة:

وهؤلاء فِرقة - وإن كان قلَّت في هذا الزمان - كانوا يغترون بالإكثار من الحج، بأن يعد حجَّات له ويحج كل عام، ليكون في نظر الناس يستحق الإمامة.

وبعضهم كان يجاور في بيت الله الحرام بأن يقيم في بيت الله الحرام أو بجواره مدة، أو يجاور حضرة النبي ويقم في المدينة المنورة مدة من الزمن، ويظنوا أنهم بذلك قد يصلون إلى ما يريدون ويُعَدوا عند الله من المقربين، والقرب قرب معنوي لا قرب جسماني، فإنهم بذلك وقعوا في هذا الخطأ الفادح لأن القرب إلى الله في أي زمان ومكان يكون بالقلوب، ويكون بالأرواح التي تطير من الأشباح في أي زمان أو مكان إلى حضرة المليك القدوس ﷻ.

٧- غرور بعض الصوفية:

وهؤلاء منهم فرقة اغتروا بالزي وظنوا أنه كل شيء، فكل همهم أن يلبس العمامة الخضراء أو العمامة الحمراء ليراه الناس منتسباً لأهل البيت، واغتروا بالهيئة الظاهرة من لبس الجُبة والعمامة وإسدال اللحية وغيرها من المظاهر، واهتموا كذلك بحفظ بعض حِكَم الصالحين، وبعض الروايات المحكية عن الواصلين، ويتحدثون بها بين الناس ليغتر بهم الناس ويظنوا أنهم من كبار العارفين بالله ﷻ، مع قوله ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ }[٣٢١]

أي أنه لا يهتم بظاهره، وإنما يهتم بباطنه لأن الله ﷻ كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ}[٣٢٢]

أما الطائفة الضالة بين رجال الصوفية:

فهم الذين وقعوا في الإباحة، وطووا بساط الشرع ولم ينفذوا أوامر الشريعة المطهرة، وادَّعوا أنهم وصلوا إلى الله، وأن الله أسقط عنهم الأعمال الظاهرة بالجوارح، وهؤلاء قال فيهم الإمام الجُنيد رضي الله عنه وأرضاه:

---

٣٢١ جامع الترمذي والحاكم عن أنس رضي الله عنه
٣٢٢ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

(إن قوماً ادَّعوا إسقاط الفرائض ويدَّعون أنهم وصلوا، فإنما وصلوا إلى سقر والعياذ بالله ﷻ).

ومن هؤلاء من يبيح السفر مع النساء ويقول: أختي في الله، ويبيح أيضاً أن يحضر النساء مع الرجال في حلقات الذكر أو في الموالد، وهؤلاء جميعاً خالفوا أصل الأصول، وأول أصل من الأصول أن يكونوا متَّبعين لسيدنا رسول الله في قول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

٨- أرباب الأموال وغرورهم:

وهؤلاء طائفة من أرباب الأموال تحرص على أن يكون لهم كيان في الدنيا فيبنون مساجد ليُكتب عليها أسماؤهم، أو مدارس لتُخلد عليها ذكراهم، أو رباطات وأماكن للضيافة لتكون ذاكرة أو مذكرة لأهلها بهم، وهؤلاء يكون عملهم إما فيه رياء، وإما عملهم لطلب الثناء والمدح من الخلق، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾ (١٨٨آل عمران).

فإن الذي يعمل العمل لله لا يرجو أن يطَّلع عليه أحد سواه:

بل إنه يُخفيه حتى عن أعز المقربين لتكون له خبيئة صالحة عند رب العالمين ﷻ.

ومنهم طائفة اشتغلوا بالأموال وأمسكوها ولم ينفقوها في محاب الله ومراضيه، واشتغلوا بالعبادات البدنية بقيام الليل وصيام النهار وتلاوة القرآن:

وقد حُكي حال رجل من هؤلاء إلى بشر بن الحارث ﷺ وأرضاه، فقال رحمه الله:

لقد دخل في غير بابه، فإن الله ﷻ ما دام أعطاه مالاً فبابه الإنفاق، فترك باب الإنفاق المختص به، وزاحم الفقراء في قيام الليل وصيام النهار وتلاوة القرآن، وهذا لا يليق ولا يجوز.

فكل إنسان له عبادة بحسب ما أعطاه الله من النعم الظاهرة والباطنة عليه أن يعرفها من عارف، ويقوم بها لينال من الله العوارف والمعارف.

النجاة من الغرور

النجاة من الغرور يلزم فيها ثلاثة أمور:

- الأمر الأول:

أن يحكِّم الإنسان عقله الذي وهبه له الله في أي عمل أو صنيع يقوم به في هذه الحياة، فإن العقل نور، ويهدي الإنسان للعمل الذي يحبه الله.

- الأمر الثاني:

أن يعرض نفسه على العلم أو على العلماء، فلا يقوم بعمل إلا إذا نفَّذ قول الله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل) فإذا علَّموه وفهموه يقوم بالعمل الذي وضحوه له، لأنه الباب الذي فتحه الله ﷻ له، ومنه يأتيه رزقه في عالم البطون من الألطاف الإلهية والعلوم الوهبية والمكاشفات الربانية وغيرها من الأرزاق الخفية التي يدخلها الإنسان من باب العلم والعمل المطابق للعلم من عالِم بالله ﷻ.

- الأمر الثالث:

أن يعرف نفسه أولاً، فإذا عرف الإنسان نفسه عرف ربه، فعرَّفه الله الدنيا وعرَّفه الله الآخرة، وعرَّفه الله سلوك الطريق إليه والعلم الذي يقربه إليه، وعرَّفه ما يباعد بينه وبين القرب من الله، وأعلمه بآفات الطريق وعقباته وغوائله، فيمشي على هدى وبصيرة ..

وهو يقول كما قال الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (يوسف).

نسال الله ﷻ أن يُعرِّفنا بأنفسنا أولاً، وأن يجمعنا على العرفاء الحكماء الخالصين المخلصين ثانياً، وأن يوقظ فينا الحنين إلى حضرته، والباعث إلى الوصول إلى مقامات قربه ﷻ، وأن يحفظنا من غوائل النفس ووساوس الشيطان، وأن يجعلنا من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

خاتمة

حقائق القلب

حقائق القلب

الحجب التي بين العبد وربه

الحجب عند الصوفية

سبحات الوجه

خاتمة

حقائق القلب[٣٢٣]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله بدءاً وختماً، والصلاة والسلام على ختام المرسلين وإمام الأولين وسابق الآخرين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ..

فإن أزاغه كان بيتاً للشيطان ومحلاً للخسران وموضع نظر المطرود من رحمة الله ومعدن وسواسه وحضرة أمانيه ومهبط شياطينه وخزانة غروره:

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ ﴾ (الشعراء).

وإن أقامه فذلك قلب المؤمن التقي الورع الذي قيل فيه في الأثر الوارد عن الله:

(ما وسعتني سماواتي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن).

وقد تحقق بذلك الإمام أبو يزيد البسطامي حيث قال: (لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به).

وقال ابن عربي في كتابه (مشاهد الأسرار القدسية) عن الحق ﷻ:

(ثم قال لي: اعلم أن قلب العارف يمر عليه في كل يوم سبعون ألف سر من أسرار جلالي لا يعودون إليه أبداً، لو انكشف سر منها لمن هو في غير ذلك المقام أحرقه).

فقلب العبد الحقيقي:

بيت الله وموضع نظره، ومعدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وكعبته المقصودة، وعرفاته المشهودة، وهو رئيس الجسم ومليكه مع السلامة من الآفات وزوال الموانع، بصلاحه صلاح الجسد وبفساده فساده، ليس لعضو ولا جارحة حركة ولا ظهور ولا كمون ولا حكم ولا تأثير إلا عن أمره.

وهو محل القبض والبسط، والرجاء والخوف، والشكر والصبر، وهو محل الإيمان والتوحيد، ومحل التنزيه والتجريد، وهو ذو الجلال والجمال والأنس والهيبة والتداني والترقي والتدلي والتلقي والوصل والفصل والغيرة والحيرة.

---

٣٢٣ الجميزة – السنطة –الغربية ٧ من جمادى الأولى ١٤٤٤هـ ١/١٢/٢٠٢٢م

كما أنه صاحب الجهل والغفلة والظن والشك والكِبْر والكفر والنفاق والرياء والعُجب والحسد ومحل الأوصاف المذمومة كلها، إذا لم ينظر الله إليه ولا أدناه منه حرمه التوفيق والهداية وخيَّبته في الأزل العناية.

القلب هو رسول الله الحق إلى الجسم فإما صادق وإما دجال، إما مضل وإما هاد، فإن كان كريماً أُكرم، وإن كان لئيماً أسلم، فإن كان رسول خير وإمام هدى حرَّك أجناده بالطاعة، وتوجهت سفراؤه إلى أمرائه من عالم الغيب وعالم الشهادة لكل أمير بما يليق به من التكليف الذي تقتضيه حقيقته.

فالقلب له أمراؤه في عالم الملكوت يسمون أرواحاً، وله أمراء في عالم المُلك ونسميهم الحواس كحاسة السمع وحاسة البصر وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس، فإذا نفذ الأمر الإلهي إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر إلى امتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته.

وهؤلاء السفراء هم الخواطر التي تتوجه من القلب إلى هذه الأعضاء، فكل كرامة للأعضاء هي راجعة إلى القلب وعائدة عليه، ولولاه لم يكن من ذلك شيء لتلك الأعضاء، فإن كل عمل صدر من الأعضاء الظاهرة أو الباطنة إن لم يصحبه الإخلاص الذي هو عمل القلب كان ذلك العمل هباءًا منثوراً، لا يصح له نتيجة أصلاً ولا يورث سعادة أبدية لقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة) وقول الرسول ﷺ:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ }[٣٢٤]

فتبين بهذا أن الأعمال الظاهرة والباطنة كلها يزكيها عمل القلب أو يجرحها، فليس للأعضاء إذاً حركة ولا سكون في طاعة شرعية ولا معصية إلا عن أمر القلب وإرادته.

فإن الخاطر أول ما ينبعث ينبعث في القلب فإذا تحقق به المرء وعزم على تنفيذه نظر القلب إلى الجارحة المختصة بعمل ذلك الخاطر الذي قام به فيحركها بعمل ذلك الخاطر، إما طاعة وإما معصية وعليها يقع الثواب والعقاب.

ومع ذلك الذي يقوم به القلب مع أعضائه، فللقلب كرامات ومنازل يختص بها في نفسه، ليس لأحد من أعضائه إليها سبيلاً، فمن ذلك معرفته بالكون قبل أن يكون، وهذا

---

٣٢٤ سنن الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

هو العلم الخفي الذي هو فوق علم السر، وفوقه سر السر، وفوقه علم أخفى، وفوق الأخفى أخفى إلى أخفى الأخفى الذي استأثر الله به دون خلقه.

فأرباب القلوب بهذه العلوم يعلمون ما في السرائر بإعلام الله لهم، وما انطوت عليه النفوس والضمائر، وهذه كرامة خاصة للقلب التقي النقي، وليس للأعضاء سبيل إليها ولا دخل فيها.

الحُجب التي بين العبد وربه

الحُجُب جمع حجاب، والحجاب في اللغة هو الستر:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ (٤٦الأعراف) وقال تعالى:

﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (٤٥الإسراء) وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ (٥١الشورى) ... فالحجاب الذي يحتجب به الإنسان عن قرب الله إما نوراني وهو للروح، وهو يعني ظهور اللُّطف والجمال وجميع الصفات الحميدة تتوالى عليه من الله ﷻ.

وإما حجاب ظلماني مثل القهر والجلال وجميع الصفات الذميمة لأخلاق وشهوات النفس، ومعلوم أن الحُجُب التي بين الله وبين العبد إنما المحجوب بها هو العبد، لأن الله ﷻ لا يحجبه شيء، وهو سبحانه مُطَّلع على خلقه في كل لحظة وحين سر قوله سبحانه: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (١٦ق).

يبين لنا هذه الحجب رسولنا الرؤوف الرحيم ﷺ فيقول:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ }، ويقول: { حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ }[٣٢٥]

وأعظم الحجب حجابان، حجاب معنوي وهو الجهل، وحجاب حسي وهو أنت أيها الإنسان على نفسك، والحُجُب التي بينك وبين الله ﷻ كلها نستطيع أن نجمعها في شيء واحد هو وقوفك مع مقام أو منزلة أو شيء من الأشياء أقامك فيه الله عن الله ﷻ، أي تلتفت إلى هذا المقام وتفرح به وتُسر بوقوفك فيه، وتظن أنك قد بلغت المنزلة العظمى بالقرب من الله، وهذا هو عين الحجاب، وهكذا نجد الحُجُب في كل المقامات التي يترقى فيها الإنسان.

---

٣٢٥ الأول: معجم الطبراني عن سهل بن سعد ﷺ، والثاني: صحيح مسلم وابن ماجة عن عبد الله بن قيس ﷺ

فالقلب حجابه الذنوب لقوله ﷺ عندما نزل قوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين)، قال رسول الله ﷺ: { إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }[٣٢٦].

وحجاب العقل وقوفه مع المعاني التي يدركها العقل فقط، والعقل ليس له اطلاع على الغيوب فلا يستطيع أن يدركها ولا يستطيع أن يعقلها، وكل من يغتر بالشهوات واللذات يبتعد عن معرفة النفس، وكل من يبتعد عن معرفة النفس يبتعد عن معرفة الله ﷻ لقول القائل: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وكل من راقب غير الحق وابتعد عن الحق فلا جرم أن يُحرم من الوصول إلى قرب القلب من الحق ﷻ.

وحجاب السر الوقوف مع الأسرار التي تظهر لصاحبه.

وحجاب الروح وقوفها عند تجليات المكاشفات الإلهية والظهور على الحقائق الغيبية.

وحجاب الخَفَى العظمة والكبرياء.

وهكذا حجاب العلم الوقوف عند العلم ونسيان طلب المعلوم.

وحجاب الحب الانشغال به عن المحبوب.

وحجاب الخلوة الاشتغال بالخلوة عن الغاية منها وهي تصفية القلب والنفس للقرب من الله ﷻ.

فكل منزلة أو مقام يقف الإنسان عنده ولا يطلب ما فوقه ويظن أنه وصل إلى غاية ما يريد وإلى منتهى ما وصل إليه العبيد، فهذا هو الحجاب، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

من لفتة حِجبة والحجب نار لظى من فوق نار الغضى سيري لمنان

والغضى يعني الشوك، أي كلما التفت الإنسان إلى مقام وقف فيه عن الله ﷻ وعن الفرار إلى حضرته حُجب، ويقول في ذلك الإمام الجُنيد رضي الله عنه وأرضاه:

(لو اقترب العبد من ربه ألف سَنَة ثم التفت عنه سِنَة،
كان ما فاته في هذه السِنَة أكثر مما حصَّله في الألف سَنَة).

---

٣٢٦ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

الحُجُب عند الصوفية

الحُجُب عند الصوفية عبارة عن انطباع الصور الكونية في القلب لأنها مانعة من قبول التجلي الإلهي.

وقيل: الحجاب الذي يحجب الإنسان عن قرب الله تعالى وهو إما ظلماني وإما نوراني، يقول ابن عبَّاد النفري في شرحه لحِكَم ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنهما: (ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حُجبت النفوس بكثائف الأغيار).

القلوب النورانية تُحجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم الإلهية والمعارف القدسية وغير ذلك.

والنفوس الظلمانية تُحجب بمحبتها لكثائف الأغيار الظلمانية من العادات والشهودات، فالقلوب محجوبة بالأنوار كما أن النفوس محجوبة بالظلمات، والحق ﷻ وراء ذلك كله.

ولزيادة الإيضاح نقول: الحجب منها حسية مثل الغشاوة التي تقع على القلب، والعمى الذي يصيب عين البصيرة، والصمم الذي يقع في آذان القلوب، والقُفل الذي يقفل القلوب عن مشاهدة الغيوب، والكِنّ التي أشار إليها الله ﷻ للكافرين وغيرها، وأعظم هذه الحجب الحسية هو أنت أيها الإنسان.

والحُجُب المعنوية بالنسبة للنفس مثل الحسد والغيرة والجهل والحقد والكره وغيرها، وأعظم الحجب المعنوية الجهل، وأعظم الحُجُب عن رؤية مقام العبودية المثمرة لمعرفة الربوبية وحصول الحظوة بالقرب من الحضرة الإلهية هو إعجاب المرء بنفسه.

فإن المرء متى أُعجب بعمله أو بحاله أو بعرفانه فقد أحبط عمله وأسقط منزلته، ومتى كان القلب متوجهاً إلى الجسد بالتنعمات والملذات الدنيوية والشهوات النفسانية كان محجوباً بسبعين حجاب، أو بسبعين ألف حجاب لأنه حينئذ يتصف بالغضب المذموم وبالحقد والحسد والكِبْر والتعاظم والعجب والغرور وسوء الخُلُق وغير ذلك من الأوصاف المذمومة.

رُوي أن امرأة العزيز قالت ليوسف الصديق: (يا يوسف إن الحرص والشهوة صيَّرا الملوك عبيداً، وإن الصبر والتقوى صيَّرا العبيد ملوكاً، فقال لها عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كما أخبر الله: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

سُبُحات الوجه

سُبُحات الوجه اللاتي أشار إليها نبينا ﷺ في الحديث:

{ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ }[٣٢٧]

سُبُحات الوجه وجه الشيء أي ذاته.

فهي أنوار ذاتية بيننا وبينها حُجُب الأسماء الإلهية ..

ولهذا قال تعالى:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (٨٨القصص).

وهذه السُبُحات الإلهية من منن الله وفضله ﷻ إلينا، فإذا أحسنَّا لأنفسنا وأقبلنا على حضرة الله ذاكرين حاضرين فإنه يتقرب إلينا بهذه السُبُحات فيزيل ما بقي من الأغيار والحُجُب التي تحجبنا عن حضرته ﷻ.

ولذلك قال بعض الصالحين: السُبُحات جمع سُبحة، والسبُحة ما يتطوع به المرء من ذكر وصلاة وتسبيح كسُبحة الضحى، فأنوار الطاعات هي سُبُحات وجهه جل جلاله، فما دمت تشهد أنك تذكر ربك فوجه ربك متجلي عليك في حجابه بسُبحة ذكرك، ولا تزال تذكره ويذكرك لقوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢البقرة).

وذكره لك يبعدك عن شهود نفسك ونسبتك إلى العدم، ويقربك من شهود توحيد ربك ونسبتك إلى القِدَم حتى ينكشف حجاب ذكرك له وتتجلى سُبحة ذكره لك فترقّ نسبة الأفعال والأذكار لك، وتُظهر نسبته له جل جلاله فيكون هو الذاكر والمذكور، وتدخل في قوله في الحديث القدسي:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[٣٢٨]

٣٢٧ صحيح مسلم وابن ماجة عن عبد الله بن قيس ﷺ
٣٢٨ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

قال الإمام أبو العزائم ملمعاً إلى هذه المقامات في قصائده:

تحققت أن العلم والكشف سيان ... وسابقة الحسنى عواطف حنان
وعلمي غيرٌ بل وكشفي حجبةٌ ... فنائي عن الأغيار سر تداني
وما العلم إلا حرفة أو عناية ... من الله للفرد القريب الفاني
وما الكشف إلا صنعة الروح شاغل ... ونور اليقين الحق حصن أماني
وشغلي بعلمي أو بكشفي حجبة ... غواشٍ[٣٢٩] تظلل سالكاً روحاني
فراري من الأغيار لله وحده ... قبول وإقبال من الرحمن

ويقول أيضاً ﷺ وأرضاه:

أفردن بالقصد مولاك العلي ... تشهدن غيباً مصوناً أوليّ
في المظاهر فاشهدن آياً تُرى ... غيبه قد لاح يُجلى للولي
لا تقف عند العلوم وسرها ... واطلب المعلوم منه به أُخَيّ
لا تقف عند المحبة إنها ... حجبة العشاق عن غيبٍ بهي
واعبد المعروف جل جلاله ... إن مُنحت العلم والكشف الجلي
فر من أكوانٍ وأزمانٍ إلى ... حُظوة الإطلاق تدعوك إليَّ
وافنى عن تلك المظاهر وارتقي ... بالصفا القدسي والغيب العلي
قف على ترب العبودة خاضعاً ... يطمئن القلب بالكشف الجليّ
ما صيامي؟ ما صلاتي؟ ما أنا؟ ... كل ذا حجب ومولانا عليّ
أفردنه في الصلاة وقم له ... في الصيام يجاهد الداء الدوي
واخلعن حظاً به شغلٌ بما ... يحجب الأرواح عن حب القوي
واعشق الله تعالى نزّهن ... ذاته عن كل كيف كل شيء
ذاته قد نُزِّهت في كنهها ... خلِّ أسماءًا وكن عبداً رضي
واسألن منه العبودة فوّضن ... كل أمرٍ للمجيب وللولي

نسأل الله ﷻ أن يكشف لنا عن مقام العبودية، وأن يوقفنا دوماً أمام حضرته على ترب العبودية، حتى يجمّلها في غياب عن نفوسنا بحضرته العلية وأنواره القدسية وأسمائه الكمالية، ويشهدنا المشاهد الجمالية التي تجعلنا نزيد تعبداً ورقاً وعبودة لحضرته العلية، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب. ***** تمَّ بحمد الله تعالى *****

٣٢٩ غواش يعني ستائر

نبذة عن المؤلف

العارف بالله تعالى الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ ولد الشيخ رضى الله عنه في ١٨/١٠/١٩٤٨م، ١٥/١١/١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، محافظة غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر مشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى. ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة العنكبوتية www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواد المترجمة.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه: إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة: بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[٣٣٠]، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها. ٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية، ٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة، خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة، خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات بإذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية. ٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية. ٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصافير الجنة. ٦- إذاعة لقاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات". ٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرسول ﷺ" و*برنامج "أحسن القصص". ٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج "جدد حياتك" ولا يزالا مستمرأن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون". ٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "السيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا. ١- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية".١١- القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر".١٢- القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون".

١٣- المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيي الكثير من المناسبات بالمؤسسات الإجتماعية والثقافية بالمحافظات و دعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار السنين الطوال، وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٣٣٠ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادي بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت	م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت
سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٥ كتاباً							
٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ١)	١		١٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)	٣	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام: (مجلد ٥)	٢		٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)	١	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام:(مجلد ٥)	١		٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١		١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١		١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)	١		١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	
١٣١	إعجاز القرآن فى كلمة "نور"	١		١٣٧	الرسول فى القرآن	١	
١٣٨	تفسير وفوائد الفاتحة وآية الكرسى	١					
السلسلة رقم ٢: الفقــه: ١١ كتاب							
٢	زاد الحاج والمعتمر	٣		٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	☑
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢		٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١		٧٢	إكرام الله للأموات	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١		١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٠٤	سنن الهدى	١		١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	
١٣٠	الأحاديث النبوية فى الصيام	١					
السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٤ كتاب							
٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤		١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢		٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢	☑	٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٦١	السراج المنير	١		٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١		٨٧	تجليات المعراج	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١		١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	
١٣٤	الأفق المبين ﷺ	١		١٤٠	صاحب الجاه العظيم	١	
السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٩كتب							
١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١		٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		١٣٣	قطبا العراق عبد القادر الجيلانى وأحمد الرفاعى	١	
١٣٥	أولياء الله	١					
السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧ كتب							
٣٤	كيف يحبُّك الله	٤	☑	٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢	☑	٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢	☑	٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١	☑				
السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب							
١٦	خطب المولد النبوى	١		١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١		١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١		٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢					
سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب							
٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١					
السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٦ كتب							
٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢	☑	٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢	☑	٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	☑
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١		١٣٦	أمهات المؤمنين	١	

م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت	م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت
السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٣ كتاباً							
٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢		٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢		٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣١	رسالة الصالحين	٢		٣٢	مراقي الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١	☑	٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١		١٢٥	همة المريد الصادق	١	
١٤١	خبايا القلب						
السلسة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب							
٨	مفاتح الفرج	٦		١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥	☑	٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٤٠	أوراد الأخبار تخريج وشرح	٢		٥٦	نيل التهاني بالورد القرآني	١	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢					
السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٨ كتاباً							
١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١		١١	الصفاء والأصفياء	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١		٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	☑
٣٦	المنهج الصوفي والحياة العصرية	١		٤٢	الولاية والأولياء	١	
٤٩	موازين الصادقين	١		٥١	الفتح العرفاني	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢	☑	٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٣	منهاج الواصلين	١		٦٥	نسمات القرب	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١		٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٨٣	مقامات المقربين	١		٩٨	آداب المحبين لله	١	
١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء	١		١٣٩	آداب صحبة العارفين	١	
السلسة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب							
٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١		٧٦	فتاوى فورية ج١	١	☑
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١		٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١		١٠١	يسألونك	١	
١٢٧	القول السديد	١					
السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٥كتب							
٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢		٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	
٩٩	إشارات العارفين	١		١١١	بينات الصدور	١	☑
١٢٩	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١					
السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب							
٨١	سؤالات غير المسلمين	١	☑	٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	☑
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١	☑				
السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب							
٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢		٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١		٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	
١١٠	الدعاء المستجاب	١					
سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٣ كتاباً							
٥٧	تحفة المحبين في فضائل عاشوراء للقاوقجي	١		١١٣	ورد الإستغفار اليومي للحسن البصري	١	
كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه							
١١٥	أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق	٢		١١٦	الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢		١١٨	التوحيد في القرآن والسنة	٢	
١١٩	علامات وقوع الساعة	٢		١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢١	شعب الإيمان	٢		١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢٣	عبادة المؤمن اليومية	٤		١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	
١٣٢	شرح الصلوات الربانية على خير البرية						

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

إسم المكتبة	رقم الهاتف	الأسكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض

الأقـاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، الأستاذ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ. عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور توزيع مؤسسات الأهرام و الأخبار والجمهورية، وكذلك بمختلف المكتبات بالقاهرة والأقاليم.

ويمكن تصفح الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أو موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة، والكثير من مواقع نشر الكتب العالمية.

ويمكن أيضا طلبها من داخل الجمهورية وخارجها من جميع أنحاء العالم أون لاين على متاجر شبكة المعلومات

الفهرست			
مقدمة			٣
الروابط والأكواد المربعة لصفحات التواصل الإجتماعى للشيخ			٥
الفصل الأول: حقيقة القلب			٩
منهج الصالحين في الوصول إلى الله تعالى			٩
أبو الحسن الشاذلي	٩	السيد أحمد البدوي	١٠
السيد إبراهيم الدسوقي	١١	السيد عبد القادر الجيلاني	١١
الأئمة الأربعة	١٢	الإمام الدردير	١٥
علماء الأزهر والتصوف	١٥	تجهيز العالِم لنفسه	١٦
تطهير القلب			١٩
القلب الحقيقي	٢٠	القلب النوراني	٢١
وظيفة النفس	٢٢	حقيقة الصدور	٢٣
جهاد القلب	٢٤		
حقيقة القلب			٢٥
صور الإنسان	٢٥	المعاني الغيبية في الإنسان	٢٦
سر الروح	٢٦	العقل	٢٧
قلب المؤمن	٢٨	قلب المحسن	٣٠
سعة القلب وأهميته	٣٠		
مراتب القلب			٣٢
١ ـ الفؤاد	٣٢	٢ ـ الحِجر	٣٣
٣ ـ الحِجى	٣٣	٤ ــ اللُّبُّ	٣٣
٥ ـ العقل	٣٣	٦ ـ الجَنان	٣٣
علامة استنارة القلب	٣٤	شعب القلب	٣٥
حياة القلب	٣٦	أدوات الانسان لتحصيل المعرفة	٣٦
الطريق إلى علوم الإلهام	٣٨		
الفصل الثاني: الفتح القلبي			٤٠
تجهيز القلب لتلقي الفتوحات الإلهية			٤٢
خطوات التعرض لفضل الله	٤٤	١- تحصيل العلوم الشرعية	٤٤
٢- تصفية القلب	٤٥	٣- تجميل القلب بما يجبه الله	٤٧
٤- حفظ القلب من الأغيار	٤٨	٥- الذكر الخالص لله	٤٩
٦- التسليم لله في فتحه وعطاه	٤٩	٧- دوام شكر الله	٥٠

اكرامات ذوي القلوب السليمة				٥١
١ - فتح عين البصيرة	٥١	٢ - علم الإلهام		٥٢
٣ - السكينة	٥٢	٤ - الحفظ الإلهي		٥٣
٥- كنوز الحكمة الإلهية	٥٣	٦- الاطلاع على أسرار الله الذاتية		٥٣
٧- مقام المكاشفة	٥٤	غيب الإنسان وغيب حضرة الله		٥٥
مراد الله من الأفراد المرادين لحضرته	٥٦	الكشف العرفاني		٥٦
القلب السليم				٥٨
الخليل إبراهيم	٥٨	طهارة قلب خاتم النبيين		٦٠
الطهارة الأولى (التخلي عن الصفات الإبليسية)	٦٠	التخلي والتحلي		٦١
طهارة ٢: (الصفاء لجميع الخلق)	٦٢	طهارة ٣: (التفكر والذكر)		٦٢
الطهارة الرابعة: (التأهل للعطايا الإلهية)				٦٣
التجمل بجمال الحبيب (أوصاف العبودية)	٦٣	الرؤيا المباركة للقنائي		٦٥
أصول الفتح القلبي				٧١
تصحيح النية	٧١	النية في الفرائض		٧٣
النية في النوافل	٧٤	التحدث بالعمل		٧٥
الإخلاص	٧٦	تصفية الطوية		٧٧
الفصل الثالث: جهاد العارفين				٧٩
جهاد النفس				٨١
جهاد الهوى	٨٢	جهاد الشهوات والحظوظ		٨٢
التحقق بالعبودية	٨٤	قوى النفوس		٨٥
توحيد الوجهة	٨٧			
تصفية القلب				٨٨
جهاد النفس	٨٨	صفاءُ القلب		٩٢
جهاد السالك لتنوير القلب الحالك				٩٤
أولاً: التخلص من النفاق	٩٤	من أبواب النفاق العملى		٩٥
ثانياً: الحرص على القيام بالفرائض				٩٩
ثالثاً: الحرص على أنفاسه وصحته الروحانيَّة				١٠٠
رابعا: محبَّة الله ورسوله ومن والاهم	١٠١	٥: التأليف بين الإخوان		١٠١
سادساً: الخروج من عوائده ومألوفاته مع المداراة				١٠٢
سابعاً: الحرص على سلامة ورعاية نفسه				١٠٣

ثامناً: القيام بواجب الوقت مع حفظ المرتبة				١٠٤
رقة القلب				١٠٧
شروط رقة القلب	١٠٧	شرط ١: المطعم الحلال		١٠٧
شرط ٢ : قراءة القرآن بالتدبر	١٠٨	شرط ٣: مجالسة الصالحين		١١٠
عدة السالكين				١١١
الإقلال من الكلام	١١١	الإقلال من الطعام		١١٣
الإقلال من المنام	١١٣	ذكر الله على الدوام		١١٤
أقفال القلب				١١٥
الحواس الملكوتية	١١٦	كيفية النظر إلى الغيوب		١١٩
الفصل الرابع: أمراض الخاصة				١٢١
أمراض القلب				١٢٣
١: مرض النفاق	١٢٣	٢: قسوة القلب عن ذكر الله		١٢٤
٣: الإعراض عن ذكر الله	١٢٥	٤: الصدود عن طاعة الله		١٢٧
علامات صحة القلب				١٢٧
العلامة الأولى: انشراح الصدر	١٢٧	٢: فرح الإنسان بمجالس الخير		١٢٨
الثالثة: فرحه بالخير لأخيه	١٢٨	العلامة الرابعة: الإلهام		١٢٨
قسوة القلب				١٣٠
أولاً: كثرة الكلام بغير ذكر الله	١٣٠	ثانياً: الحديث مع النساء		١٣٢
ثالثاً: المطعم الحرام	١٣٣	رابعاً: الشبع	١٣٥	خامساً: كثرة المنام ١٣٦
أمراض العلماء الربانيين				١٣٧
الشرك الخفي	١٣٧	المرض الأول: الفرح بإقبال الناس سكوناً إليهم		١٣٧
المرض الثاني: أن ينظر إلى أهل المعصية بعين ملؤها المقت والغضب				١٣٨
المرض الثالث: الأنس بما يشهدونه وإن خالف ما عليه الجماعة				١٣٩
المرض الرابع: استعجال النقمة لمخالفين والكرامة للموافقين جهلاً بالقدر				١٤٠
المرض الخامس: الغضب على من لم يقم بالواجب عليه لهم				١٤٠
المرض السادس: الغرور	١٤١	علاج الغرور		١٤٢
المرض السابع: أن تميل نفوسهم إلى مجالسة الأمراء والوزراء والعظماء				١٤٢
أمراض الأخفى				١٤٣
المرض الأول: اشتغالهم بتربية المريدين وتعليمهم وترك جهاد أنفسهم				١٤٣
المرض الثاني: الشوق إلى المفارق				١٤٤

المرض الثالث: الظن أنه وصل إلى مقام كن فيكون			١٤٤
الأمراض الظاهرة لعلماء الدنيا			١٤٦
المرض الأول: الجدال بالباطل			١٤٦
المرض الثاني: تأويل الأحكام بما يناسب هوى الخلق			١٤٧
المرض الثالث: إهمال العناية بكتاب الله وسُنَّة نبيه			١٤٨
الفصل الخامس: أمراض القلوب عند السالكين			١٤٩
تمهيد			١٥٢
تداعيات الخواطر	١٥٢	أهمية الخواطر	١٥٢
أصناف الخواطر	١٥٣	علاج جميع وساوس الشيطان	١٥٥
مداخل الشيطان إلى القلب	١٥٦		
أمراض السالكين الصادقين			١٦٠
المرض الأول: شهوة الكلام			١٦٠
فضل الكلام	١٦٠	الكلام النافع	١٦٢
فضيلة الصمت	١٦٢	الإفلاس والمفلس	١٦٣
تعلم الصمت	١٦٤	نماذج للحكماء	١٦٥
آفات اللسان	١٦٦		
المرض الثاني: الغضب			١٦٧
قوة الغضب	١٦٧	الوقاية من الغضب	١٦٩
آثار الغضب على الإنسان	١٦٩	تحول الغضب	١٧١
صفة غضب النبي ﷺ	١٧٢	أسباب الغضب	١٧٤
العلاج الناجع لتجنب الغضب	١٧٧	العلاج العملي للغضب	١٧٨
المرض الثالث: الحقد			١٨٠
سبب الحقد	١٨٠	مساوئ الحقد	١٨١
علاج الحقد	١٨٤	العفو	١٨٤
الرفق	١٨٧		
المرض الرابع: الحسد			١٨٨
بين الحسد والغبطة	١٨٩	الحسد المذموم	١٨٩
موقف المؤمن من الحسد	١٩٠	طبيعة الحسد	١٩٣
أسباب الحسد	١٩٤	السبب الأول: الغِيرة	١٩٤
٢: التكبر والغُلو والاعتزاز بالنفس	١٩٥	٣: حب الرياسة وطلب الجاه	١٩٥

٤: الخوف من فوات المقصد	١٩٥	٥: العداوة والبغضاء	١٩٦		
السبب السادس: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله					١٩٦
علاج الحسد	١٩٧	المناعة من الحسد			١٩٩
المرض الخامس: حب الدنيا					٢٠١
الدنيا المذمومة	٢٠١	الدنيا المحمودة			٢٠٢
القول الجامع	٢٠٤	الزهد في الدنيا			٢٠٥
حب الدنيا ومشاكل الإنسان	٢٠٦	سلفنا الصالح والدنيا			٢٠٧
حكمة المؤمن في حياته الدنيا	٢٠٩				
المرض السادس: البخل وحب المال					٢١٠
فتنة المال	٢١٠	المال خير	٢١٢	فوائد المال	٢١٣
آفات المال	٢١٤	الشح والبخل	٢١٦	الوقاية من البخل	٢١٧
السخاء والإيثار	٢١٩				
المرض السابع: فتنة حب الجاه والشهرة					٢٢١
أسباب الميل إلى الجاه	٢٢١	الزهد في الشهرة			٢٢٢
الخمول والجاه	٢٢٢	الأتقياء الأخفياء			٢٢٤
فتنة الشهرة	٢٢٥	أثر الثناء			٢٢٦
علاج حب الجاه	٢٢٧	الملامتية			٢٢٧
حسن الخاتمة	٢٢٨				
المرض الثامن: الرياء					٢٢٩
حقيقة الرياء	٢٢٩	أسباب الرياء	٢٢٩	إخلاص العمل لله	٢٣٠
ذمّ الرياء	٢٣٢	أنواع الرياء	٢٣٣	درجات الرياء	٢٣٦
علاج الرياء	٢٣٧	إظهار العمل لقصد حسن			٢٣٨
المرض التاسع: الكبر					٢٣٩
علامات الكِبر	٢٣٩	ذمّ الكِبر			٢٤٠
التواضع لله	٢٤١	صور المتكبرين			٢٤٤
أسباب الكِبر	٢٤٤	أولاً: العلم			٢٤٥
ثانياً: العبادة	٢٤٥	ثالثاً: الحسب والنسب			٢٤٦
رابعاً: الجمال	٢٤٧	علاج الكِبر			٢٤٨
أولاً: معرفة حقيقة نفسه	٢٤٨	٢: تذكر أحوال السلف الصالح			٢٤٩
أخلاق المتواضعين	٢٥٠	صفة رسول الله ﷺ			٢٥٠

المرض العاشر: العجب			٢٥٢
ذم العجب	٢٥٢	بين العُجب والذنوب	٢٥٤
آفات العُجب	٢٥٥	علاج العُجب	٢٥٧
إعجاب المرء برأيه	٢٥٩		
المرض الحادي عشر:الغرور			٢٦٠
حقيقة الغرور	٢٦٠	أصناف الغرور	٢٦١
وصف الصالحين المخلصين	٢٦٢	أصناف المغترين	٢٦٢
النجاة من الغرور	٢٦٧		
خاتمة			٢٦٨
حقائق القلب	٢٧٠	الحُجب التي بين العبد وربه	٢٧٢
الحُجُب عند الصوفية	٢٧٤	سُبُحات الوجه	٢٧٥
نبذة عن المؤلف	٢٧٧	قائمة مؤلف الشيخ	٢٧٩
قائمة المكتبات ودور النشر	٢٨١	الفهرست	٢٨٣

تحت الطبع للمـــرة الأولى

١- ترياق المرادين

٢- من المكنـــــون

٣- أوليـــــــاء الله (ج٢)

٤- نور الإلهـــــام فى أجوبـــة الكرام

لحضور مجالس العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد أون لاين؛ ولقراءة وتحميل الكتب والدروس والخطب فيديو وصوت وكتابة راجع روابط صفحات التواصل الإجتماعى، أو امسح أكواد QR بالموبايل لتدخل للصفحات مباشرة.{ التفاصيل بصفحة (٥) }

وإلي اللقاء مع الكتاب القادم إن شاء الله